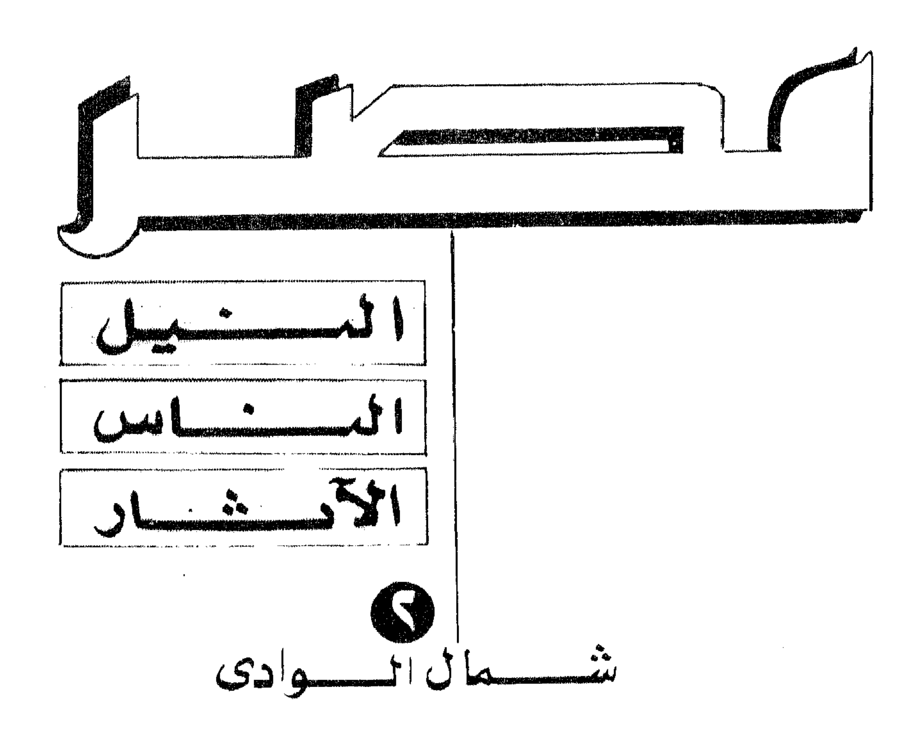
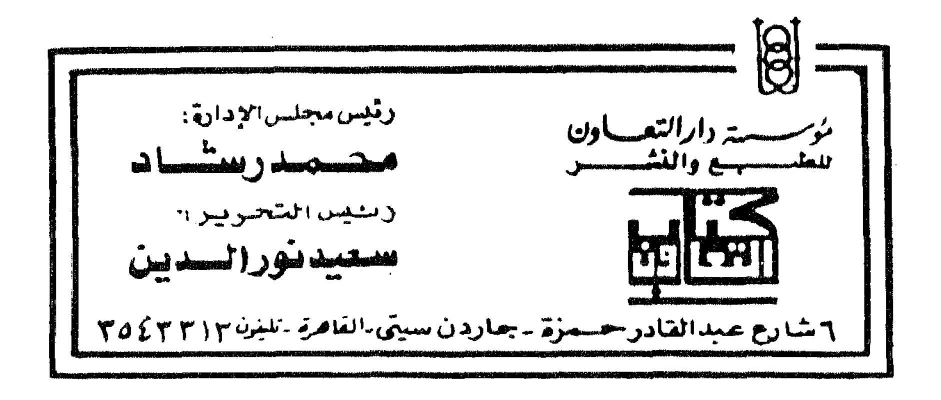


● سياحة فى ربوع المحروسة

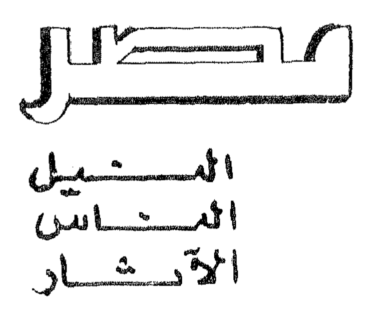


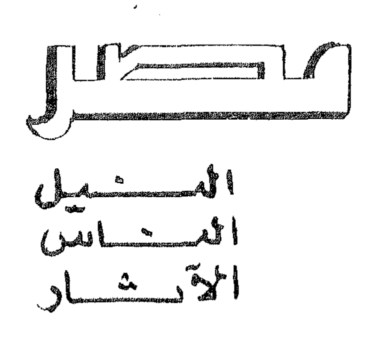
شمال الوادى

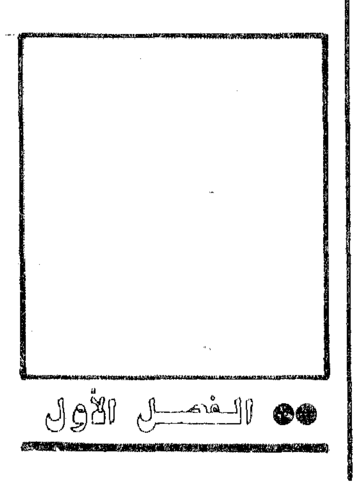
سليمان مظهر


مؤسسة دار التعاون
للطبع والنشر
كتاب التعاون
رئيس مجلس الإدارة :
محمد رشاد
رئيس التحرير :
سعيد نور الدين
٦ شارع عبد القادر حمزة - جاردن سيتي - القاهرة - تليفون ٣٥٤٣٣١٢

●●● محتويات الكتاب الثاني


مصر
النيل
الناس
الآثار





الفصل الأول

الوجه البحرى .. أرض المعركة

كان الوجه البحرى دائما هو مهبط الغزاة لمصر .. ومن الوجه البحرى كان مهربهم .

ومنذ دخول الغزاة وحتى طردهم .. كان الوجه البحرى هو أرض المعركة ضد المعتدى حتى التحرير . وماكان أكثر الغزاة والفاتحين الدخلاء الذين جاءوا يقتحمون الدار على شعب مصر ... ليملكوا دونه أبوابها ونوافدها .. فيستأثرون بخيرها وبرها ... مستغلين موقعها

الاستراتيجى الذى كان مطمعا لهم ولحكامهم وجيوشهم ... ولكن الشعب العملاق كان يعرف دائما طريقه للثورة عليهم ومطاردتهم وهزيمتهم حتى يخرجوا منها مدحورين خاسرين .

ومنذ قرون طويلة قبل ميلاد المسيح ـ وعلى مر الحقب وكر الأزمنة ـ بقى المصرى هو نفسه لم يتغير فى مسلكه العام واتصاله بالطبيعة وسعيه الحضارى وفهمه لحقائق الحياة .

فلقد عاش المصرى الأول بين صحراوين حمت كل منهما حضارته من الغزاة ، وصانتاه من الاختلاط الذى يخفى خصائصه . فلما ثبتت هذه الحضارة وتأصلت خصائصها ... أصبح مستحيلا على أية حضارة أخرى أن تغير فى أصولها .

صنع الحضارة

وقد بدأ المصرى حياته منذ ألفها معتمدا على نفسه ... فلم يجد ماينقل عنه ولامن ينقله عنه أو يحاكيه وبذلك كانت أقدم صناعاته هى « صنع الحضارة نفسها وتوزيعها على الناس » فهو يضع قواعد الفلك ، وهو ينشىء السفن ، وهو يبنى ويقيم ، وهو يبدع فى عالم الطب والكيمياء وهندسة المياه والجسور ، وهو يبرع فى أصول الزراعة واقتصادها ... ثم يبنى الأساطيل ، ويرسلها لتحمل عناصر جديدة لتنمية حضارته ودعمها وتأكيدها ، فلما تحرك العالم حوله وابتدأ يناوشه ، ثم يحاربه ، وخرجت جيوش مصر من حدود مصر ... كان كل جندى من أجناد هذه الجيوش رسول حضارة ، وحامل رسالة ، وطليعة ثقافة .

وكانت الحروب تنتهى سريعا ، وتبقى آثار مصر هناك ، ثم تحمل آثار الأقاليم المفتوحة وفنونها ، وأطرزة ثيابها ، وألوان عطورها ، لتضيف خطوطا الى الحضارة المصرية ، دون أن تغير أصل الصورة ،

فتمر سنون فى إثر سنين ، وقرون بعد قرون ، والمصرى دائب على هذه الصناعة ... صناعة الحضارة ... حتى بزفيها الجميع ، فتتلمذوا عليه ... وهو يزداد على مر الأيام ايمانا بها ... وإتقانا لها .

وتنكر الزمان لمصر الإمبراطورية فى أخريات الحكم الفرعونى ، وأنفذ حكمه الثابت : « لابد لكل صعود من نهاية » واجتاحت العالم كله موجات من الغزو والفتح كانت أشبه شىء بالأعاصير . واخذت مصر نصيبها فلم يجرؤ على الطمع فيها ولا الاقتراب من حدودها الا اقوى الغزاة الذين دانت لهم الدنيا التى كانت معروفة فى ذلك التاريخ .. وكان المصرى الذى عرف معانى الحياة الأصيلة ، ينظر الى هؤلاء الغزاة فى حكمة وفهم .. فهو يعرف أنهم زائلون ... فإن تخلف عنهم أثر من حكم حاربه بأسلوبه وطريقته . فإن لم ينفع هذا الأسلوب ـ وقل أن يخفق ـ استعمل اسلوب الذين يقلون عنه حضارة .. أسلوب السيف والمدفع ... وعندها يبدو فى صورة المقاتل الذى لايشق له غبار .

وقد عرف أعداؤه عنه هذه الطبيعة الكامنة تحت مظهره الهادىء فنحوا عنه السلاح ما استطاعوا ، وحرموه الاقتراب منه ، وأكدوا له أنه زارع الأرض وباذر حبها وحاصد خيرها .. وهم يقصدون بهذا أن يغضوا من قدره ، فكان يسمع ويضحك بينه وبين نفسه ... فالحضارة كانت عنده أغلى مايقدمه للناس ، وهو مايعجز عنه الآخرون .

فكفاح مصر ضد اعدائها والغزاة كان كفاحا متصلا ، لم تلق فيه ابدا سلاحها من يدها ، وربما تغير شكل السلام أو اسمه ، لكن لم تتغير طبيعة المعركة ولاهدفها ، ولم تستنم مصر خلالها ، ولم تفن فى أحد من الفاتحين ، ولم تسلم بأنه افضل منها ، أو أقدر على نفع الناس . كان الغزاة منها كالأعاصير التى تهب ، أو الزلازل أو

البراكين التى تقلب وتحطم ، فلم تقل : ذلك هو قانون الحياة العادى ...!

شعب عملاق

هكذا ظل الحال بمصر ... وشعب مصر ... وهكذا ظل هذا الشعب فى مصر ... فى معركة مستمرة من أجل الحرية .

ومعارك الحرية تعتمد أولا وقبل كل شىء على الشعوب ... فالشعب دائما هو صاحب المصلحة الأولى فى الدفاع عن حريته .

ولعل هذه الحقيقة البسيطة لم تجد طريقها بعد الى نفوس بعض الذين لايعترفون بحقيقة الشعب المصرى ... فتراهم يحقرون من تاريخ هذا الشعب ويهزأون بمقدراته ويلوون الحقائق ليا عنيفا لينتهوا الى أن هذا الشعب شعب « وادع مستكين » ..!

وهم يريدون بذلك الخنوع والصبر على الإذلال والمهانة .

ولكن ... هل كان ذلك فى الحقيقة هو ماينطبق على ذلك الشعب الذى خاض صراعا طويلا عبر آلاف السنين مع كل من أرادوا أن يمتصوا دمه ؟ وهو صراع بين عملاق وديدان تنهشه ... لقد كان يعرف دائما طريقه للدفاع عن نفسه ... وضرب المعتدين عليه من كل صوب ... وظل يخوض فى بحار السنين عاملا كادحا حتى بلغ صراعه فجر الحضارة الجديد ...

هذا العملاق له قصة طويلة قديمة ...

فمن قبل أنكره أعداؤه وحكامه ومستعمروه .. قالوا إنه لم يكن له وجود ... ! وقالوا إنه ظهر فجأة ...! ومضت السنون وهو يسخر منهم ، يطل عليهم من عليائه ليؤكد وجوده ، ويمضى بقدمين راسخين فى ثبات وقوة وثقة ، يشق طريقه وسط العواصف والأنواء

والزوابع ... يشقها بذراعيه ويضيء الطريق لنفسه ، ويخوض بحارا من الألم والعناء ، ولكنه يمضى يزيح الجبال بيديه ويمهد لنفسه الطريق .

أنكروه .. !

قالوا إنه لم يكن له وجود قبل ان يدون اسمه فوق آثاره .

قالوا إنه ظهر فجأة على ضفاف النيل ليبنى هذه الآثار ، ويعيش تلك الحضارة التى خلدت باسم « الحضارة الفرعونية » والتى يحاولون اليوم استغلالها ليقولوا إننا فراعنة فحسب .. وان شعبنا يعيش وجوده كله من خلال « الفرعونية » لكن التاريخ يصفعهم عندما تكشف الآثار الجديدة ان وجود هذا الشعب ومسيره على الضفاف قام قبل هذه الحضارة الفرعونية .. وأنه كان منذ القدم عملاقا ... يقف بهامته على قدم المساواة مع بقية الشعوب فى هذا العالم الكبير .

كان علماء الآثار الأجانب ينكرون وجود آثار للمصريين قبل العهد الفرعونى ... ولكن الأيام تصفعهم لتؤكد وجود مدنية على ضفاف الوادى تتفق فى مجموعها مع المدنيات الأوربية فى تلك العهود السحيقة فى القدم ... بل لعلها أقدم منها جميعا .

قبل أن تظهر عصور الملوك وقبل أن تشيد الأهرامات والمعابد .. كان الشعب المصرى العملاق ذا ثقافة ، وكان فنانا بطبعه . منذ وجد على ضفاف النيل كان يصنع أمشاطا عظيمة الحجم محلاة برسوم على الرغم من أنه كان يعيش فى قرى بدائية ، وأتقن صناعة الفخار واكتشف النحاس ، وترك آثارا جميلة قبل أن يكون له ملوك او فراعنة ، وسقى الأرض للزراعة ونظم مياه الفيضان وقام بإنشاء الترع والسدود .

كانت هذه بعض مفاخر الشعب المصرى قبل أن يأتيه الملوك ويضعوا أيديهم على الأرض ، وقبل أن يسخره الفراعنة لإشباع

ميولهم ، كان الفلاحون والصناع يعملون متعاونين كل منهم مع أخيه دون أن يستغل أحدهم الآخر ، ثم يجدون الوقت للاستمتاع بالحياة ، فخرجت من ايديهم اروع صور الفن واجمل معانى الحياة .

ويأتى ملوك واسرات ، ويذهب ملوك وتنمحى اسرات ، والعملاق يمضى فى طريقه لايذهب ولاينتهى ، بل يزرع ويبنى ويشق طريقه الى الأمام .

وحتى حضارات الفراعنة التى ينسبونها الى خوفو أو خفرع ... من الذى بناها ؟ من الذى حمل أحجارها ؟ من الذى نقش جدرانها ؟ من الذى صمم بناءها ؟

إنهالشعب ، الأيدى العاملة والإحساس الإنسانى ، والثقافة الفنية الرفيعة ... هذه هى القوى التى رفعت بناء الأهرام والمعابد وليس خوفو أو خفرع أو منقرع ...!

وعلى جدران الآثار نرى الموسيقيين يعزفون ، والفلاحين يحصدون والشعراء يدونون ، والصناع يعملون ... هؤلاء هم بناة الحضارة ... هذا هو الشعب ... الشعب العملاق ..

سلام لا استسلام

إن ثورته على الملوك قديمة منذ أكثر من أربعة الاف عام ، قام بأول ثورة عرفت فى العالم ضد الملوك ... ونقرأ فى كتاب أدبى من تاريخ الفراعنة :

« إغتصب الفقراء القبر الملكى ، وأظهر الناس العداء للملك ، وأفشيت الأسرار الملكية ، واصبح مقر الملك رأسا على عقب » .

إنه شعب يحب السلام ولكنه لايعرف الاستسلام ... وقام بأول ثورة فى العالم ضد الملوك وضد الذين اغتصبوا ثروته وأمواله ولقد

كانت الطبيعة السمحة والبيئة الفياضة التى عاش فيها المصرى وراء حبه للسلام وتفضيله على الحرب ... ولكن الأحداث التاريخية دلت بل أثبتت أن حبه للسلام هذا لم يكن فى يوم من الايام طريقا الى الاستسلام فقد كان ديدن المصرى القديم ابان عصوره الطويلة أن السلام لمن يحب السلام ، وان الحرب لمن يريد الحرب . وكان المصرى اذا بدأ الحرب شنها ضروسا لايعرف فيها رحمة ولايقر شفقه ، وكذب تلك الشائعة التى تقول بها بعض المؤرخين على المصرى بأنه يهرب من الحرب ، وأن الشجاعة وحب الجندية ليست من صفاته ، ولقد خلد لنا القائد الأعلى للجيش المصرى العظيم « أونى » فى القرن الخامس والعشرين ـ قبل الميلاد ـ عندما تعرضت البلاد لغزوة جامحة اتتها من الحدود الشمالية الشرقية فى عصر الأسرة السادسة ـ كيف جهز المصريون جيشا لم تر له البلاد مثيلا ليلاقى الأعداء عند حدود الدلتا من الشرق ، فسحقهم وأنزل بهم خسائر فادحة ، ولم يكتف بهزيمتهم عند الحدود بل طاردهم الى ماوراءها وخربها . ويبدو واضحا من تلك الأنشودة التى سجلها « أونى » على جدران مقبرته والتى كان المصريون يتغنون بها عند ترحيبهم برجال الجيش المظفر بعد عودته منتصرا ... تقول الأنشودة :

« هذا الجيش عاد الى وطنه سالما : بعد أن مزق بلاد سكان الرمال ... هذا الجيش عاد الى وطنه سالما بعد أن دمر حصون الأعداء واقتلع تينه وكرومه هذا الجيش عاد الى وطنه سالما بعد أن ألقى النار على جنود الأعداء وقتل عشرات الآلاف وأحضر معه آلافا من الأسرى » .

وهناك صورة تدعو الى الفخر بمصر التى لم ينس أبناؤها وقت احتدام المعارك مبادئهم الإنسانية . ويخلد القائد « أونى » ذلك فى نصوص مقبرته حين يقول عن جيشه : « لم يشاجر أحد من الجند زميله ، ولم ينهب أحد منهم عجينة من الخبز من جوال ، أو يسرق

نعاله ولم يأخذ أحد منهم خبز اية مدينة .. كما لم يستول أحد منهم على عنزة واحدة من أى شخص » .

شكاية الفلاح الفصيح

لم يكن المصرى أبدا ليستسلم لظلم . وتلك شكاية الفلاح الفصيح فى العصور الوسطى « أخنوم أنوب » يصرخ فى وجه أميره فى وادى النطرون ... إنه فلاح بسيط ... واحد من آلاف الفلاحين الذين عمر بهم الوادى منذ أزمان سحيقة « أيها الأمير ... أنظر ... لقد ضلت العدالة تحتك .. الموظفون يقترفون الاثم .. والأحكام جائرة ، ومن كان عليه القضاء على الخطيئة يقترف هو نفسه الإثم .. أنت يا أعلم الناس ... هل تظل جاهلا بما يدور عندك ... ان سلة من الفاكهة تفسد قضاتك وإن قول الزور غذاؤهم .. انظر ... إن الذين يكيلون الحبوب يطففون لأنفسهم ، والذى يعبىء لسواه يختلس .. انظر .. انك قوى نشيط الذراع جرىء القلب . ولكن . ان النطاق الذى تقيم فيه غاص بالتماسيح .. وجه لسانك للحق ولاتتبع الضلال .. لاتسرق وأنت تعمل ضد السارق ، وليس العظيم عظيما اذا كان سارقا ... ان ابن مرو اعمى عما يرى ... اصم عما يسمع سادر عما يروى له ... يامدينة بغير عميد وجماعة بغير رئيس ، وسفينة بغير ربان وفريق بغير قائد .. انظر ... انك شرطى يسرق ، وحاكم يأخذ الرشوة ... ورئيس اقليم واجبه القضاء على النهب ولكنه يصبح نموذجا لمرتكبيه ... ! »

شخصية مصر

هذا العملاق المصرى هو الذى يكتب التاريخ ... ولكى نفهم التاريخ المصرى فى حقيقته الناصعة المبرأة من الزيف ، لابد أن نعرف الحقيقة الكبرى فى هذا التاريخ .. تلك ان فى هذا التاريخ شخصية ثابتة تراها من وراء الأحداث ... تلك الشخصية الثابتة الخالدة هى

شخصية الشعب المصرى ... هذه الشخصية المصرية هى التى عرفت كيف تواجه جحافل الهكسوس ـ رعاة الجبل الطامعين فى دلتا النهر الخصيب ـ حين جاءوا فى القرن السابع عشر قبل الميلاد فانقضوا على الدلتا بعجلاتهم الحربية وأقواسهم المركبة ذات السهام البعيدة المدى حتى اضطر المصريون الى التراجع امام هذه الجحافل القادمة بأسلحة جديدة للحرب لم يكن المصريون يعرفونها ... فقد آلوا على أنفسهم أن يذيقوا الغزاة ألوانا من المقاومة العنيفة وإن راح ضحيتها عدد كبير من المدافعين من أبناء الدلتا يستدل عليها من جبانة واسعة عثر عليها بالقرب من كوم الحصن بغرب الدلتا تتميز بأن اصحابها قد ماتوا فى معارك حربية وان كلا منهم قد اصطحب معه الى دنيا الموت ادواته الحربية الكثيرة التى فضلها على اى متاع آخر فى الدنيا . وحينما استقر الهكسوس فى الدلتا وجعلوا عاصمة لهم « أواريس » او « حات » او « عارت » تقع على مقربة من « صان الحجر » فى شرق الدلتا ، فقد عجزوا عن مواصلة الزحف الى الصعيد الذى ظل بعيدا عن متناولهم حتى استطاعت قوى المقاومة ان تتجمع وتواصل الهجوم على مواقع الهكسوس . وأخذ أبطال التحرير من طيبة يبثون الشجاعة بين مواطنيهم وينشرون عوامل الثورة ضد المستعمر ، وتحت قيادة ثلاثة من حكام طيبة أولهم سقنن رع ثم ابنه كاموزه ثم ثالثهم « أحموزه » قامت معارك التحرير حتى تم على يديه طرد الهكسوس نهائيا من مصر ... وقد حدث ذلك بفضل أبناء الشعب وبخاصة أهل الصعيد الذين كانوا قد تذوقوا طعم الحروب ولمسوا لذة النضال كما تعلموا طرق الكفاح والنزال ، ومرنوا فى الوقت نفسه على استعمال السلاح الحربى الجديد الذى جلبه الهكسوس معهم الى مصر وهو الحصان والعربة كما حذقوا استعمال الأقواس الضخمة الثقيلة ذات المرمى البعيد ، وهكذا اندفع الشعب المصرى فى حماسة تفوق الوصف فى التيار العسكرى وتسلطت على عقله عوامل الحرب من أجل التحرير . وانقضت قوات التحرير ـ التى كانت تزداد وتتضخم كلما

امتد بها الزحف نحو العدو ـ على القلاع والحصون التى اتخذها العدو للمقاومة ، حتى وصلت قوات التحرير الى اواريس معقل الهكسوس . ولم يكد ملك الهكسوس يرى الطلائع الأولى امام حصنه حتى ولى الإدبار هاربا الى فلسطين وسارع وراءه جيشه يطاردهم أبناء مصر حتى تبدد شملهم وذهبوا إلى غير رجعة .

غزاة من الشرق والغرب

ومرة أخرى جاء الغزاة فى عهد مرنبتاح ابن رمسيس الثانى ... قبائل من شعوب هند وآرية اتجهت ابصارها الى وادى النيل ... ودلتاه الخصيب ... جاءوا من الشرق عبر سيناء ومن الغرب عبر الصحراء الليبية أو على سفن نزلوا بها كأسراب الجراد على شمال الدلتا . كان الغزو الجديد مفاجأة للمصريين الذين شعروا بالخطر الداهم فهبوا له وراء قائدهم وتجهز منهم جيش تم تجهيزه وتدريبه فى أربعة عشر يوما ـ كما يقول الدكتور عبدالمنعم ابوبكر ـ وعند الحدود الشرقية التقت القوات المصرية بالمغيرين وحققت عليهم نصرا هائلا وطاردتهم الى فلسطين وسوريا واتجهت القوات المصرية بعد ذلك لملاقاة المغيرين القادمين من الغرب حيث كانت غرب الدلتا هى ميدان المعركة التى انتهت ايضا بانتصار المصريين وطرد القبائل الليبية الى عمق الصحراء وعاد السلام الى وادى دلتا النهر الأخضر .

وتواصل الغزاة يحاولون دق باب مصر ... حتى استطاع الأشوريون اقتحام الحدود الشرقية لسيناء وتقدموا الى الدلتا عام ٤٧٦ ق . م وفى شرق الدلتا دارت معركة حامية دافع فيها المصريون عن بلادهم باستماتة حتى تمكنوا من ضرب جحافل الأشوريين الذين اضطروا الى الرجوع عن مصر مولين الأدبار .

ولم تكد تمضى سنوات حتى عاود الغزاة الأشوريون الهجوم على المصريين الذين تراجعوا تحت وطأة المفاجأة الى حصن منف المنيع ..

لكن المبادرة كانت قد سقطت من أيديهم واستطاع الغزاة أن يدخلوا منف بعد أن اقتحموا حصنها .. ومنذ دخل الأشوريون مدينة منف لم يهدأ بال المصريين .. وخلال حرب التحرير الطويلة التى شنوها على الوجود الأشورى والذى التزم فى مصر نطاق منطقة الدلتا استطاع المصريون ان يستعيدوا من الأشوريين عاصمتهم مرتين وتواصل جهد أبناء مصر من اجل استنزاف طاقة العدو وابتكروا اسلوب حركة التحرير الذى يستند الى العمل الفدائى الذى تزعمه واحد من أبناء الشعب هو « نخاو » وكان الفدائيون يتجمعون فى قرية صغيرة تهاجم تجمعات الجيش الأشورى فى حركات سريعة مفاجئة .. وبرغم العنف الشديد الذى واجه به الأشوريون أبناء مصر إلا أن معارك التحرير استمرت حتى تولاها بعد ذلك الملك ابسماتيك ابن الأمير نخاو الذى حقق النصر النهائى على الأشوريين واكتسح حامياتهم التى كانت فى الدلتا وطاردهم حتى فلسطين .

ثورة على قمبيز

ومع تتابع الغزاة على ارض مصر عبر سيناء الى الدلتا تواصلت مقاومة المصريين للغزاة .. ويكفى أن نقرأ ماقاله المصريون فى رسالتهم لقمبيز منذ آلاف السنين حين جاء متهيئا لاقتحام بلادهم فأرسل اليهم مع رسوله رسالة يهددهم فيها بالويل والثبور اذا لم يستسلموا له ... فكان ردهم الى الملك الفارسى رسالة يقول نصها :

« يكتب هذا جميع المصريين ، إننا نكتب اليك ايها الجبان الرعديد ... قمبيز ... الذى اسمه فى لغتنا « سانوب » وتفسيره « الجبان » . الا فانظر لقد تركنا رسولك يذهب بسلام لاخوفا منك بل افتخارا وتعظيما لفرعون الذى يحكمنا بمجد عظيم .. لقد تركنا الرسول وشأنه ولم نذبحه . ولكن اذا أثرتم سخطنا فسوف تعلمون مانحن فاعلون فبحق مجد مصر والاله حابى وبطش صناديدنا واحتشاد جشينا فى القتال . فلسوف تعلم ايها العبد ماسيحل بك ...

فماذا أنت فاعل حيال ذلك ؟ سنوردك موارد التهلكة . وسنلقى أتباعك الظالمين خارجا وسنحرق آلهتك المرافقين لك اما أنت فلن نضيع الوقت فى طهى قطع من لحكمك ، بل سنمزقه بأسناننا كما تفعل الدببة والسباع الضارية ... والان ايها التعس .. تدبر امرك وارعو ... وفكر مليا فيما أنت مقدم عليه قبل أن ينصب عليك غضب مصر فيالِلعجب أن تهاجم أنت مصر .. فسيلحق بك العار على أيدى جحافل مصر » .

ذلك هو موقف المصريين من الغزاة أيا كانوا . وحتى حين استعمر الفرس مصر بعد أن ذاقوا الويل على أيدى ابنائها المدافعين الأمجاد ، لم يجدوها ـ كما ظنوا ـ لقمة سائغة أو فريسة سهلة المنال ، فقد كتب القتال على المصريين وهو كره لهم وكان عدوهم جبارا يمتلك موارد هائلة ، ولكنهم لم يرهبوه وإنما قاوموه مقاومة الأبطال الأحرار وابوا عليه ان يطأ ارضهم الطيبة الا مخضبة بدمائهم الزكية وبدأ كفاحهم الشعبى للتخلص من نير المستعمرين ، وهبوا فى وجه عدوهم ثائرين وراحت ثوراتهم تتكرر حتى أحالوا الوادى كله الى شعلة ملتهبة من الكفاح الشعبى المسلح .

هكذا فعلها المصريون حين قاموا بثوراتهم القومية وحركاتهم الاستقلالية ضد الحكم الفارسى فى عهد دارا .. واشتبك المصريون وقوات الاحتلال المنبثة فى أرجاء الوادى فأفنوها عن آخرها ، ونجحوا فى تحرير انفسهم وبلادهم من ربقة الاستعمار .

وبالرغم من استعادة الفرس لقواهم وعودتهم الى البلاد التى لم ينسوا ثراءها وخصوبة تربتها وأهمية موقعها الجغرافى ... الا ان المصريين لم يستسلموا لهم أبدا ... وظلت ثوراتهم تتلاحق على مدى العقود ، واستمروا يناوئون المستعمر حتى أحالوا حياته بينهم جحيما مستعرا بنيران الغضب والانتقام ، وظلوا كذلك الى ان تغيرت الأوضاع فى العالم القديم كله على أثر قيام الإسكندر الأكبر بغزو الشرق ..

خرج الفرس مدحورين من مصر بعد أن كان المصريون قد أذاقوهم الويلات من خلال ثوراتهم التى استعانوا فيها بجيرانهم وبخاصة الاغريق لبلوغ اهدافهم فى الحرية والاستقلال ... وامدهم هؤلاء بالرجال والسلاح ووقفوا الى جانبهم يشدون ازرهم ويقوون جانبهم حتى لقد امدوهم بقوة بحرية عاونتهم على حرب التحرير .

لهذا فحين جاء الإسكندر الى مصر فى طريقه لإنشاء امبراطوريته الواسعة فى الشرق ، لم يأخذه المصريون كعدو وغاز لبلادهم ولم يمكث الإسكندر فى مصر الا فترة قصيرة حاول فى خلالها التودد إلى المصريين بشتى السبل ، ذلك أنه وعى الدرس الذى لقنه المصريون الأحرار لمن سبقه من المستعمرين . وبدأ الإسكندر سياسة استمالة المصريين بأن احترم الآلهة المصرية المختلفة وقدم لها القرابين والهبات وشيد لها المعابد ... بل وتوج نفسه فرعونا فى معبد بتاح بمدينة منف ليصبغ حكمه لمصر بالصبغة الشرعية التى يرتضيها المصريون فلا يعتبر ملكا اجنبيا .. وإمعانا فى تأكيد ذلك زار الإسكندر معبد الإله آمون فى واحة سيوه حيث ظفر هناك بلقب « ابن آمون » .

البطالمة فى مصر

وبعد أن مات الإسكندر وتأسست دولة البطالمة فى مصر واتخذت الإسكندرية عاصمة لملكهم الجديد .. لم يستطيعوا أن يحكموا البلاد حكماً . هادئا مستقرا ، وعجزوا عن اقامة حكم قومى ينعم فيه الرعايا بالحرية والمساواة دون أى تفريق أو تمييز بين المحكومين .

وفعلها المصريون من جديد .. وبدأ كفاح شعبى مجيد قام به ابناء البلاد الوطنيون ضد هؤلاء الملوك الاجانب الذين استقلوا حقيقة بوادى النيل وشيدوا لمصر امبراطورية واسعة ، لكنهم ملأوا جنبات الوادى بأبناء جلدتهم من الاغريق والمقدونيين وحرموا عليهم المناصب الرفيعة واختصوهم بالمنح والهبات على حين حرموا المصريين خيرات بلادهم وأصبح أصحاب البلاد الأصليون فى الدرك الاسفل غرباء فى

وطنهم يكدون ويكدحون لمصلحة ملوكهم الجدد وشركائهم الاغريق والمقدونيين .. ولم يرض المصريون بهذه الأوضاع ولم يقبلوا الضيم ولم يستسلموا . وإن أدركوا أن قوتهم لن تستطيع مواجهة القوات البطلمية التى لم يشارك أهل البلاد فيها ، فقد لجأوا الى ضروب المقاومة السلبية يعبرون بها عن سخطهم على الملوك الاجانب وعلى من استقدموهم ، فكانوا يهربون من المزارع المكلفين بالعمل فيها ، ويتوقفون عن العمل فى المصانع والمناجم والمحاجر ، فيشيع الاضطراب فى الحياة الاقتصادية وتكابد الحكومة كثيرا من الخسائر الفادحة . وظلوا كذلك الى أن تهيأت لهم فرص القيام بثورات قومية مسلحة فلم يترددوا ، وإنما اشعلوها نيرانا حامية تتأجج فى أرجاء الوادى وتزلزل الأرض تحت أقدام ملوكهم الطغاة . وأرغموهم على تغيير سياستهم تجاه ذلك الشعب الفياض بالقوة والحيوية . بل كانت ثوراتهم القومية من أقوى العوامل التى أضعفت دولة البطالمة ثم أدت الى انهيارها آخر الأمر مع الانتصارات التى حققتها قوى الثورة على بطليموس التاسع واستمرت رحاها طوال ثلاث سنوات . وكان الثوار يقاومون مقاومة مجيدة رائعة إذ كانوا يخوضون معركة الشرف والحرية .. واستمر ذلك النضال حتى عهد بطليموس الثانى عشر ثم عهد كليوباترا التى عجزت عن أن تعيد دولة البطالمة الى سابق عهدها وباءت بالفشل واضطرت الى الانتحار فكانت آخر من ارتقى عرش مصر من اسرة البطالمة ..

وبدأ أبناء النيل يكتبون فى ظل الاستعمار الرومانى صفحة أخرى رائعة فى سجل كفاحهم الشعبى ومقاومتهم الباسلة للطغاة المستعمرين .

وكما فعلها المصريون فى مكافحة ومقاومة كل من جاءهم من المستعمرين . فعلوها أيضا مع الرومان . وإن كان هؤلاء قد امتد بهم العهد على مصر من عام ٣٢ ق . م حتى الفتح العربى عام ٦٤١ م .

الثورات ضد الرومان

قاوم المصريون الغزاة الرومان بكل ماتيسر لهم من أسلحة .. قاوموه بالعتاد الحربى ، واستماتوا فى الدفاع حتى إذا غلبوا على أمرهم قاوموهم بالثورات التى جعلت من الوادى جحيما لايطاق . فإذا ماخمدت الثورات لجأ المصريون الى حرب العصابات ، فإذا أعوزهم السلاح لجأ الفلاحون الى العصيان ، أو الاضراب ، أو الفرار من الأرض والاختفاء عن الأنظار فى الجبال والصحراء أو المستنقعات .

فإذا ماأعيت المصريين الحيل لجأوا الى سلاح آخر بتار . هو المقاومة السلبية فبذر المصريون بذور الكراهية للمحتلين عن طريق المنشورات السياسية والتكهنات العدائية ، أو رفضوا التعاون مع الغاصبين ، ولم تتأثر مصر طوال عهد الرومان بثقافتهم أو تأخذ بأساليب معيشتهم أو تؤمن بآلهتهم ، بل اتخذت من تراثها الموغل فى القدم ، ودیانتها المحيطة بها حالة من السحر والغموض وفى نزعتها المحافظة وكبريائها القومى دروعا تتقى بها شتى المؤثرات التى كانت كلها بالرغم من طول فترات الاحتلال الرومانى كالزبد الطافى الذى يذهب هباء .. أو القشرة الرقيقة التى لاتلبث حتى تنقشع .

وليس عجيبا فى الحقيقة ـ مع القوة الكامنة فى المصريين والقدرة على المقاومة ـ أن مصر لم تتأثر بالحضارة اليونانية إلا تأثرا سطحيا على الرغم من وفود الاغريق اليها زرافات ووحدانا واستقرارهم فى قراها وامتزاجهم بأهلها حقبة طويلة امتدت الى ثلاثة قرون . وانتهت لابتأغرق المصريين ، بل بتمصير الاغريق .. !

ولم يكن الرومان مع طول فترة احتلالهم أسعد حظا من الاغريق ، حيال هذه القوة الكامنة فى نفوس المصريين .. تلك القوة الروحية الخفية التى ثبتت للقوة المادية العاتية ، فأخضعت لسحرها جبروت الغزاة الفاتحين ، وجعلت من المغلوب غالبا .. !

ويمضى تاريخ طويل ، والغزاة من كل لون وصنف يظنون أنهم قد قضوا على العملاق ، فإذا به يمضى بأقدامه الراسخة ساخرا منهم . لقد ابتلع هذا الشعب العملاق غزاته .. وقضى على أعدائه وبقى خالداً .

ثم جاءت سنون من الضباب الكثيف وكان الظن ان العملاق الذى قدم للعالم أجمل وأخلد الفنون ، والذى بعث الطب والهندسة والشعر والقصص ، قد انتهى ، فاذا به يزيح الضباب فيرى العالم فى خطواته الجديدة فى العصر الحديث عملاقا يأخذ من الحضارة الانسانية الجديدة كما أعطاها من قبل .

ولكن الشعب المصرى لم يكد يخطو أولى خطواته حتى انبعثت قوى الشر من جديد تحاول أنْ تعوق سيره .

جاء الفرنسيون يحاولون غزو مصر جريا وراء أهداف استعمارية عسكرية . فى هذه المرة أيضا كانت الحرب بين المصريين والفرنسيين غير متكافئة .. تماما كما كانت غير متكافئة حينما جاء الفرنسيون فى حملتهم الصليبية من قبل ولكن المصريين حققوا النصر عليهم فى المنصورة ودمياط وأسروا ملكهم لويس التاسع . أما فى هذه المرة فقد كان نابليون بونابرت هو القائد الذى جاء بجيش يستعمل الاسلحة الحديثة التى تطورت فى أوربا بعد اختراع البارود ، بينما وسائل الدفاع فى مصر كانت لاتزال على حالها فى العصور الوسطى . ولذلك كانت القوى غير متكافئة من البداية الى النهاية وبالرغم من ذلك لم يتوقف المصريون عن مقاتلة الفرنسيين منذ نزولهم الى الاسكندرية عام ١٧٩٨ حتى جلاءهم عن البلاد بعد ثلاث سنوات . قاتلوهم فى مدن الوجه البحرى الكبرى ورفعوا لواء العصيان فى ساحات الدلتا

جميعا وقامت القاهرة بثورتين قوميتين عنيفتين كان لهما أثرهما فى إحراج مركز الفرنسيين . ولم يرحب أهل مصر بتودد نابليون اليهم وأخذ السخط يستفحل واختمرت اسباب الثورة وتكونت لجان تديرها وتنشر دعوتها وتنظم صفوفها واتخذت الأزهر مقرا لها . وبدأت المقاومة الشعبية فى الدلتا ومالبثت أن امتدت الى مدن الوجه البحرى الكبرى وريفه . وظلت حركة المقاومة ضد الفرنسيين مستمرة بانتظام فى طول القطر وعرضه ، حتى تم جلاؤهم عنه ...

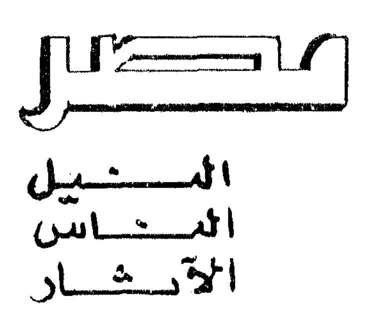
رشيد وهزيمة فريزر

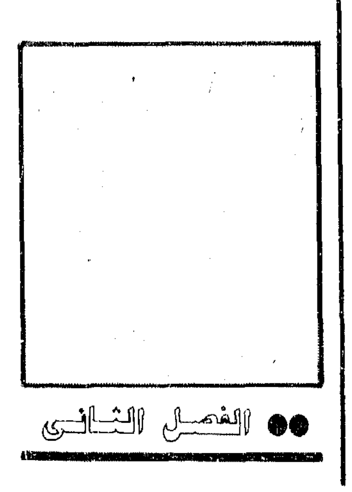
وجاء دور الانجليز واعتزم الجنرال فريزر احتلال رشيد لتكون قاعدة حربية يتزود منها الجيش ثم يزحف الى داخل البلاد واستعد أهالى رشيد للمقاومة . وعندما نزل الانجليز دون أن يشهدوا مظاهر المقاومة انتشروا فى الطرق والاسواق وماكادت المدينة تحتويهم حتى انهال عليهم أهل رشيد بإطلاق النار من النوافذ والسطوح ودب الرعب فى قلوب الانجليز وسقط الكثيرون منهم جرحى فى الشوارع وأنتهت الواقعة بهزيمة الجيش الانجليزى وارتدوا عن رشيد بعد أن احتمل الاهالى معظم اعباء انجهاد وأبلوا أحسن البلاء فى الدفاع عن مدينتهم . ومرة أخرى عاد الانجليز يضربون رشيد بالمدافع فى محاولة لإنزال الهزيمة بأهل رشيد .. ولكن أهالى مدن الدلتا كلهم تجمعوا لمساندة المدينة الباسلة وراحوا يناوشون القوات الانجليزية التى عجزت طوال حصارها للمدينة الذى استمر اثنى عشر يوما .. واستمر توافد الناس على رشيد من شتى بقاع الوجه البحرى حتى إذا وصلوا الى استحكامات الانجليز دهموهم من كل ناحية حتى اضطروا الى طلب الأمان فلم يؤبه لهم وقبض عليهم وذبح الكثير منهم .. ومالبث الانجليز أن جلوا عن رشيد ثم جلوا عن الاسكندرية ؟ وكان لوقفة المصريين أثرها فى الحيلولة دون تقدم الانجليز الى داخل البلاد ..

وفعلها الانجليز مرة أخرى .. ولكنهم فى هذه المرة كانوا مسنودين بحاكم مصر الخديوى توفيق الذى خان البلاد ودعاهم لنصرته .. وكانت الفرصة مواتية للانجليز ليستغلوا خيانة الخديوى وبعض أثرياء البلاد ليضربوا الثورة العرابية .. ودافع الشعب عن نفسه وعن ثورته وسع طاقته فى مواجهة تحالف الانجليز والاتراك والشراكسة والاقطاعيين مع الخديوى توفيق الذى لاينسى له أحد مارد به على أحد ضباطه والمدافع الانجليزية تصوب على الاسكندرية قال : « فلتحرق المدينة كلها حتى لايبقى فيها طوبة على طوبة . حرب بحرب . كل ذلك يقع على رأس عرابى وعلى رءوس أولاد الكلب الفلاحين .. ! » .

وهكذا بدأ الغزو الانجليزى لمصر عام ١٨٨٢ والذى استمر حتى قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ لتقضى على أسرة محمد على التى جلبت الانجليز الى مصر .. ولتقضى على الاقطاعيين والخونة الذين ساندوهم .. وتضع حدا للوجود الانجليزى على أرض مصر .. وليسترد الشعب كيانه وتبرز شخصيته التى ظلت تقاوم كل الغزاة طوال آلاف السنين ..

لقد طهر العملاق أرضه .. واختار طريقه وحدد خط سيره .. انه يريد أن يبنى مع البشرية حضارتها الجديدة .. وهو يرفع رأسه من جديد ليبنى حضارته الجديدة .. وليستمتع ابناؤه بأجمل مافى الحياة من حب وغذاء وفن وسمو .. وحرية .





الفصل الثانى

عواصم مصر السبع

نحن الآن فى قلب القاهرة الكبرى عاصمة مصر « المحروسة » أم الدنيا كما يسمونها ... والقاهرة هى مجمع التاريخ ... فهى تضم كل نماذج العصور التى مرت بمصر ... بمعالمها التى تعبر عن الأصالة والمعاصرة ... وما تعمر به من المتاحف ودور الآثار ، وأبرز منجزات الحضارة ، وأروع ما أبدعه الإنسان المصرى فى مجالات الفكر والثقافة والمعرفة والفن والعمارة والهندسة ، ابتداء من الآثار الفرعونية

وأهـرامات الجيـزة وسقارة والمقـابر الأثـرية ، الى المعـالم المسيحيـة التاريخية من كنائس وأديرة ومواقع مر بها السيد المسيح ، وهى المعالم التى تعتبر حلقة اتصــال بين الفن الفـرعونى والفن الإســلامى المبكر والمعاصر ، والذى تمثل فى معالم القاهرة الإسلامية من مساجد وجامعات وقلاع وأسوار ومتاحف ومعارض ومبان ضخمة ، تمتد فوق بساط من الخضرة النضرة يبرز وسط الصحراء الشاسعة على جانبى نهـر النيل الخالد ، وينبسط تحت اسم القاهرة الكبرى فى القرن العشرين ، والتى تمتد من الشاطىء الشرقى للنيل من حلوان جنوبا الى مصر الجديدة فى الشمال ،كما تمتد على الشاطىء الغربى من الجيزة جنوبا الى عين شمس والمطرية شمالاً .

العاصمة أون

إذا كان تاريخ القاهرة الرسمى يبدأ مع بنائها فى عهد المعزلدين الله الفاطمى وبقيادة جوهر الصقلى سنة ٩٦٩ ميلادية . الا أنها كانت لموقعها كما يقول المؤرخ المصرى الدكتور عبـدالمنعم أبوبكـر امتداداً عمـرانياً وتاريخياً لعواصم سبع لمصر الفرعونية والإسلاميـة نستطيع أن نـزور مواقعها خلال رحلتنا ... فالاسم الأول لعاصمة مصر التى وحدت بـين الشمال والجنوب هو « أون » أو عين شمس (هليوبوليس) التى شهدت تقدماً حضاريا واسعاً حيث وضعت التقويم الشمسى الذى قسم العام الى ثلاثة فصول واثنى عشر شهراً ، واحتفظ كبـير كهنتها خـلال العصور التاريخية بألقاب ترتبط بعلم الفلك مثل « كبير الرائين » و « المطلع على أسرار السماء » . كما نشأ بها أول مذهب دينى لتفسير نشأة الوجود ، وازدهرت فى جامعتها الأولى عين شمس القديمة علوم الفلك والهنـدسة والطب ...

منف .. عاصمة مينا

والإسم الثانى لعاصمة مصر فى نفس الموقع فى قرية ميت رهينة ، والتى أطلق عليها الملك مينا اسم « أنيحدج » أى الجرار أو الجدار الأبيض وتقع على الشاطىء الغربى للنيل فى نطاق القاهرة الكبرى الحالية الى الجنوب .. وهى نفسها العاصمة التى أطلق عليها منذ الأسرة السادسة الفرعونية عام ٢٤٥٠ ق . م إسم (منف) .

وقد بقيت منف طوال أيام الدولة القديمة المركز الرئيسى فى البلاد لكل مظهر ، من مظاهر الحضارة المصرية . ولقد أخذت تمتد فى الوادى نحو الشمال بضواحيها التى كانت تنشأ الى جوار كل هرم ملكى . وهذه الضواحى أو مدن الاهرامات امتدت الى منطقة الجيزة الحالية فى نطاق القاهرة الكبرى حيث شيد ثلاثة ملوك من الأسرة الرابعة هم خوفو وخفرع ومنقرع أهراماتهم الضخمة ، ثم الى الجنوب من الجيزة حيث أهرامات أبوصير ثم سقارة ودهشور ..

بابليون

والاسم الثالث لعاصمة مصر هو بابليون والواقعة فى أحد أطراف القاهرة الجنوبية المعروفة حالياً باسم مصر القديمة أو اثر النبى ، حيث قامت هذه العاصمة فى حصن بابليون والمدينة التى تحيط به والتى أطلق عليها المصريون القدماء اسم « حرى رع حا » وكان يخترقها الطريق البرى الذى يسلكه الناس من منف للوصول الى معبد أون فى عين شمس بأقصى الشمال . ويقول بعض المؤرخين إن بابليون كانت عاصمة وحصناً تم تشييده فى عصر الملك الفارسى قمبيز عام ٥٢٥ ق . م الذى اختار له هذا الاسم « بابليون » لأنه استغل فى تشييده صناعاً من جنسيات مختلفة على رأسها بعض البابليين الذين

فروا مع جيشه إلى مصر ، وإن كان مؤرخون آخرون ينسبون إنشاءه الى الامبراطور تراجان عام ١٠٠ م وقد بقيت بابليون أمنع حصون مصر فى العصر المسيحى حتى اضطر العرب الى الاستيلاء عليه قبل القيام بفتح بقية البلاد ... وبعد الاستيلاء عليه شيد عمرو بن العاص عاصمته الفسطاط فى محيط نفس الموقع واقام فى وسطها اول مسجد للاسلام فى مصر ...

تأتى بعد ذلك الاسماء الإسلامية للعاصمة المصرية داخل نطاق القاهرة الكبرى ... بعد الأسماء القديمة الثلاثة بمواقعها ... أون (عين شمس) ومنف (ميت رهينة) وبابليون (مصر القديمة) .

الفسطاط

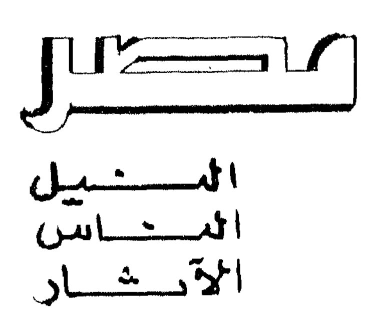
الاسم الرابع هو « الفسطاط » .. أول عاصمة فى مصر الإسلامية بعد الفتح سنة ٦٤١م ، حيث أقام بها عمرو بن العاس المسجد الذى سمى باسمه .. وهى العاصمة التى استمرت حتى جاء العباسيون الى مصر وأحرقها وزير خائن اسمه شاور ، القى عليها عشرين الف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار ، فارتفع اللهيب والدخان إلى عنان السماء ، واستمر الحريق أربعة وخمسين يوماً ، تحول بعدها الجانب الشمالى من الفسطاط الى اطلال وخلا من السكان .

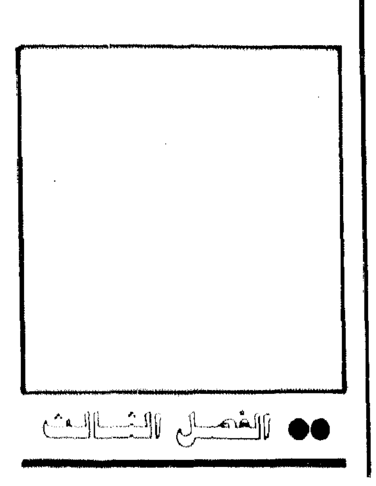
العسكر .. والقطائع

أما الإسم الخامس فهو « العسكر » التى أنشأها العباسيون عندما استولوا على مصر سنة ٧٥٠ م ، وقتلوا مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين ، وكان قد لجأ إلى مصر فاراً من جيوش العباسيين الذين استولوا على ملكه ... وظلت العسكر هى العاصمة طوال مدة أكثر من مائة عام وحتى عام ٨٦٨م حين استقل أحمد بن طولون

بحكم مصر وأقام بالعسكر ونزل بدار إمارتها لفترة ، وأسس بها مستشفى اشتهر بدقة أنظمته ثم شرع بعدها فى إقامة عاصمة جديدة هى « القطائع » وهو الاسم السادس للعاصمة المصرية التى أقامها أحمد بن طولون لتكون مركزاً لحكمه ومقراً لجنده وحاشيته ، حيث أقيمت المدينة الجديدة عام ٨٧٠م فى الطرف الشرقى من الفسطاط والعسكر عند حد جبل يشكر قرب سطح جبل المقطم الذى كان يعرف باسم قبة الهواء . وأقام ابن طولون فيها قصراً ودار إمارة ، وبيمارستان وقناطر للمياه مازال جزء منها قائماً حتى الآن جهة البساتين على طريق فم الخليج .. وأعظم ما أقيم فى القطائع هو مسجد أحمد بن طولون الذى لايزال يحتفظ حتى الآن بتفاصيله المعمارية وتتجلى فيه عظمة العمارة الإسلامية .

ثم نأتى بعد ذلك للإسم السابع لعاصمة مصر فى نفس القطاع .. والتى نقف الآن فى موقع القلب منها .. مدينة « القاهرة » .





هذه هى القاهرة

فى اليوم السابع عشر من شعبان سنة ٣٥٨ هـ ، الموافق السادس من تموز (يوليو) سنة ٩٦٩ م ... استولت جيوش الفاطميين بقيادة « جوهر الصقلى » على مدينة الجيزة الواقعة على الضفة الغربية لنهر النيل ، فى مواجهة العواصم الإسلامية الثلاث التى أنشئت لمصر على الضفة الشرقية للنهر .

يقول الباحث الأثرى مختار السويفى الذى يحمل تأشيرة دخول إلى الماضى الإسلامى :

فى ذلك اليوم ، عبر جوهر الصقلى بجيشه نهر النيل ، واستولى على العاصمة المصرية الكبرى ، والتى كانت تتكون من تلك العواصم الثلاث ، بعد أن تداخلت مبانيها وشوارعها وحواريها بشكل جعل منها جميعاً مدينة واحدة . ولم تستغرق معركة الاستيلاء على العاصمة وقتاً طويلاً ، وتحقق انتصار الجيوش الفاطمية الغازية بسهولة شديدة .

وبعد العصر ، عسكرت الجيوش الغازية فى الأرض الفضاء الواسعة التى يشرف عليها تل المقطم من الشرق ، ويحدها من الغرب مجرى مائى متفرع من النيل اسمه « الخليج المصرى » وكان يصل مابين العاصمة المصرية ومدينة القلزم (السويس) على البحر الأحمر .

ورغم غروب الشمس وحلول الظلام ، لم يدع جوهر لجنوده ولا لنفسه فرصة للراحة والتقاط الأنفاس ، ولم يضيع الوقت ولو حتى انتظارا لضوء النهار التالى ، فأمر بأن تختط لمصر عاصمة جديدة ، تليق بخلفاء الدولة الفاطمية الذين خططوا للسيطرة على المغرب والمشرق ، وليحكموا العالم الإسلامى بأسره باعتبارهم خلفاء الرسول وأولى وأحق الناس بحكم المسلمين .

أعد جوهر كل شىء فى تلك الليلة المشهودة ، وطلب من « المنجمين » الذين كانوا ضمن جيشه ، أن يدققوا النظر فى السماء ، ليروا النجوم الطوالع ، وليختاروا « طالعاً » ذا فأل حسن ، وعندئذ يعطوا علامة فورية يشرع على أثرها فى بناء المدينة الجديدة .

ونصب أعمدة خشبية حول دائرة المكان الفسيح ، وعلق بينها حبالاً تتدلى منها أجراس صغيرة وكانت العلامة المتفق عليها أن يقوم

المنجمون بشد تلك الحبال ، فتتحرك الأجراس كلها ، فيبدأ العمال على الفور فى رمى مابأيديهم من طين وحجارة ، ويشرع الحفارون فى حفر أساسات القصور والأسوار .

القاهر فى الطالع

ويبدو أن غراباً من غربان الليل ، كان يشاهد من مكمنه تلك الحركات الغريبة التى لم تحدث فى ليالى ذاك المكان من قبل ، وربما اندهش الغراب من رؤية ذلك الحشد الهائل من الجنود الذين يبلغ عددهم نحو مائة ألف ، والذين كانوا يشتركون بشكل أو بآخر فى عملية إنشاء المدينة الجديدة لذلك فقد طار الغراب ليشاهد هذا التجمع الغفير من الناس من زاوية أخرى ، وحط عشوائياً على أحد الحبال الممتدة بين الأعمدة ، فتحركت على الفور جميع الأجراس . وفى لمح البصر بدأ الجميع فى عملية البناء ، اعتقاداً منهم أن المنجمين قد وجدوا الطالع ذا الفأل الحسن ، وقرعوا الأجراس كعلامة لبدء البناء .

وعندئذ صاح المنجمون بعد أن أخذتهم هذه المفاجأة غير المقصودة وقالوا : « القاهر فى الطالع » والقاهر هو كوكب « المريخ » الذى يسميه العرب ، « قاهر الفلك » ... ومن هنا جاء اسم « القاهرة » .

ويذكر بعض المؤرخين رواية أخرى مفادها أن جوهر الصقلى بعد أن انتهى من بناء قصور ومنشآت وأسوار المدينة الجديدة ، سماها « المنصورية » وذلك تيمنا باسم مدينة المنصورية التى شيدها الخليفة الفاطمى المنصور بالله ، والد الخليفة المعز لدين الله خارج مدينة القيروان . ولكن عند وصول المعز الى العاصمة المصرية الجديدة ، أطلق عليها اسم « القاهرة » بعد سماعه لحكاية كوكب المريخ

« القاهر » الذى طلع بسماء المدينة لحظة البدء فى بنائها ، وكان وصوله موافقاً ليوم الثلاثاء العاشر من حزيران (يونيو) سنة ٩٧٧ م .

وكانت المدينة أيامئذ تحتل مساحة مربعة واسعة ، يبلغ طول ضلعها نحو كيلو متر واحد وبضعة أمتار قليلة ، بمساحة كلية تبلغ نحو ٣٤٠ فداناً . منها ٧٠ فداناً لقصر الخليفة وحده ، و ٣٥ فداناً تشغلها مساحة خضراء من الحدائق والبساتين ، و ٣٥ فداناً اخرى للشوارع والميادين . أما المساحة المتبقية وقدرها ٢٠٠ فدان ، فقد تم توزيعها على بعض القبائل وجماعات الروم القادمة مع القوات الغازية .

ومعنى ذلك أن « القاهرة » فى أول عهدها لم تكن مدينة يسكنها الناس ، بل كانت عبارة عن معقل حصين ، يسكنه الخليفة الفاطمى وحريمه وأسرته وجنده وخواصه من المسؤولين ورجال الدولة . ولا تضم المدينة من المبانى سوى « القصرين » ـ القصر الكبير والقصر الصغير ـ ومنطقة بين القصرين المخصصين لسكنى الخليفة وبعض قصور أخرى للأمراء وقادة الجيوش ، وبعض المنشآت التى تتضمن معسكرات القبائل التى تؤلف فرق الجيش وأشهرها قبائل زويلة والبرقية وبعض الأروام . وقد اختصت كل قبيلة وجماعة بالحى الخاص بسكناها . كما كانت تشمل بعض الدور المخصصة لدواوين الحكومة المركزية وخزائن المال والسلاح ، بالاضافة الى مبنى الجامع الأزهر . (ولم يكن بالاتساع الذى هو عليه الآن) .

وكان يحد المدينة من جوانبها الأربعة سور يحيط بها ، مبنى بالطوب اللبن ، فى كل ضلع من أضلاعه أقيم بابان كبيران مبنيان من الحجر .

الدخول بتصريح

ولعل من أكثر الأمور غرابة أن الشعب المصرى من سكان مصر القديمة (الفسطاط) والمدن والأقاليم المصرية الأخرى ، لم يكن مسموحاً له بدخول مدينة القاهرة . فقد كانت مدينة ملكية عسكرية يسكنها الفاطميون . أما أبناء الشعب فلا يمكنهم الدخول إليها إلا بعد الحصول على إذن أو تصريح خاص ، لا يصدر إلا بعد التحرى الدقيق لمعرفة السبب فى الدخول . وعندئذ فقط كان يسمح للمصرى بعبور إحدى البوابات الضخمة التى فتحها جوهر الصقلى فى السور الذى بناه حول المدينة ، وذلك بعد دفع الرسوم المقررة .

ولم يكن مسموحاً أيضاً للسفراء والمفوضين الأجانب أن يدخلوا القاهرة راكبين خيولهم ، بل كان عليهم أن يترجلوا ويتركوا خيولهم عند أحد الأبواب ، ويدخلوا المدينة سائرين على أقدامهم وتحت رقابة الحرس ! .

غير أن الشعب المصرى لم يعدم وسيلة لمجابهة هذا الوضع الغريب الشاذ ، فازدادت حركة العمران فجأة ، وزحف الناس بمساكنهم تجاه المدينة الجديدة من كل جانب خارج أسوارها ، وأحاطوها بالخطط الجديدة والبيوت والشوارع والدروب والحوارى ، بل وحفروا قبورهم أيضاً بالقرب من أسوارها وأبوابها .

وهكذا لم يمض وقت طويل حتى تلاشت حدود المدينة التى بناها المعز لدين الله ، وسط حركة البناء المستمرة التى لا ينتهى زحفها نحو المدينة . وبمرور الأيام وازدياد حركة العمران ، زالت جميع الأسوار التى بناها جوهر الصقلى ليحمى بها عاصمة الفاطميين ، واختفت معالمها تماماً .

وما إن مضى قرن من الزمان ، حتى وصلت أحوال الخلفاء الفاطميين بالقاهرة إلى درجة من البؤس يرثى لها . ففى عهد الخليفة

المستنصر ساءت أحوال البلاد المصرية كلها بما فيها العاصمة ، ونقص النيل وهجرت الحقول ، فعمت المجاعة وانتشر الطاعون يفتك بالناس ، وعز الطعام وندر ، لدرجة أن الخليفة نفسه كان يعيش على رغيفين اثنين من الخبز ، تتصدق عليه بهما امرأة فاضلة هى بنت أحد العلماء ! .

وقد استمرت تلك الحالة السيئة نحو سبع سنوات عجاف ، انتهت بقيام الخليفة الفاطمى ، باستدعاء العبد الأرمنى الذى كان يحكم سوريا آنئذ ، وكان اسمه « بدر الجمالى » ليتولى حكم مصر .

سور القاهرة

وصل بدر الجمالى إلى القاهرة فى سنة ١٠٧٩م . فقلده الخليفة الفاطمى وزارة القلم والسيف، وأنعم عليه بعديد من الألقاب أهمها : « أمير الجيوش » كافل قضاة المسلمين .... و« هادى دعاة المؤمنين » ..

وكانت السنوات العجاف قد أوشكت على الانتهاء وعاد الهدوء إلى النفوس الثائرة بعد أن سمح للشعب بأن يدخل القاهرة بلا إذن ولا تصريح ، بل وسمح لكل من يستطيع البناء أن يبنى لنفسه أو لغيره مسكناً . وقام بدر نفسه بتعمير المنطقة التى يطلق عليها الآن « حى الجمالية » وأقام فيها عدة بيوت وفنادق ووكالات تجارية كان يقوم بتأجيرها لمن يريد ، ووسع حدود المدينة من الشمال والجنوب .

غير أن أهم الأعمال التى قام بها بدر الجمالى ى مدينة القاهرة هو بناء أسوار جديدة تضم حدود المدينة والتوسعات التى أضيفت إليها . وقد أقيمت هذه الأسوار أيضاً من الطوب اللبن ، لذلك اندثرت مع مرور الزمن ، ولم يعد باقياً منها أثر يذكر .

ولأن بدر الجمالى كان أرمنياً ، فقد استقدم ثلاثة من المهندسين الأرمن ، ويقال إنهم كانوا أخوة أشقاء ، وطلب منهم أن يصمموا للقاهرة أبواباً من الحجر تؤدى دور الحصون الحربية . وقد قام هؤلاء الأخوة الأرمن بالفعل بإنشاء ثلاثة أبواب ضخمة ، لكل منها طراز معمارى مختلف ، وهى باب الفتوح وباب النصر بشمال المدينة ، وباب زويلة بجنوبها ... وهى الأبواب الثلاثة التى مازالت باقية فى أماكنها بالقاهرة حتى يومنا هذا .

ويعتبر السور الذى بناه بدر الجمالى ثانى الاسوار التى بنيت حول القاهرة بعد السور الأول الذى بناه جوهر الصقلى . والسوران كانا مبنيين من الطوب اللبن ، ولذلك سرعان ما لحق بهما التلف ، الواحد بعد الآخر . وبعد أقل من مائة سنة مرت على بناء السور الثانى ، وبالتحديد فى سنة ١١٧٤م ، أمر صلاح الدين الأيوبى وزيره بهاء الدين قراقوش بعمل سور ضخم من الأحجار (وليس من الطوب اللبن) يضم القاهرة كلها بجميع توسعاتها ، كما يضم ما تبقى من العواصم الثلاثة السابقة (الفسطاط والعسكر والقطائع) .

ونظراً لأن بناء مثل هذا السور الضخم كان يتطلب مئات الآلاف من قطع الأحجار المنحوتة الجاهزة للبناء فى أقل وقت ممكن ، فقد أمر قراقوش بفك معظم الأهرامات الصغيرة والمعابد الواقعة بمنطقة الجيزة وقام بنقلها إلى الضفة الشرقية لنهر النيل ، حيث نقلت براً إلى المناطق التى كان يجرى بناؤها فى أسوار القاهرة وأبوابها . وهى نفس الطريقة التى اتبعها بدر الجمالى من قبل فى بناء الأبواب الحجرية للقاهرة ، بل واتبعها أيضاً الحاكم بأمر الله فى بناء جامعه وقواعد مآذنه ، وتظهر بوضوح حتى الآن ، أحجار كثيرة فى كل تلك المبانى ، ما زالت عليها النقوش الفرعونية بألوانها البديعة التى ظلت تقاوم الزمن عبر آلاف السنين التى مرت .

وقد ظلت أجزاء كثيرة من السور الذى بناه صلاح الدين الأيوبى باقية حتى الآن . ولكن غالبية أجزائه الأخرى تهدمت واندرست مع مرور الزمن ، ومع التوسعات التى كان يجريها الأهالى على مدى الأجيال المتعاقبة ، لدرجة أن بعض الأهالى كانوا يهدمون بعض أجزاء السور ليحصلوا على الأحجار اللازمة لبناء مساكنهم .... ! .

أبواب القاهرة

وقد قام صلاح الدين أيضاً بإصلاح وترميم وتقوية الأبواب الثلاثة (الفتوح والنصر وزويلة) التى أنشأها بدر الجمالى ... وتعد هذه الأبواب من أعظم التحصينات الحربية الإسلامية فى مصر كلها ، بل ولا يوجد لهذه الأبواب مثيل على الإطلاق فى كافة الدول والمدن الإسلامية الأخرى . ويمكن القول بأن أعمال البناء والتصميم المعمارى الرائع لهذه الأبواب الثلاثة ، قد بلغت درجة من الكمال والقوة لم يصل إليها أى بناء آخر فى العصور الإسلامية التالية . وهو الأمر الذى نوه عنه وأشاد به كل الرحالة الأوروبيين الذين كتبوا عن زياراتهم لمصر فى خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

ويقع باب الفتوح فى الجانب الشمالى من أسوار القاهرة ، وتتكون كتلته المعمارية من برجين مستديرين ضخمين مصمتين إلى ثلثيهما . أما الثلث العلوى للبرجين ، فينقسم إلى غرف حصينة للجنود ، بها فتحات عديدة لرمى السهام .

ويقع الباب نفسه بين هذين البرجين وهو باب ضخم جداً يتكون من ضلفتين ، ومصنوع من الخشب المتين السميك المقوى بشنابر حديدية ذات مسامير كبيرة تبرز صفوف رؤوسها اعلى الواجهة الخارجية . وفى سقف الباب والمدخل توجد فتحات كانت تصب منها الزيوت المغلية أو السوائل الكاوية على جنود العدو إذا اقتحموا الباب وارادوا الدخول إلى القاهرة .

ومن سطح برجى باب الفتوح تظهر بانوراما واسعة لمعالم القاهرة القديمة والقاهرة الحديثة ، ومئات من القباب ومنائر ومآذن الجوامع والمساجد ، كما يظهر جامع الحاكم بأمر الله ملاصقاً لمبانى السور الحجرى الشاهق الذى يربط ما بين باب الفتوح وباب النصر .

والطراز المعمارى لباب النصر مختلف تماماً عن الطراز المعمارى لباب الفتوح . فالبرجان هنا مربعان وليسا مستديرين وتتحلى الجدران الخارجية لكل برج بنماذج فنية من الحجر المنحوت ، تمثل أشكالا مختلفة للأدوات الحربية التى كانت مستعملة فى ذلك الزمان .

ويتوسط المسافة بين البرجين باب ضخم من الخشب السميك المسلح بالقضبان والاشرطة الحديدية والمسامير الكبيرة ويعلو سقف الباب والمدخل فتحات كانت تستخدم لصب السوائل المهلكة على رؤوس المغيرين .

ويتصل باب النصر بباب الفتوح بطريق فوق السور الحجرى الشاهق . وهو طريق بديع من الناحية المعمارية . فهو مغطى فى بعض أجزائه بقباب هندسية توحى بالإحساس بالقوة والصلابة ، وتوجد به حجرات وقاعات مسقوفة ، تتخللها مزاغل ونوافذ كانت تستخدم لرمى السهام عند الدفاع عن القاهرة .

ومن أطرف الحكايات التى تروى عن باب النصر ، حكاية ذلك الضريح المتواضع الذى يقع خلف الضلفة اليمنى للباب والمدفون به أحد الأولياء الطيبين الذين كانوا يعيشون بالقاهرة القديمة ، وكان اسمه « حسن الذوق » ـ لاحظ تركية الإسم ـ وكان هذا الرجل فى غاية من لطف المعشر والذوق الرفيع فى معاملة الناس .

ويقال إن الرجل تعب كثيراً فى محاولة منع المشاجرات والمنازعات التى كانت تنشب بين الناس لأسباب مختلفة ، ومحاولة تهدئة خواطر الثائرين الذين كانوا يفقدون أعصابهم فيسبون ويلعنون ... وكان

يقضى وقته كله فى تعليم الناس الذوق السليم وأساليب التعامل بالحسنى والمعروف ، إلى أن زهق وكاد أن يشعر باليأس ، فقرر أن يترك القاهرة كلها مهاجراً إلى أى مكان آخر أو مدينة أخرى .

وبالفعل حمل الرجل متاعبه على ظهره ، وسار مودعاً شوارع القاهرة متجهاً إلى باب النصر ليخرج من المدينة . ولكن يشاء القدر أن يحل أجل الرجل عندما أوشك أن يخطو خارجاً من الباب . فقام الأهالى بدفنه جوار باب النصر من الجهة الداخلية . ولعل هذا هو السبب فى أن القدماء من أهالى القاهرة كانوا يقولون دائماً بلهجتهم العامية : « الذوق ماخرجش من مصر » ....

باب زويلة .. والاعدام

ويعتبر باب زويلة أجمل الأبواب الثلاثة . وهو يقع فى الناحية الجنوبية من سور القاهرة الذى بناه بدر الجمالى . وطرازه المعمارى أقرب ما يكون إلى طراز باب الفتوح ببرجيه المستديرين . ولعل السبب فى إبراز الجمال المعمارى لباب زويلة ، هو قيام السلطان« المؤيد شيخ » وهو أحد سلاطين المماليك الشراكسة المعروفين بالمماليك البرجية فى سنة ١٤١٢م ببناء مئذنتى جامعه الفخم الملاصق لباب زويلة من ناحية الغرب .

وتعتلى كل واحدة من هاتين المئذنتين أحد البرجين اللذين يتكون منهما الباب الضخم . وتعتبران من أجمل المآذن المملوكية التى تعلو جوامع ومساجد القاهرة . وقد أعطتا البرجين جمالاً لا تخطئه العين .

ولكن باب زويلة له شهرة بغيضة ، حيث كانت تجرى عنده عمليات الإعدام ، سواء بالشنق أو بقطع الرؤوس أو بقطع جسم المحكوم عليه إلى نصفين . وكانت الرؤوس المقطوعة أو الجثث

المشنوقة تعلق على الباب لمدة كافية حتى تؤدى دورها كعبرة للآخرين ... !

ومن أشهر عمليات الإعدام التى أجريت عند باب زويلة ، عملية شنق السلطان طومانباى ، آخر من تولى الحكم فى دولة المماليك الشراكسة ، والذى أعدمه السلطان العثمانى سليم الأول عندما استولى على مصر ودخل القاهرة سنة ١٥١٧م .

أبواب أخرى

منذ سنوات قليلة اكتشفت عند تلال الدراسة بقايا باب كان اسمه « باب التوفيق » . ويقع فى الجانب الشرقى لسور القاهرة الذى أقامه صلاح الدين الأيوبى . وكانت بقايا ذلك الباب مغمورة بأكملها تحت أكوام القمامة التى كانت تلف تلك المنطقة خارج أسوار القاهرة .

ومن الغريب أن جميع أبواب القاهرة فى الجانب الشرقى من سورها قد زالت واندثرت آثارها . ولكن لحسن الحظ فإننا نعرف أوصافها ومواقعها من خلال كتابات المؤرخين الذين أرخوا للقاهرة ووصفوا منشآتها ومبانيها .

وعلى سبيل المثال فقد كان بالجانب الشرقى للسور الذى يطل على جبل المقطم ، باب كان يسمى « باب القراطين » ، وسمى بهذا الإسم لأنه كان قائماً بجوار سوق للمواشى والأغنام ، وكان يجلس عنده « القراطون » الذين يبيعون « القرط » وهو نبات البرسيم .

وقد سمى هذا الباب فى احدى حقب التاريخ باسم « الباب المحروق » وذلك بسبب ما فعلته إحدى فرق المماليك البحرية التابعة لأمير مملوكى اسمه « اقطاى » وكان عددهم نحو ٧٠٠ مملوك ، فروا جميعا حين علموا بمقتل أميرهم هذا ، وأرادوا الخروج من القاهرة

ليلاً ، وحين وصلوا إلى هذا الباب وجدوه مغلقاً ، لأن أبواب القاهرة كانت تغلق كلها بعد غروب الشمس ، فقام هؤلاء المماليك بإحراق الباب ودمروه حتى يتمكنوا من الهرب من فرق المماليك الأخرى التى كانت تتعقبهم .

وثمة باب آخر فى الجانب الشرقى من سور القاهرة كان يسمى « باب البرقية » حيث كانت تسكن بجواره طائفة من الجنود القادمين من « برقة » . وقد سمى هذا الباب فيما بعد باسم « باب الغريب » .

أما الجهة الغربية من أسوار القاهرة والتى كانت تطل على الخليج المصرى ، فقد أنشئت فيها أبواب كثيرة زالت كلها ، ولم يبق منها سوى أسمائها التى أطلقت على الأحياء أو الأماكن التى كانت قائمة بها وذلك مثل « باب سعادة » الذى كان منسوباً إلى سعادة بن حيان غلام المعز لدين الله الفاطمى . و « باب القنطرة » التى بناها جوهر الصقلى على الخليج ليسير عليها حتى يصل إلى « المقس » . (منطقة الأزبكية الآن) .

وفى مواجهة باب القنطرة على البر الغربى للخليج ، كان يقع « باب الشعرية » الذى سمى كذلك بسبب وجود طائفة من البربر كانوا يسمون « بنى الشعرية » يقيمون بجواره ، وقد ظل هذا الباب قائما إلى أن أزيل سنة ١٨٨٤م بسبب تصدع مبانيه وبسبب فتح وإنشاء شوارع وطرقات جديدة . ومع ذلك فقد ظل اسم « باب الشعرية » باقيا حتى الآن ، حيث أطلق على الحى الشعبى الكبير الذى يقع بين حى الجمالية وحى الفجالة والأزبكية .

وقد حرص القاهريون على إطلاق أسماء الأبواب العديدة التى كانت قائمة بأسوار القاهرة ، وأبواب الحارات الكبرى ، على نفس الأماكن التى كانت موجودة بها تلك الأبواب قبل اندثارها وزوالها

ولعل أشهر هذه المسميات التى ظل معظمها باقياً حتى الآن : (باب القوس ، باب الخوخه ، باب الشعرانى البرانى ، باب الفرج ، باب الخلق ، باب اللوق ، باب الزهومة ، باب الذهب ، باب الزمرد ، باب قصر الشوق ، باب الديلم ، باب تربة الزعفران ، باب البحر ، باب الحديد ، باب الوزير ، باب القرافة ، باب الصفاء ، باب الفسطاط ، باب السلسة ، باب العزب ، باب المدرج ...) .

ولولا ذكاء القاهريين فى تخليد أسماء هذه الأبواب بعد زوالها ، لما علمنا أن القاهرة كان لها كل تلك الأبواب ، ولما علمنا بحكايات تلك الأبواب وتاريخها .. ذلك التاريخ الذى يعتبر جزءاً لا يتجزأ من تاريخ القاهرة والقاهريين .

الجامع الأزهر

الجولة فى القاهرة وبدايات تاريخها تقودنا بالضرورة إلى آثار ومعالم القاهرة الفاطمية ... لا شك أن أبرز هذه المعالم هو الأزهر الشريف مسجد القاهرة الكبير ، وجامعتها العتيدة ، وجزء خالد من مجدها وتاريخها .

والأزهر هو أقدم الجامعات الإسلامية وأعرقها ، تطور من حلقات الدرس حيث كان الطلبة يلتفون حول أساتذتهم فى صحن الجامع الكبير أو أروقته ، إلى المدرجات الحديثة والمعامل المجهزة بأحدث ماوصل إليه العلم .. وتطور من حيث العلوم التى تدرس فيه ، وأصبح الآن يجمع بين العلوم الدينية والتخصصات العلمية مثل الطب والعلوم والهندسة .. حيث لم يكن فيه قبل ذلك دراسات علمية فى غير الطب والفلك .

ونذكر فى البداية أن جوهر الصقلى وضع فى عام (٣٥٩هـ) (٩٧١ م) أساس الجامع الأزهر وتم بناؤه فى عامين وأقيمت الصلاة

فيه لأول مرة فى ٧ رمضان عام ٩٧١م وقد أطلق الفاطميون إسم الأزهر على ذلك المسجد الجامع نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء ابنة رسول الله ﷺ والتى ينتسب إليها الفاطميون ، وقيل أيضاً إن اسم الازهر اطلق على الجامع الذى كان معروفا باسم جامع القاهرة عند إنشائه لأن الفاطميين بنوا عدة جوامع أخرى بالقاهرة ، فأسموا هذا الجامع الأزهر لأنه يزهو على بقية المساجد التى أنشأوها ويكبرها حجماً ، علاوة على أنه كان الجامع الرسمى للدولة الفاطمية .

ونتجول بين أبهاء الجامع الأزهر .. الجامع الذى نراه اليوم ليس كله بالجامع الفاطمى الذى وضع أساسه جوهر الصقلى ، ولكنه فى الحقيقة مجموعة من الآثار التى ضمت إليه فى عهود وأزمنة مختلفة ، ولم يبق من الأعمال الفاطمية فى الجامع سوى المحراب الكبير بكتاباته ونقوشه ، والزخارف الجصية والكتابات حول الشبابيك الباقية وعقود المجاز بجانبيه وما اشتملت عليه من زخارف وكتابات كوفية وزخارف وكتابات عقود مؤخر الإيوان الشرقى من الداخل وترجع إلى عصر الحاكم بأمر الله ، ثم القبة التى على رأس المجاز وقد احتفظت بنقوشها وكتاباتها الكوفية .

وقد كان الجامع يحتوى على المقصورة وهى المكان المسقوف ، وصحن الجامع وهو مكشوف غير مسقوف ، وكانت المقصورة تتكون من ٧٦ عموداً من المرمر الأبيض ، أضيف إليها مقصورة أخرى قام بإنشائها الأمير عبدالرحمن كتخدا فى عام ١١٦٧هـ ١٧٥٣م وتشمل أعمال هذا الأمير فى الأزهر الكثير ، فهو الذى أنشأ الباب الكبير الغربى وهو الباب الرئيسى للجامع الآن ، وهو باب أعيد بناؤه من جديد وحوفظ على طرازه وأعيدت إليه الزخارف والكتابات الرخامية .

مآذن الأزهر

ونطل إلى المحاريب والمآذن . هناك خمس منارات كان يؤذن عليها خمسة من المؤذنين فى وقت واحد . ولعل أبرز هذه المنارات هى المنارة

الضخمة ذات الرأس المزدوج ، والتى أنشأها السلطان قنصوه الغورى عام ٩١٥هـ « ١٥١٠م » ، وتمتاز بوجود سلمين فيما بين دوريهما الأول والثانى لايرى الصاعد فى أحدهما الآخر . أما المحاريب بالجامع فكان عددها عشرة لم يبق سوى ستة محاريب أهمها المحراب الأصلى ، والمحراب الجديد فى المقصورة القديمة وتحيط بصحن الجامع من الناحية الجنوبية حتى الآن عدة أروقة الجبر والأتراك ، والمغاربة ، وكان الطلبة يشغلون هذه الأروقة ويقيمون فيها وبها دواليب أمتعتهم المصنوعة على الطراز العربى .

أما مساحة المسجد الحالية فتصل حوالى ١٢ الف متر مربع وتمثل حوالى ضعف مساحته القديمة . كل ذلك بخلاف منشآت جامعة الأزهر ومستشفى الحسين الجامعى المقام بجوار الجامع ومكتبة الأزهر التى تحتل المدرسة الطيبرسية وهى على يمين الداخل إلى الأزهر وأنشأها علاء الدين طيبرس نقيب الجيوش المصرية وتمت عمارتها عام ٧٠٩هـ ، وهى غير المكتبة القديمة التى قال عنها المؤرخون إنها كانت من أهم مكتبات عصرها . والمكتبة حالياً تضم نوادر فى كثير من الآثار الإسلامية والمحفوظات والمؤلفات الدينية والفنية لا تتيسر لمكتبة أخرى .

مبنى المدرسة الطيبرسية بها محراب من أنفس المحاريب الرخامية بدقة رخامه وفسيفسائه المذهبة ، كما أن مبنى مدرسة الأمير اقبغا عبدالواحد والواقعة إلى يسار الباب الغربى الكبير يسترعى النظر فيها جمال مدخلها ومحرابها برخامها الدقيق وفسيفسائها المذهبة . ويتوسط المدرستين هذا الباب الحافل بالكتابات والنقوش والذى جدده السلطان قايتباى الذى أنشأ المنارة على يمينه وهى من أرشق منارات مصر .

جامع الحاكم

من المعالم والآثار الإسلامية الفاطمية الأخرى بالقاهرة جامع الحاكم ، وقد سمى هذا الجامع الفريد بجامع الحاكم أو الجامع الحاكمى نسبة إلى الحاكم بأمر الله ثالث الخلفاء الفاطميين بمصر . ورغم أن بناءه قد بدأ فى عهد أبيه الخليفة العزيز بالله سنة ٩٩٠م . فلم يكتمل البناء تماماً إلا فى سنة ١٠١٠م فى عهد الحاكم .

وقد اطلقت على هذا الجامع أسماء أخرى فى العصور التالية ، فقد سمى « جامع الخطبة » وذلك حين أمر صلاح الدين الأيوبى بوقف خطبة الجمعة بالجامع الأزهر ، والاكتفاء بإلقائها فى جامع الحاكم الذى اعتبر وقتئذ المسجد الرسمى للدولة الأيوبية السنية .

كذلك فقد اطلق عليه اسم « الجامع الأنور » وذلك على غرار تسمية الجوامع الفاطمية التى أنشئت بالقاهرة بأسماء مثل الأزهر والأقمر والأنور .

ولجامع الحاكم منارتان ضخمتان متماثلتان فريدتا الطراز ، ولا يوجد فى مصر كلها مآذن أو منائر مثيلة لهما . وتقع إحدى المنارتين فى ناحية الشمال بينما تقع الأخرى ناحية الجنوب . والطراز الهندسى الذى تمثله كل منارة منهما ، هو ما يطلق عليه فنياً اسم طراز « المباخر » .

وتتكون كل منارة من ثلاثة أقسام يرتفع كل منها فوق الآخر . فالقاعدة مربعة الشكل يليها القسم الأوسط الذى يأخذ شكلاً مثمن الأضلاع ، ويعلوه القسم العلوى الأخير ويأخذ الشكل الأسطوانى بقاعدة دائرية ترتكز على الأضلاع الثمانية .

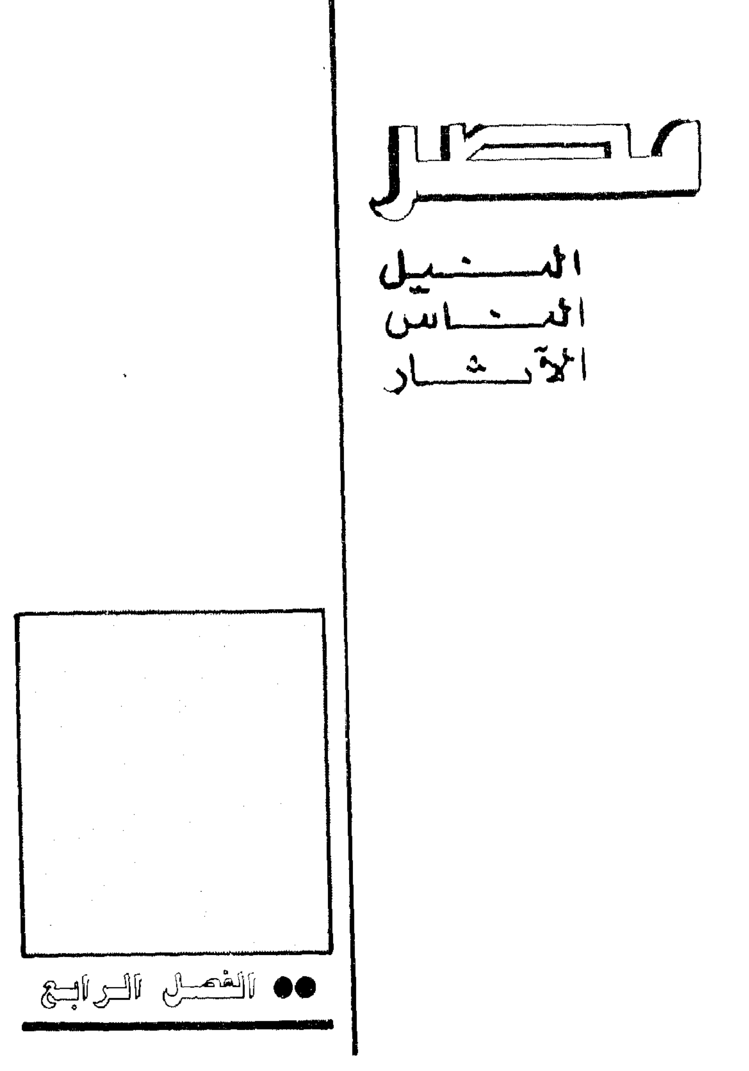
ويقول علماء « الجماليات » إن هذا الشكل المركب من المربع والمثمن والدائرة . تتبلور فيه فلسفة العمارة الإسلامية وعناصرها

الجمالية ، حيث يرمز المربع أو المثمن إلى الأرض ، كما ترمز الدائرة إلى السماء ، وبذلك يتحقق الهدف المستمر وهو علاقة الأرض ومن يعيشون عليها بسماء الله الواسعة .

وعلى مدى حقب التاريخ الإسلامى لمدينة القاهرة ، تعرض جامع الحاكم بأمر الله إلى العديد من المآسى والمحن . كانت أقساها حين دخل الصليبيون مدينة القاهرة فى ١١٦٧م وحولوا جانبا منه إلى كنيسة ، كما تأثر الجامع بالزلزال الذى هز مصر كلها سنة ١٣٠٢م ، فتخربت مبانيه ، وتساقطت أعالى مآذنه ، وتصدعت سقوفه وبعض جدرانه ، فقام بترميمه السلطان المظفر ركن الدين بيبرس البندقدارى ، وهو أحد سلاطين المماليك الأتراك المعروفين بالمماليك البحرية .

وقد تعرض جامع الحاكم لمراحل عديدة من التخريب والإهمال ، وأعيد ترميمه وإصلاحه عدة مرات على مدى القرون المتعاقبة . ولعل أشهر الترميمات القديمة ، ما قام بها نقيب الأشراف السيد عمر مكرم سنة ١٨٠٨م فى عهد محمد على ، ثم قامت « لجنة حفظ الآثار » بمواصلة إجراء الإصلاحات والترميمات .

وأخيراً قامت « طائفة البهرة » التى تعيش فى الهند وتقول إنها من نسل بقايا الفاطميين الذين طردهم صلاح الدين الأيوبى ، بإعادة تجديد الجامع ورفع سقوفه وقبابه وتأسيسه وتجهيزه للصلاة ، ومازالت هذه الإصلاحات جارية فى مختلف أرجاء الجامع ومرافقه . ومن المؤكد أن يصبح هذا الجامع فى النهاية تحفة رائعة من فنون العمارة الإسلامية التى كانت معروفة بمصر منذ نحو ألف عام من الزمان .



قلعة صلاح الدين

الجولة في القاهرة لابد أن تقودنا إلى قلعة صلاح الدين ... والصعود إلى القلعة يتم من خلال الباب الجديد الذى مهده محمد على باشا والي مصر بجوار بابها الأصلى المسمى باب المدرج على الجانب الشمالى الغربى . ويقود إليه طريق صاعد كان ينتهى إلى بوابات حصينة تفصل بينها درجات دائرية لم يبق منها إلا أعلى هذه البوابات . ومع إيقاع خطواتنا على أحجار أرضية ممرات القلعة بعد أن تجاوزنا الباب المدرج ، تطغى

على أفكارنا بعض فصول تاريخها كثيرة الاضطراب . أقرب هذه الفصول إلى أذهاننا هو ما تعلمناه ونحن صغار عن مذبحة المماليك عام ١٨١١ .

مذبحة المماليك

ونجد أنفسنا ونحن نسير بين جدران ممرات القلعة متجهين إلى ساحة العلم ضمن موكب أمراء المماليك الذين دعاهم محمد على إلى وليمة فاخرة احتفالاً بسفر ابنه طوسون على رأس الجيش المصرى . إن عدد المدعوين ٧٤ من البكوات المماليك ومعهم ٤٠٠ من رجالهم دخلوا قصر الجوهرة فى القلعة حيث أقيمت الوليمة . ومع نهاية الحفل ركب الجميع خيولهم وهبطوا على المنحدر فى الطريق السلطانى الذى يقود من باب السر إلى أسفل القلعة وميدان الرميلة . وما كادوا يبلغون باب الغرب حتى وجدوه قد أغلق . وأطلوا من فوقهم فوجدوا الجدران على الجانبين قد امتلأت بالرماة الذين وضعوا قصة النهاية بالرصاص والسيوف لأمراء المماليك ، عدا مملوك واحد هو أمين بك الذى انطلق فى طريقه إلى الهرب ، إذ كان آخر من غادر قاعة الوليمة وفوجىء بالنيران ، فتراجع عائداً إلى الباب الجنوبى وقفز بجواده من فوق السور ، وقبل أن يصل إلى الأرض قفز هو من فوقه وأسرع بالفرار إلى الصعيد ليغيب بعد ذلك فى غياهب النسيان .

ونطل إلى أعلى الحائط على الطريق السلطانى ، عند أعلى البرج المطل على باب الغرب . هنا نجد صورة نسر صلاح الدين مزدوج الرأس محفورا على الجدران . لقد حفر هناك كطلسم ... ولكنه الآن مفقود الرأس ناشر جناحيه يقبض مخالبه بتشنج على الحائط ، وكأنما هو حامى المدينة التى تمتد تحت أقدام القلعة حماها منذ أيام صلاح الدين كما حماها من مؤامرات البكوات المماليك فى أيام محمد على . ونسمع همساً يقول إن البسطاء حتى عهد قريب كانوا يؤمنون بأن لهذا الطائر الجارح قدرة على التنبؤ بالغيب ... وأنه كان إذا ما خفق بجناحيه ونفخ حوصلته فإن ذلك

يعنى خيراً يصيب المدينة ، أما إذا أطلق صراخه فهو فأل سىء للموت أو لكارثة وشيكة ... ولا ندرى هل صفق بجناحيه أو أطلق صراخه وهو يشهد مذبحة المماليك ...!

شجرة الدر فى البرج

وتتداعى الذكريات والأحداث ....

ومرة أخرى نقف عند أطلال دار السلطنة القديم بالقلعة ... ونطل أمامنا فنرى السلطانة شجرة الدر تجلس على عرش من الذهب فى صالة الأعمدة التى بنتها سابقة لحجرات السلطان ... بينما الفرقة الموسيقية العسكرية تعزف نوبة الأمير مالئة بموسيقاها جو القلعة . ونتأمل المكان ، إن السلطانة ليست وحدها بل يحيط بها عدد من أمراء المماليك الذين ولوها على كرسى السلطنة حاكمة على مصر لمدة ثلاثة أشهر بعد مقتل السلطان طورانشاه ابن زوجها وسلطانهم الملك الصالح أيوب الذى أخفت خبر موته على الجيش حتى تحقق لها الانتصار على الصليبيين فى المنصورة وأسر ملكهم الفرنسى لويس . المناقشات فى القاعة تدور حامية حول الرسالة التى تلقوها من الخليفة العباسى يقرعهم فيها ويؤنبهم لأنهم ولوا أمرهم امرأة ويقول لهم« إذا كان الرجال قد عدموا عندكم فأبلغونا نرسل إليكم رجالاً .... »!

إنهم الآن يريدون أن يخرجوا من هذا المأزق . ولا مخرج إلا بتزويج السلطانة من عز الدين أيبك أحد أمرائهم ليصبح للحكم واجهة« رجالى » تحوز بركات الخليفة وتحفظ لشجرة الدر كرامتها . ونسمع صوت السلطانة تعلن موافقتها على هذا الحل الذى يمكنها من الاستمرار فى حكم مصر من تحت ذقن زوجها الصورى . ولكن الأمر لايدوم طويلاً ، فقد أقدم أيبك على إعادة زوجته الأولى إلى عصمته لتصبح أم على ، ضرة لشجرة الدر ، ثم إذ به يقدم على ما هو أخطر ، فقد فكر فى الزواج من إبنة بدر

الدين لؤلؤ حاكم الموصل ، وقد دبر أن ينزل شجرة الدر من القلعة ليسكنها دار الوزارة بالقاهرة مهيئاً قصر القلعة لعروسه الجديدة . وتنصت إلى ما يدور فى أعماق شجرة الدر من نية الانتقام ، فتتظاهر بمحاولة الصلح مع زوجها وترسل فتدعوه إلى ليلة موعودة فى مخدعها حيث تقيم بالقلعة . وتستقبله وهى فى أبهى زينتها ، وتظهر له من لواعج الحب مالم يلمسه من قبل . ويلقى بجسده فى المغطس فيتكالب عليه غلمان شجرة الدر وهم يشهرون بأيديهم القباقيب الخشبية وينهالون على رأسه وهو يصيح بزوجته مستغيثاً ، ولكن صرخاته التى نسمعها تذهب أدراج الرياح . ونفاجأ بمماليكه المعزية ثائرين يطلبون قتلها فيمنعها عنهم المماليك الصالحية .وتهرب هى إلى البرج الأحمر . وهناك حين توقن أنها مقتولة لا محالة تأبى أن تترك مجوهراتها لتستولى عليها ضرتها أم على ... فتسحقها كلها فى الهاون وتذروها من نوافذ البرج ....!.

نحن الآن وقوف تحت جدران البرج الأحمر الذى يعرف باسم برج المقطم فى الجهة الجنوبية من القلعة . إننا نسمع صرخات صادرة هذه المرة من شجرة الدر وهى تلقى على يد ضرتها أم على حتفها بالقباقيب ... نفس السلاح الحقير الذى قتلت به زوجها . وهذا جثمانها يلقى به شبه عارية من فوق جدار البرج لتنهشه الكلاب والغربان طوال ثلاثة أيام ، حتى يتطوع بعض أهل الخير ليجمعوا ما تبقى من رفاتها ويدفنوه فى القبر الذى أقامته لنفسها بالقرب من ضريح السيدة نفيسة ...!

قلعة صلاح الدين

طوال مسيرتنا تتواصل ذكريات الأحداث ، هذا صلاح الدين يوسف بن أيوب يتولى أمور مصر عام(١١٧١)سلطانا معترفا بالولاء لخليفة بغداد . إن أول ما اهتم به تأمين مصر ضد اى هجوم ، فوضع خطة طموحة.لحماية القاهرة وأمر بتأسيس قلعة ضخمة على شرف صخرى على سطح المقطم ، يطل على السهل الحالى بين الفسطاط والقاهرة . الهدف أن يستخدم القلعة كقاعدة عسكرية ومقر ملكى وأن

تضم أسوارها القلعة والمدينتين فى إطار واحد . واختيرت البقعة لمناخها الصحى حتى قيل إن اللحم المحفوظ فيها لايفسد إلا بعد أربع وعشرين ساعة عن مثيله المحفوظ فى القاهرة .

وكلف الطواشى قراقوش بالإشراف على البناء . ويبدأ بإقامة الجدران الحجرية والأبراج التى تحيط بالبناء . ويقوم عماله بنحت الصخر ليكون هناك خندق اصطناعى يفصل التلة الصخرية عن الجبل زيادة فى المنعة وتبنى أسوار القلعة بعرض ثلاثة أمتار وارتفاع عشرة أمتار . وتقام أبراج نصف دائرية صغيرة بين كل مائة متر تضم غرفا داخلية يستطيع الجنود منها توجيه نيرانهم ضد أى هجوم . وتصل الأبراج بعضها ببعض بواسطة متاريس واستحكامات محمية بصفوف مسننة وممرات داخلية تمتد على طول محيط القلعة بطول ٢١٠٠ متر الممرات تحتوى على غرف صغيرة بين كل عشرة أمتار مع فتحات تسمح بالعبور وبإطلاق النار على الأعداء . ويقام نتوء فى الركن الشمالى الشرقى من بقية السور المحيط للسيطرة على الخندق الذى يفصل بين القلعة وتل المقطم . وبنى برجان للقذف هما برج الرملة وبرج الحداد لضرب أى معتد يأتى من طريق القاهرة .

بنى قراقوش للقلعة ثلاثة مداخل ... باب المدرج على الجانب الشمالى الغربى وهو المدخل الرئيسى الأقرب إلى القاهرة ، ويقود إليه طريق صاعد يميل إلى بوابات حصينة يفصل بينها درجات دائرية (لم يبق منها الآن إلا أعلى هذه الأبواب) .

الأبواب الأخرى أقيمت إلى الجانبين الشرقى والجنوبى للمداخل أحدهما هو« باب القرافة » نسبة إلى أرض المدافن .

بئر يوسف

الآن نجد أنفسنا وقوفاً عند بئر يوسف التى تم حفرها بعمق ٨٧ متراً من الحجر الجيرى الصلب حتى مستوى النيل ليمد القلعة بالمنابع

اللازمة لماء الشرب . والبئر تحفة هندسية يتكون معظمها من بئرين غير مستمرين على الخط العمودى نفسه ومتساويين فى العمق تقريباً . مساحة المقطع الأفقى للبئر السفلية ٣١٢ مترا مربعا فى حين أن مساحة مقطع البئر العلوية خمسة أمتار مربعة . كانت الحاجة إلى هذا المسطح فى البئر العلوى لأجل تأمين ممر حول مهوى البئر ذاته يسمح بنزول الثيران اللازمة لتدوير الساقية المركزة فى مقر المهوى الأول والتى تسحب الماء من قعر المهوى الثانى إلى منسوبها ، فى حين يقوم زوج آخر من الثيران بتدوير ساقية ثانية مركزة فى أعلى البئرين مهمتها رفع الماء من منسوب الساقية الأولى إلى سطح الأرض . يطلقون الآن على البئر اسم بئر الحلزون ، ونسمع من مرافقنا أنه قد صاحب حفر البئر انتشار شائعات مختلفة ، فقد قيل إن قراقوش كان يقذف فى البئر بمن يتمرد من عماله المسخرين . وامتدت تلك الشائعات إلى الممرات السفلية المنقورة فى أرض القلعة ، وكانت قد حفرت لتستخدم كمخازن وملاجىء وطرق مواصلات لكنها تحولت فى خيال العامة إلى سجون كان قراقوش يقذف فيها بمن يضايقه من العمال ويسد عليهم البناء .

ونسمع صوت المؤرخ ابن جبير الذى زار القاهرة عام ١١٨٣ وهو العام الذى اكتمل فيه بناء القلعة يقول ، إنه شاهد العمال من أسرى الفرنجة يشاركون فى أعمال الحفر والبناء للخندق المحيط بالقلعة . وكان عددهم لايحصى بحيث لم يكن هناك حاجة لعمال آخرين .

وعلى مدى فترة بناء القلعة كانت الحجارة تنقل من الجانب الشرقى لهضبة المقطم ، كما كانت الأهرامات الصغيرة بالجيزة مصدراً آخر للأحجار . وننصت إلى همسات ونحن نسير وسط الأحجار المنتزعة من الأهرامات ، إنها الإشاعات التى راجت بين الناس بأن شبحا هائلاً يظهر ليلاً خلف جدران القلعة التى تتصاعد تدريجياً هو شبح فرعون الذى انتهك قبره جاء يبكى حطام قبره الأبدى . والناس يعزون إلى غضبة

فرعون كل الأوبئة والفتن والمجاعات التي كانت تصيبهم والمصائب التى تحل على ابنية القلعة . كما عزوا إليه أيضاً مصرع السلطانة شجرة الدر .

بالرغم من كل ذلك لم يكتب لصلاح الدين أن يسكن قلعته ... فقد انشغل فى حروبه مع الزنج فى سوريا والتى استغرقت اكثر من أحد عشر عاما . وكان قد غادر القاهرة قبل اكتمال البناء بحوالى سنة . فقام اخوه ونائبه العادل بإتمامها .

ونقرأ على باب المدرج النص التأسيسى الذى يحمل اسم مشيد القلعة مكتوباً على لوحة رخامية تحمل ٩ سطور من الخط النسخ الأيوبى نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً . أمر بإنشاء هذه القلعة الباهرة المجاورة المحروسة التى جمعت نفعاً وتحسناً وسعة على من التجأ إلى ظل ملكه وتحصيناً مولانا الملك الناصر صلاح الدين والدنيا أبو الملك المظفر يوسف بن أيوب محيى دولة امير المؤمنين على يد أمير مملكته ومعين دولته قراقوش بن عبدالله الناصرى فى سنة تسع وعشرين وخمس مائة هجرية » .

أبنية الكامل

ونعيش مع عهد الملك الكامل الذى توفى عام ١٢٠٧ وقام بتقوية وتوسيع القلعة . لقد بدا له أن بعض الأبراج التى أقامها صلاح الدين مثل برج الحداد وبرج الرملة التى تسيطر على الخندق كانت أصغر من القدرة على الدفاع . وتم تكسير فتحات النوافذ واستخدمت كأبواب تقود إلى سلسلة من الغرب تستخدم لتدعيم قوة النيران وإمكانيات الدفاع . وأضيف إلى جدران برج الحداد الجديد فتحات

جديدة تصب الزيت المغلى ضد المهاجمين . أما أبراج القلعة عند المدخل الشرقي والتى تعرف ببرج الإمام فقد تم توسيعها إلى ضعف ما كانت عليه بينما الجدران الشمالية لبرج الصحراء تم تقويتها بإضافة رصيف من الحجارة ذات غرف داخلية لتوصل إلى برج صلاح الدين الأصلى .

بنى الكامل أيضاً مجموعة من الأبنية الحصينة المربعة بارتفاع ٢٥ مترا وعرض ٩٩ متراً حول محيط القلعة . اثنتان منها تطلان على باب المدرج وثلاث تطل على السور الجنوبى وملئت الأبراج المربعة بفتحات داخلية وممرات تستخدم كغرف للسلاح والحراس والجنود حيث تستطيع كل منها إذا انفصلت عن الأخرى أن تكون قلعة مستقلة تدافع عن نفسها . أما أكبر أبراج الكامل فهو « برج الطرفة » وهو كبير الضخامة أكثر من بقية أبراجه « البرج الأحمر » و « برج الصوفة » و « برج الثعابين » وفى أوقات السلم كانت هذه الأبراج تستخدم كسجون للأسرى وغيرهم من بقايا الفاطميين .

كان الملك الكامل هو أول من جعل من القلعة مقراً للسلطنة ، وبدأ فى إقامة القصور الملكية فى الربع الجنوبى الغربى من القلعة . فى الوسط أقيم مبنى القاعة الكبرى للحكومة والمعروفة باسم « الإيوان » بجوار غرفة العرش حيث يدير الكامل عجلة الحكم . وقد أقيم الإيوان على ساحة ضخمة تسمى « قاعة مجلس القضاء » تحيط بها مجموعة من البنايات مخصصة للمحفوظات الملكية . والمجوهرات والوثائق وشؤون القصر . وبجوارها أقيمت المكتبة التى تضم ٦٨ ألف مخطوط ، ومسجدا وقصرا للحريم وجناح الإقامة الملكى الخاص بالسلطان وأسرته .

القسم الجنوبى للقلعة والذى يشغل القصور الملكية يحتل ربع المساحة خلال الفترة الأيوبية ، أضيف إليه أكثر من ستمائة متر

مربع هى المساحة التى أقام فيها المماليك بنايات أخرى ثم فصلوها عن بقية القلعة بحائط داخلى يقسم القلعة إلى نصفين منفصلين .

لاتوجد الآن أى بقايا من قصور الملك الكامل ، ولكن موقعها ظل هو المكان الذى أقيم عليه المقر الرسمى لحكام مصر حتى نهاية القرن ١٩ . أما القسم الشمالى من القلعة فلم يتغير كثيراً منذ أيام الأيوبيين ، إذ كان مخصصاً للثكنات العسكرية فى القلعة وللبريد السلطانى « الزاجل » .

البريد الزاجل له حكاية . فقد كان للملك الكامل ٩٠٠ من الحمام الزاجل تقوم بنقل الرسائل بين مناطق السلطنة . وكانت الرسائل تكتب على قصاصات من الورق تطوى تحت أجنحة الحمام . وعند وصول الحمام عائداً بالردود ترسل فوراً إلى السلطان الذى يفتح الرسالة بنفسه . وقد أقيمت أبراج الحمام فوق المدخل الجنوبى للقلعة الذى سمى « ببرج المطر » و « برج الطيران » .

بين الثكنات العسكرية كانت ثكنات الحرس السلطانى من المماليك . وكانت الخيول هى المخصصة لاستعمال المماليك الفرسان التابعين للسلطان . ولهذا فقد كان محرماً على العامة والسكان تملك أو ركوب الخيول . وعليهم أن يقنعوا بركوب الحمير !.

القصر الأبلق

نعود لنواصل السير بين آثار القلعة .. ونحن نتجاوز بعض فترات التاريخ ..

نحن الآن وقوف بجوار بعض جدران قصر ينتصب فى قلب حفائر حديثة عليها بقايا تكسيات رخامية ورسوم فسيفسائية . إنها جدران الإيوان الرئيسى للقصر الأبلق الذى أنشأه السلطان الناصر بن قلاوون

عام ١٣١٣ واتخذه قصراً للحكم ، وقد عرف الإيوان بديوان يوسف وكانت تحمل قبته الهائلة أعمدة جلبت من الصعيد وفى وسط القاعة نصب العرش وكان من العاج والابنوس .

والواقع أن الناصر ورث عن أبيه المنصور قلاوون شغفه بالعمارة حتى ازادنت القلعة فى عهده بالعمائر . ولم يتردد هذا السلطان فى هدم جميع منشآت سابقيه تقريباً حتى يفسح المجال لمنشآته التى أنزل بها خلفاؤه بعد موته نفس المصير ففى عام ١٣١٨ هدم ابنه الناصر محمد مسجده وشيد فى موضعه مسجداً آخر يحمل اسمه حتى اليوم . يقول لنا مرافقنا إن أعمدته مأخوذة من آثار تمثل كل حقب التاريخ ففيها أعمدة رومانية وكورشة وإغريقية وفرعونية وقبطية وإسلامية فهو يكاد يكون مجمعاً لكل صنوف الأعمدة . ويروى المقريزى عن مسجد الناصر والذى لا يزال منتصباً متكامل البناء حتى اليوم أنه كان مبلطاً بالرخام تزينه لوحات مزخرفة بالذهب . وفى وسطه قبة متضخمة الجوانب بينما قسمت النوافذ الجصية إلى مصبعات ومربعات صغيرة جرى ترميمها بشكل جيد تحت إشراف الأثرى الراحل الدكتور أحمد قدرى . وتظهر القمم البصلية المكسوة بالقيشانى تأثيراً فارسياً بحتاً متأثراً بالعمارة المغولية .

هذه الزخارف والمزخرفات كانت وراء انتشار الشائعات بأن اللعنة قد أصابت القاهرة فى عهده لأن القاشانى الذى كسيت به قبة المسجد البصلية كانت هدية من ملك مغولى ، صنعت بأيدى وثنية ووفق ذوق وثنى مما جلب عليه اللعنة التى أدت إلى الفتن واندلاع الحرائق فى عصر الناصر بن قلاوون .

ونعود إلى بقايا القصر الأبلق .

تم اكتشاف القصر أثناء إنشاء متحف الشرطة القومى فى ساحة العلم منذ ثلاثة أعوام . وعنه قال المقريزى فى خططه بأنه يقع فى

الناحية الغربية من القلعة « وكانت العادة أن يجلس فيه ابن قلاوون كل يوم للخليفة ماعدا يومى الإثنين والخميس فإنه يجلس للخدمة بدار العدل ويمشى من باب القصر فى دهاليز مفروشة بالرخام وقد فرشت فوقه أنواع البسط إلى قصر عظيم البناء شاهق فى الهواء بإيوانين أعظمهما الشمالى ، وبجوار هذا القصر ثلاثة قصور . وهذه القصور جميعاً من ظاهرها مبنية بالحجر الأسود والحجر الأصفر (لذا سمى بالقصر الأبلق) وموزره من داخلها بالرخام والفصوص المذهبة المسجرة بالصدف والقيشانى وأنواع الملونات وسقوفها كلها مذهبة وقد موهت باللأزورد وزينت جدرانها بالزجاج القبرصى الملون . كقطع الجوهر المؤلفة فى العقود » .

يقول الأثرى عبدالقوى محمد الذى كان بصحبتنا وشارك فى أعمال الكشف « لقد وجدنا بقايا من إيوان القصر ومكان الفسقية وبقايا رخام ملون . وكان على جدران الإيوان زخارف نباتية وأشجار وصور مختلفة من الفسيفساء الذهبية والملونة ، وصورناها لأنها تحكى قصصاً قديمة مثل كليلة ودمنة . وعملنا الآن هو محاولة تجميع هذه الفسيفساء كى نكمل قصصها » .

الغزو العثمانى

تمضى الأيام والسنون والقلعة قائمة تشرف على القاهرة من قمتها ... ونطل من خلف السور وراء الأبلق فنشهد منظراً رائعاً ينبسط أمامنا وجد الكثير من السلاطين قدراً كبيراً من المتعة فى تأمله .

استمر ذلك حتى جاء الأتراك العثمانيون واحتلوا القلعة عام ١٥١٧ ، منذ ذلك الوقت انتزع الأتراك قدراً كبيراً من الفسيفساء وألواح الرخام والخشب والزينات وغيرها ، ونقلت جميعاً بالمراكب إلى

استنبول ، وفى مقابل ما انتزعوه من تحف شيد الأتراك فى القلعة مسجدا فى عام ١٥٢٨ هو أول المساجد العثمانية فى مصر وسمى مسجد سليمان لكنه عرف لدى العامة باسم « سيدى ساريه » نسبة إلى أحد الصحابة المدفون به ، وقد قيل إن بعض الذين قتلوا فى مذبحة القلعة سنة ١٨١١ دفنوا هناك أيضاً .

وبعد الغزو العثمانى لم تعد القلعة مقراً للحكام بأمر من السلطان سليم ، وقد علل القنصل الفرنسى ماييه القرار بخشية السلطان من أن تفسد عليه كبار موظفيه ، لأن الوالى الذى سيقطن قصراً أفخم من ديوان السلطان العثمانى فى القسطنطينية قد يفكر فى الاستقلال عن الامبراطورية . وصارت القلعة ثكنات لجنود الانكشارية واستخدم القصر الأبلق كمشغل تصنع فيه كسوة الكعبة المشرفة .

قصر الجوهرة

حكايات ومعالم القلعة كثيرة طويلة تكاد متابعتها أن تكون قريبة من المستحيل . ولكن الشىء الذى لا يمكن التجاوز عنه من الاضافات التى لحقت بالقلعة فى العصور الحديثة . هو قصر الجوهرة ومسجد محمد على .

ونبدأ بقصر الجوهرة الذى دخلناه هذه المرة كمتحف بعد أن كان قصر الحكم لمحمد على الذى أقامه عام ١٨١٤ وتشرف نوافذه على القاهرة ووادى النيل فى منظر من أبدع مناظر الدنيا . جدران القصر تزينها نقوش شرقية تتمشى مع الطراز العثمانى . ونشهد قاعة الساعات التى تعتبر من أجمل ما فى القصر ، وقد سميت بهذا الاسم لأن الفنان الذى قام بتصميمها اتخذ من شكل الساعة زخرفاً زين به جدران القاعة فظهرت بهذا الابداع الفنى المتميز . ويخبرنا الجبرتى

« أن محمد على أزال فى عام ١٨١٢ بقايا مبانى الباشوات العثمانيين وقصور الحريم المملوكة والحرس السلطانى وأنشأ مكانها قصراً جديداً على الطراز الرومى . وقد عمرت قاعات القصر أساساً من الخشب وزينت بألواح الزجاج الملون والمزخرف » وقد احترق القصر بكامله مرتين فى عامى ١٨٢٠ ـ ١٨٢٤ وأعيد بناؤه مرة أخرى بهذه الصورة التى نشهدها .

تنظيم قصر الجوهرة مشتق من الاسلوب العثمانى فى تقسيم المساكن وخاصة الراقية منها أى إلى سلاملك وحرملك مع محاولة تطويع ذلك المخطط لنظام القصور الأوربية فى القرن ١٨ ، والذى نتج عنه باحة شرف وبهو استقبالات وأجنحة خاصة بالباشا وحريمه (وقد احترقت منشآت الباحة التى كانت تشكل جزءا من السلاملك عام ١٩٧٤) . فيما عدا ذلك فإن القصر قليل الأهمية وإن كان يدل دلالة مباشرة على قوة تلك الطرز الأوربية فى صياغة أذواق الطبقة المصرية الحاكمة وقتئذ . المثير فى هذا القصر هو قاعة الاستقبالات التى أقام فيها محمد على الوليمة المشهورة للبكوات المماليك الذين قتلهم وهم فى طريقهم لمغادرة القلعة . أشارت لنا المرشدة السياحية وفاء .... إلى الكنبات على جوانب القاعة والتى كان يجلس عليها المماليك وهى تقول إن الأسلحة والسيوف التى استخدمت فى المذبحة كانت مخبأة داخل هذه الكنبات وأخذها الحراس عقب مغادرة المماليك للقاعة لينقضوا عليهم ويفنوهم فى الممر السلطانى .

مازال باقياً قائماً العديد من منشآت محمد على الأخرى . أبرزها « باب القلعة » و « الباب الجديد » الذى بنى عام ١٨٢٥ بعد ما تم إنشاء طريق العربات الجديد الصاعد إلى القلعة من ميدان الرميلة . أما باب القلعة فقد أعيد بناؤه وأضيف إليه البرجان المدوران على جانبيه مما يشكل إشارة معمارية أخرى لباب الفتوح كما فى حالة « باب العزب » . ويظهر أن محمد على لم يكتف بإعادة بناء هذا الباب

بل جدد أيضاً كل الجدار الفاصل بين السورين الشمالى والجنوبى . ويتكون من هذين البابين مدخل فوقه قوس يؤدى إلى ممر مربع المسقط مغطى بقبة مسطحة نفذت من صفوف متعاقبة من الحجر الأصفر والأبيض المرتبة بشكل حلزونى مما يضفى عليها مظهراً نابضاً بالحركة كثعبان ملتف .

وقد أزال محمد على الهياكل التى كانت لاتزال قائمة من العهود السابقة وأنشأ مكانها مجموعة متكاملة من الأبنية الجديدة ، ضمت أربعة قصور ، وقصر العدل ، ودارا لضرب السكة ، ودارا للصنعة ، ومصنعاً للبارود ، وثكنات للجند ، كما أنشأ مبنى جديداً للدفتر خانة خارج القلعة .

مسجد محمد على

وندخل مسجد محمد على ... الذى يعد أروع إضافة أعادت الحياة إلى قلعة صلاح الدين وهو أحد معالم القاهرةالبارزة .

المسجد الذى أقيم عام ١٨٣٠ بالغ الفخامة والجمال . استعان محمد على فى إنشائه بمهندسين من الايطاليين والفرنسيين . وأعظم ما وفقوا فيه هو اختيار موقع الجامع فى موضع فريد بأعلى مرتفع القلعة يشرف على القاهرة على نحو يتغير معه منظر قلعة الجبل تماماً . ويتميز المسجد بتوازن نادر بمئذنتيه الرشيقتين اللتين تحصران بينهما تصاعداً من القباب ينتهى بالقبة الرئيسية . والمئذنتان رفيعتان على الطراز التركى ويبلغ ارتفاع كل منهما ٨٤ متراً من منسوب أرضية الصحن .

وتحت هذه القبة يقوم بيت صلاة المسجد الفسيح الأنيق ذى الجدران العالية بقمرياتها ذات الزجاج الملون والدعامات الماسية

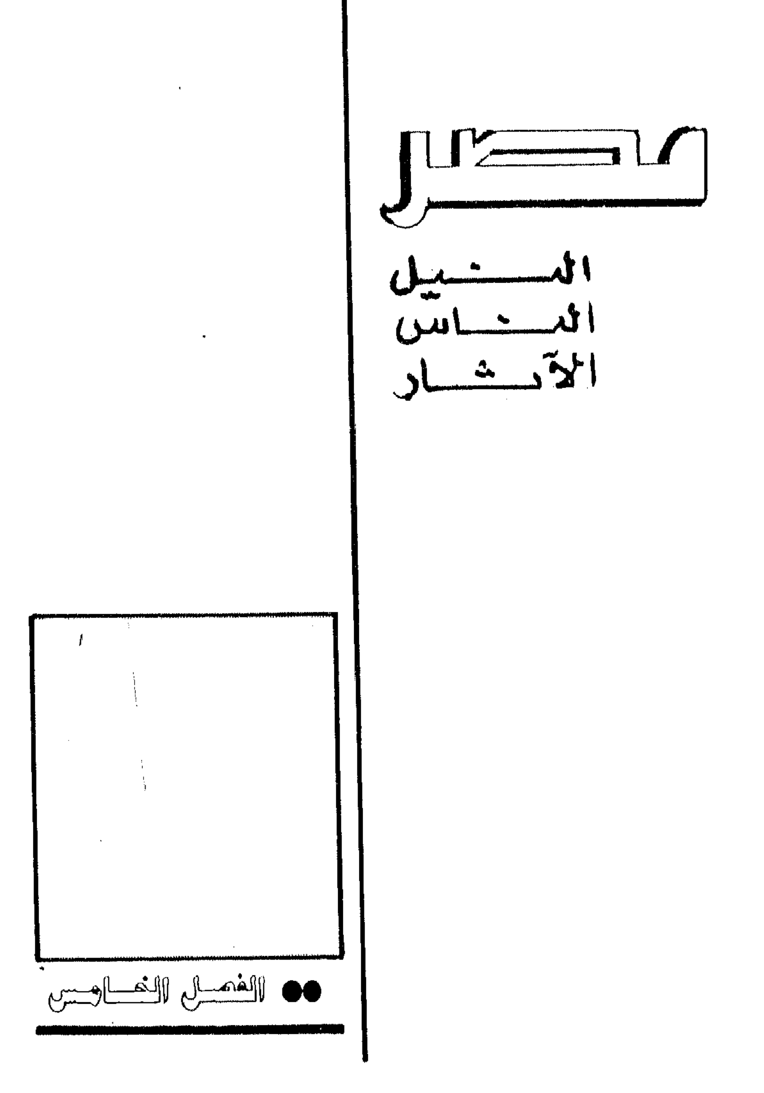
المكسية بالمرمر الموزعة توزيعا لا يشوب سعة الصحن ولا يقلل من رحابته . وإلى جانب هذه الدعامات التى تحمل المنصة الرئيسية يزدان المسجد بأعمدته الرخامية الرشيقة التى تحمل السقف والقباب الصغرى . ومن لطائف هذا المسجد نظام الإنارة فيه فالمسجد منار بثريا ضخمة فى الوسط ثم إطار واسع من القناديل الكهربائية تحيط بكل منها كرة من البللور آية فى الرقة والجمال .

داخل المسجد باروكى الطراز من أشكال ما بعد عصر النهضة الأوربية المتأخر الذى يتميز بإسراف الفنان فى الزخارف والزينة حتى حجبت هذه الزينة فى كثير من الأحيان جمال البناء الأصلى .

القبة الرئيسية التى نرفع أبصارنا إليها فى رهبة تقوم على دعامات قوية من الحجر المنجور الملبس بالمرمر ، والعقود داخل بيت الصلاة تروع النفس باتساعها وارتفاعها ثم بتجويف القبة الرائعة التى تحملها ، تحت أضواء ثريا المسجد وقناديله يتجلى المسجد فى بهاء يبدو معه كل شىء غال ونبيل .. الخشب والنحاس والبرونز والزجاج الملون والسجاجيد البديعة ومنبر المسجد آية فى الجمال رغم زخارفه الباروكية المسرفة بعض الشىء . ولكن الممرات تروع النفس بحسن هيئتها وفتنة نقوشها . وذلك كله يجعل المسجد درة فى عقد الجواهر المعمارية المصرية النفيسة .

وفى مواجهة مدخل المسجد تقوم ساعة القلعة والمفروض أنها تتبع المسجد وتشرف على الرحبة الواسعة أمام مدخله الجميل . وهى هدية من لويس فيليب ملك فرنسا إلى مصر . وهى ساعة فريدة تزيد فى جمال المسجد . وتتوسط الرحبة ميضأة المسجد المرمرية المقامة بنفس رخام المرمر المستخدم فى كسوة جدرانه من الخارج والداخل وفى صحن المسجد ، مما كان وراء تسميته بالمسجد المرمرى .

ونتذكر ونحن نغادر القلعة كيف تعاقب أولاد محمد على .. على حكم مصر من بعده ، وعلى الإقامة فى القلعة حتى عهد الخديوى إسماعيل عام ١٨٦٢ ، والذى قام ببعض الإصلاحات والتغييرات حتى انتقل إلى قصر عابدين فى القاهرة مع عائلته ودواوين الحكم عام ١٨٧٤ . وحين احتلت بريطانيا مصر أصبحت القلعة مقر قيادة أركان جيش الاحتلال . وظلت القوات البريطانية بها حتى عام ١٩٤٦ عندما تم تسليمها إلى الجيش المصرى الذى استخدمها لأغراض عسكرية أيضاً واستمر ذلك حتى سلمت القلعة إلى مصلحة الآثار عام ١٩٨٣ التى توالى تنفيذ برنامج جرىء وطموح لترميم وتجديد القلعة وجعلها معلماً جذاباً للسياحة فى مصر .



الفسطاط .. العاصمة الاسلامية

نواصل جولتنا بين معالم القاهرة وآثارها الإسلامية ... ونذهب الى الفسطاط ... التى بناها عمرو بن العاص عندما فتح مصر فى عهد عمر بن الخطاب .

كان عمرو قد استولى على حصن بابليون ثم أراد أن يتخذ الاسكندرية مركزاً لحكمه . غير أن الخليفة عمر بن الخطاب منعه من

ذلك حتى لا يفصل بينه وبين المسلمين ماء النيل ، مما اضطر ابن العاص أن يؤسس مدينته حيث أقام فسطاط جيشه عند منطقة بابليون . وقد كان من الأسلم للعرب بالفعل أن يبتعدوا عن الاسكندرية التى كانت فى ذلك الوقت موطن العناصر الأجنبية الحاكمة ومركز الثقافة اليونانية الرومانية فكان الأفضل ان يقيموا عاصمتهم قرب حصن بابليون فى قلب مصر حيث العناصر الوطنية المسالمة التى كانت تنظر الى العرب المسلمين كمنقذين لهم من ظلم الرومان واضطهادهم المذهبى .

لماذا الفسطاط ؟

يقول الباحثون إن سبب تسمية المدينة بالفسطاط ان عمرو عندما نزل عند بابليون أقام فسطاطه (أو مخيمه) . فلما قصد التوجه إلى الاسكندرية لفتحها أمر بنزع فسطاطه للرحيل . فإذا بحمام قد أفرخ عنده ، فقال : « لا تفزعوا الحمام فقد تحرم منا بحرم » أى وجد فيه أمناً واطمئناناً بحيث يحرم الاضرار به . وأمر عمرو بترك الفسطاط مكانه وأوصى برعاية الحمام وفراخه وعندما عاد من الاسكندرية نزل بفسطاطه وبنى داره حيث نزل الناس وأقاموا ، خيامهم ومبانيهم ، ومن هنا سميت المدينة التى أنشئت بالفسطاط .

كانت الدور التى سكن فيها أهل الفسطاط كما يقول المؤرخ المصرى دكتور حسن الباشا على درجة كبيرة من الاتساع بعضها بالطوب وبعضها الآخر بالحجارة ، وربما استخدم اللبن أو الطوب أحياناً فى البناء . وكانت الدور منعزلة بعضها عن بعض ولا تتلاصق إلا بالقرب من الجامع فقط . وقد سكن مع العرب فيها جماعات المصريين الذين اسلموا ، وكذلك جماعات القبط الذين كانوا يعيشون من قبل فى ذلك المكان وقاموا بأعمال الصناعة والتجارة مع العرب . وأنشئت بالمدينة ميادين وأسواق ومصانع وحمامات .

وأنشأ عمرو بن العاص مسجده الذى سمى باسمه فى منطقة بها أشجار وكروم . وكان يشغل مساحة طولها خمسة وعشرون متراً وعرضها خمسة عشر . واشترك فى تحديد قبلته ثمانون رجلا من الصحابة . وكان بين المسجد وبين دار عمرو طريق عرضه نحو ثلاثة أمتار ونصف وقد استوحى عمرو فى تخطيط المسجد والدار والعلاقة بينهما مسجد النبى ﷺ وداره فى المدينة المنورة . ويقال إن عمرو لما فرغ من بنائه اتخذ له منبراً يخطب عليه ، فأمره الخليفة ابن الخطاب بكسر المنبر وكتب اليه يقول : « أما يكفيك أن تخطب قائماً والمسلمون جلوس تحت عقبيك » .. ؟ !

اقدم جامعة اسلامية

ولا تقتصر أهمية جامع عمرو بن العاص على أنه أول جامع أنشىء فى مصر ، فهو أيضاً أقدم جامعة اسلامية ظلت تؤدى رسالتها مدة تسعة قرون . كما كان به بيت المال لإيداع أموال اليتامى ، وكانت تعقد فيه جلسات المحاكم لفض المنازعات الدينية والمدنية .

وفى عام ٥٤ هـ (٦٧٣م) أنشىء فى جزيرة الروضة المواجهة للفسطاط مصانع للعمائر والسقى . وأقيم بينها وبين المدينة جسر ممتد من المراكب ، وبعد ذلك بخمسة عشر عاماً أقيمت على الخارج قنطرة كانت تفتح عند وفاء النيل . وكان مكانها بين قناطر السباع عند مشهد ومسجد السيدة زينب وبين قنطرة السد . وفى عصر الأمويين ، ازداد عمران المدينة التى تعرضت لبعض أعمال التدمير فى نهاية العصر الأموى أثناء مطاردة جيوش العباسيين لمروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية سنة ١١٢ هـ (٧٥٠م) وقد جرى اهتمام كبير بإصلاحات مسجد عمرو الذى كانت قد زيدت فيه على مر الخلافات زيادات هامة وتجديدات إلى أن حلت به مصيبة كبرى حين أراد الأمير محمد بك أن يصلحه ويجدده عام ١٢١١ هـ . فأمر بهدمه كله

وبنائه . وتمت إعادة البناء على غير النظام القديم وتلاشت عناصره المعمارية والزخرفية ولم يبق فى المسجد فى الآونة الأخيرة سوى قليل من عمارة المسجد القديم وزخرفته ، حتى كانت المرحلة الجديدة من عمليات الترميم التى بدأت بمسجد عمرو ثم منطقة الفسطاط مع تكثيف الحفريات لاستخراج ما جمع فى باطنها من معالم ظلت خافية على مدى القرون . وقد أظهرت الكشوف مجموعة من البيوت والطرق وأنابيب الماء والمجارى وبعض الأوانى والأدوات . وأعطت الحفريات صورة لما كانت عليه الفسطاط من ازدهار وعمران . كما عثر على قطع من الزجاج مؤرخة بسنة ١٦٣ هـ (٧٧٠م) وعلى دنانير نقش عليها أنها ضربت فى مصر بالإضافة الى مسكوكات نحاسية من النقود . وتدل آثار المبانى والبيوت التى تجرى إعادة ترميمها أن دور المدينة كانت تتألف الواحدة منها من عدة وحدات أهمها قاعة الإستقبال التى كانت تتكون من فناء مربع مسقوف ، يقام فى جانبيه فتحات أبواب تفتح على الحجرات الداخلية وتتميز بتصميم خاص . وكانت الدار تشتمل على مقاعد ونافورات وأحواض نباتات . كما كانت مداخلها فى معظم الاحيان منكسرة بزاوية قائمة حتى لايكشف الجالسون والسائرون ما فى داخل الغرف حتى ولو كانت الأبواب مفتوحة كما زودت بعض الدور بحجرات داخلية تمكن أهل الدار من التنقل بين الغرف دون المرور بالفناء الأوسط ، كما عثر على خزانات مياه تحت الأرض حيث كان الماء يجرى فى البيوت خلال أنابيب داخل الجدران ، وكانت جدران البيت تكسى بالحصى المزخرف بالألوان المائية .

وقد ظلت الفسطاط محافظة على رونقها وازدهارها حتى بعد تأسيس القاهرة . واستمرت بدورها ومسجدها مدينة الشعب ومقر الصناعات والمهن والتجارة ومزاولة الأعمال .

مسجد ابن طولون

وننتقل الى مسجد أحمد بن طولون الذى اقيم فى وسط مدينة القطائع فى الطرف الشرقى من الفسطاط والعسكر قرب سطح جبل المقطم عند مكان القلعة الحالية .

ومسجد أحمد بن طولون مازال كما شهدناه يحتفظ بتفاصيله المعمارية . وهو على شكل مربع تقريباً طول ضلعه ١٦٢ متراً . فى هذا الجامع تتجلى عظمة العمارة الإسلامية . وقد اشتمل على أغنى مجموعة من الزخارف الجصية . كما توجد به مجموعة كبيرة من الشبابيك تنوعت أشكالها . وامتاز هذا المسجد على مساجد مصر كلها بمنارته ذات السلم الخارجى التى أقامها على مثال المنارة الملوية بمسجد سامراء بالعراق . أبرز مشاهد المسجد القبة بوسط الصحن ، والمنبر الذى يعد أعجوبة من أعاجيب النجارة ، والقبة أعلى المحراب والفسيفساء المذهبة بتجويفه .

مسجد الحسين

هناك العديد من المعالم والآثار الإسلامية الأخرى بالقاهرة من الصعوبة بمكان أن نقوم بزيارتها كلها . على أن أبرز هذه المعالم مسجد الإمام الحسين القريب من الأزهر فقد نقلت رأس الحسين من عسقلان الى القاهرة فى عام ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) وبقى الرأس مدفوناً لمدة عام فى قصر الزمرد حتى انشئت له قبة المشهد الحالى عام ٥٤٩ هـ . وقد توالت عمليات التجديد على المسجد عبر العصور . ولما قدم السلطان عبدالعزيز الى مصر عام ١٨٧٩ م وزار المقام الحسينى أمر الخديوى اسماعيل بعمارته وتشييده على اكمل وجه ، فاستحضرت له العمد الرخام من القسطنطينية ، وزود بمنبر خشبى مطلى بماء الذهب ، وسقفه من الخشب المطلى بزخارف نباتية وهندسية متعددة الألوان ومذهبة غاية فى الدقة والابداع .

أما مسجد السيدة زينب فيقع فى الميدان الذى يعرف باسمها . وقد اكتشفت واجهة المسجد فى عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٨ م) ومنذ ذلك التاريخ أصبح يطلق على الميدان والحى كله اسم عقيلة بنى هاشم . وقد أقامت وزارة الأقاوف عام ١٩٤٠ المسجد الموجود حالياً ثم قامت بعد ذلك بإضافة مساحة ١٧ × ٣٢ متراً الى المسجد الأصلى . وفى عام ١٩٦٩ أضافت الوزارة مساحة ثانية مماثلة للمسجد الأصلى .

ونزور ايضاً مسجد الرفاعى الواقع بمنطقة القلعة . وكان يشغل جزءاً من ارضه مسجد قديم يرجع الى العصر الفاطمى ويعرف باسم مسجد « الذخيرة » . ويتكون تخطيط المسجد من مربع تبلغ مساحته ١٧٦٧ متراً به صفان من الدعائم بأركانها الأربعة أعمدة ملتصقة ، وتنقسم دعائم المسجد الى ثلاثة أروقة . وفى وسط المسجد رقبة بها نوافذ تعلوها قبة كبيرة . وفى وسط الجدار الشرقى محراب كبير يكتنفه من جانبيه عمودان من الرخام أحدهما أبيض والآخر أخضر داكن . وحلى باطن المحراب بفسيفساء من الرخام الدقيق والصدف ويعلوه شريط من الكتابة بالخط الثلث الجميل .

وهناك أيضا مسجد السلطان حسن الذى بناه السلطان ابن محمد بن قلاوون ليكون مسجداً ومدرسة تدرس فيها المذاهب الأربعة . ويعد هذا المسجد من أروع الآثار الإسلامية فى مصر . ويتكون المسجد من صحن مكشوف تتوسطه وتحيط به أربعة إيوانات تحصر بينها مبانى المدارس الأربعة وجدران إيوان القبلة يزينها شريط من الخط الكوفى الزهر على أرضية نباتية أما المحراب فيزدان بفسيفساء رخامية ملونة وتكتنفه أربعة أعمدة رخامية وعلى يمينه يقع منبر من الرخام الأبيض . ويكتنف المحراب بابان يؤديان الى القبة التى تقوم على جانبها منارتان ترتفع الجنوبية عن مستوى سطح الصحن بحوالى ١٨ متراً والمسجد فى مجموعه تحفة نادرة فى العمارة

الاسلامية لكثرة ما فيه من مقرنصات ودلايات منحوتة فى الحجر ظاهرة فى كورنيشه العظيم ومدخله الشاهق ودرجاته الضخمة .

متحف الفن الاسلامى

وقبل ان تنتهى جولتنا بين معالم الآثار الاسلامية لا ننسى ان نزور متحف الفن الاسلامى ، فهو يعتبر من أكبر وأعظم المتاحف فى العالم التى تضم الكنوز الفنية التى تم إبداعها فى ظل الحضارة الإسلامية . وهو يحوى تحفا فنية صنعت فى البلاد العربية والإسلامية ويبلغ تعداد تحفه حوالى الف قطعة تمثل مختلف العصور . ومن أهم هذه القطع مصحف ضخم هو أكبر المصاحف المكتوبة بخط اليد بنموذج الخط الكوفى ، بالاضافة الى مصاحف اخرى محلاة صفحاتها بالذهب والألوان . وبالمتحف أيضا سجادة من الحرير المشغول بالذهب والفضة ورسم الكعبة الشريفة على بلاطة من الخزف . وعدد من القناديل والنجف النحاس والمباخر والشمعدانات والاباريق والسلاطين والمشربيات وغيرها من التحف التى ترمز الى الدولة الفاطمية والمملوكية والعثمانية .

المزارات المسيحية

وننطلق الى أبرز منطقة تضم المزارات المسيحية بالقاهرة .. فقد دخلت المسيحية مصر لتجد أرضاً خصبة تنتشر فيها وتزدهر عندما قدم اليها القديس « مرقص الرسول » أول المبشرين بالانجيل فى مدينة الاسكندرية فى النصف الثانى من القرن الاول الميلادى . وبدأت تعاليم الدين المسيحى تنتشر فى مصر منذ ذلك الوقت حيث تركت بصماتها الخالدة ممثلة فيما خلفته من كنائس وأديرة مليئة برسوم القديسين . وكان القديس مرقص الرسول قد قام ببناء أول كنيسة فى مصر حيث أرسيت قواعد العقيدة . ويتجلى الإبداع المسيحى الذى

كان حلقة اتصال بين الفن الفرعونى والفن الاسلامى فى المزارات المسيحية التى تشهد على روعة وجمال واتقان الفن القبطى حيث حظيت القاهرة بجانب كبير منها .

وأغلب الكنائس الأثرية تقع بمنطقة قصر الشمع فوق اطلال حصن بابليون بالقاهرة القديمة ... وأبرز مانقوم بزيارته منها :

■ الكنيسة المعلقة :

سميت بهذا الإسم لانها بنيت على البرج الجنوبى لحصن بابليون . وقد تم بناؤها فى أواخر القرن الرابع الميلادى على الطراز البازيليكى .

وتتكون الكنيسة من صحن يحيط به جناحان ودهليز تفصل بينهما أعمدة رخامية . وتقع هياكلها الثلاثة فى الجهة الشرقية حيث يحجزها أحجبة من الخشب ذات حشوات مطعمة بالعاج والأبنوس المنقوش . وعلى الجدار الجنوبى توجد أيقونات ترجع لعصور المسيحية الأولى . على أن أهم آثار الكنيسة تلك الكتلة الخشبية المنقوشة للسيد المسيح وهو يدخل منتصراً الى القدس .

■ كنيسة ابى سرجة :

يرجع تاريخ إنشاء هذه الكنيسة الى القرن الرابع الميلادى وتنسب الى الشهيدين « سرجيوس » و « آخس » ويقصد الكنيسة الزائرون من مختلف الطوائف نظراً لأنها شيدت فى المكان الذى استقرت به العائلة المقدسة بعد رحلة الفرار من « هيرودوس » الى مصر .. وتم بناء الكنيسة فوق المغارة التى أقامت فيها العائلة المقدسة .

وشأن معظم الكنائس القديمة فقد شيدت هذه الكنيسة فى وسط حصن بابليون على الطراز البازيليكى . وتتكون الكنيسة من صحن يحيط به جناحان . وتوجد ثلاثة هياكل فى الجانب الشرقى يحجزها احجبة من الخشب ذات حشبوات من النقوش الدقيقة المطعمة بالأبنوس والعاج . ويحد البهو إثنا عشر عموداً تزدان بصور لتلاميذ السيد المسيح . كما يزين الجدار الجنوبى للكنيسة صف من الأيقونات النفيسة . ويوجد بالكنيسة كهف وبئر يضيفان أهمية كبرى لشهرة الكنيسة التاريخية العريقة .

■ كنيسة الست بربارة :

تقع بمنطقة مصر القديمة فى الجانب الشرقى من حصن بابليون وتعد من أجمل الكنائس فى مصر ويرجع اسم هذه الكنيسة الى فتاة تدعى بربارة كانت قد اعتنقت المسيحية خروجاً على دين والدها الوثنى الذى شكا أمرها الى الوالى الرومانى فأمر بقتلها .

وبنيت الكنيسة على الطراز البازيليكى ولكنها تعرضت للتصدع ، وأعيد بناؤها خلال العصر الفاطمى مع احتفاظها ببنائها الرائع المصنوع من الخشب الجميزى المحلى بنقوش تعد ذروة فى الفن والجمال .

□ كنيسة العذراء :

يطلق على هذه الكنيسة اسم « قصرية الريحان » تشبيها للسيدة مريم بأنها الأصيص الريحانى الذى أنبت عيسى عليه السلام .

وقد بنيت هذه الكنيسة فى القرن الثامن الميلادى على الطراز البازيليكى داخل اسوار حصن بابليون وتتميز بطابع فريد من ناحية التصميم ويظهر هذا الطابع الفريد فى المشربية والمنارة القصيرة

الموجودة فى الواجهة الخارجية للكنيسة ، كما أن للكنيسة ثلاثة هياكل من الخشب المطعم بالعاج الى جانب أنها تضم بعض الأيقونات الثمينة .

◻ كنيسة مار جرجس :

وتقع هذه الكنيسة فى منطقة مصر القديمة وقد شيدت على أنقاض الكنيسة القديمة التى بنيت فى القرن التاسع الميلادى ثم احترقت وتم بناؤها على الطراز البازيليكى وأهم شواهد الكنيسة القاعة التاريخية التى يطلق عليها اسم « قاعة العرسان » والتى يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر الميلادى وتعتبر قطعة رائعة من الفن الرفيع .

◻ دير ابو سيفين :

يقع هذا الدير فى حى مصر القديمة بشارع جامع عمرو خارج حصن بابليون ويحتوى الدير على ثلاث كنائس اكبرها كنيسة « الانبا شنوده » التى يرجع تاريخها الى القرن الخامس الميلادى والثانية هى كنيسة « أبى سيفين » أما الكنيسة الثالث فهى كنيسة « العذراء الدمشيرية » نسبة إلى احد اثرياء قرية دمشير بمحافظة المنيا الذى قام بترميم هذه الكنيسة . ويضم الدير ايضا ديرا للراهبات يرجع تاريخه الى العصر الفاطمى ويتميز بمقصورة غاية فى الفن والإبداع .

◻ كنيسة القديس مينا :

وتقع فى منطقة فم الخليج بالقرب من حى مصر القديمة وقد بنيت الكنيسة فى القرن السادس الميلادى وسميت على اسم القديس مينا وهو قديس من ابر القديسين فى الكنيسة القبطية .

□ الكاتدرائية المرقصية :

تحظى هذه الكنيسة بمكانة هامة إذ أنها تضم رفات القديس « مرقص الرسول » والذى تم نقله من إيطاليا الى القاهرة عام ١٩٦٨ وهو أول الرسل الذين بشروا بالمسيحية فى مصر .

وقد بنيت حديثا فى منطقة العباسية وتعد أكبر كنيسة فى أفريقيا وهى نموذج فريد فى تطور العمارة .

□ شجرة العذراء مريم :

توجد هذه الشجرة بمنطقة المطرية وتعد من أهم المزارات المسيحية فى مصر ، ويبلغ عمرها أكثر من الفى سنة ، ورغم هذا العمر الطويل فإنها دائمة الخضرة .

وترجع أهمية هذه الشجرة الى لجوء العذراء مريم ووليدها إليها عند وصولهما الى هذه المنطقة أثناء رحلة العائلة المقدسة الى مصر هربا من اضطهاد هيرودوس .

□ كنيسة العذراء بالزيتون :

هى إحدى الكنائس التى ذاعت شهرتها فى السنوات الأخيرة وأصبحت مقصدا للزوار من مختلف انحاء العالم لنوال البركة وخاصة بعد ظهور السيدة العذراء فوق قبة من قباب الكنيسة .

وهذه الكنيسة مبنية حديثا إلى حد ما .

□ المتحف القبطى :

يوجد فى منطقة مصر القديمة ويقع وسط مجموعة الكنائس الأثرية المسيحية والمتحف بموقعه وبما يحويه يمثل دلالة واضحة على نشأة المسيحية ونموها وازدهار حضارتها فى مصر .

ويحوى المتحف مجموعة نادرة من الأيقونات من آثار العصور المسيحية الأولى علاوة على عدة مخطوطات فريدة تؤكد ان الفن المسيحى كان حلقة اتصال بين الفن الفرعونى والفن الإسلامى .

□ الأديرة المسيحية فى مصر :

ننتهز هذه الفرصة لنتذكر بعض الأديرة المسيحية التى ينتشر اغلبها فى صحراء مصر ووديانها :

ـ دير القديس انطونيوس : وهو ينسب الى الأب الروحى لنظام الرهبنة القديس انطونيوس .. وقد بنى على سفح جبل الجلالة القبلى بالصحراء الشرقية فى القرن الرابع الميلادى فوق المكان الذى لجأ اليه هذا القديس متبتلا حتى وافته منيته . وبالدير خمس كنائس ومكتبة تضم ١٥٦٢ كتابا منها ١٤٣٨ مخطوطا .

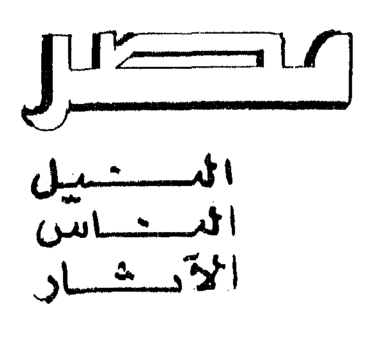
ـ دير الانبا بولا وقد انشىء هذا الدير فى القرن الرابع الميلادى على هيئة حصن بين الجبال العالية بالقرب من البحر الأحمر ويعد الانبا بولا أول المتبتلين فى عصر المسيحية . ويحتوى الدير على أربع كنائس ومكتبة بها ٧٦٤ مخطوطا .

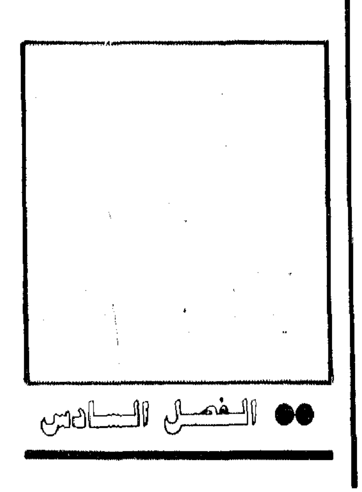
ـ أديرة وادى النطرون : وهى تشمل أربعة أديرة حول منخفض وادى النطرون بالصحراء الغربية وهى « البراموس » ودير أنبا بيشوى ودير ابى مقار وأقدمها دير السريان الذى اسس فى القرن الرابع وأعيد بناؤه فى القرن التاسع ويضم ثلاث كنائس .

ـ الدير المحرق وهو يقع فى صعيد مصر عند بلدة « نزالى » جنوب قرب أسيوط وانشىء فى القرن الرابع الميلادى الذى أقامت فيه العائلة المقدسة وبالدير أقدم كنيسة مصرية باسم العذراء وبها صورة رائعة للسيدة العذراء وأمامها طفلها .

- الدير الابيض : وقد أسس فى القرن الخامس الميلادى ويقع فى صعيد مصر بالقرب من مدينة سوهاج وقد كرس وسمى الدير على اسم الانباء شنودة وهو أحد أهم الشخصيات البارزة فى تاريخ الرهبنة والكنيسة القبطية ويشبه الدير فى منظره المعابد المصرية القديمة .

- دير سانت كاترين وله زيارة خاصة عند زيارتنا لسيناء .





●● الفصل السادس

مصر الفرعونية .. ومتحف الآثار

لاتستطيع وأنت تضع اولى خطواتك على عتبات متحف الآثار ، الا أن تقف مبهورا مفتوح العينين ، اذ تجد نفسك فى قلب بانوراما واسعة تحكى لك كل مظاهر العظمة فى تاريخ مصر القديمة فهنا نماذج من تراث خلفته مصر الفرعونية للعالم ، هو أثمن وأبقى ماورثته الإنسانية ، آثار العهد الذى هيأ للإنسان فى العالم القديم أن يتحرر من قيود الحياة البدائية ، وأن يسير بخطوات واسعة نحو الرقى

والمعيشة الهادئة فى وسط هيئت له فيه كل أسباب الحياة .. وكان لابد من خلال هذه الحياة ان تقوم حضارة رائعة خالدة كان يمكن ان تظل خافية قابعة فى عمق الارض ، لولا انه من حسن حظها وحظ البشرية أن طقس مصر وتربتها الجافة قد حفظت للناس الكثير من شواهد هذه المدينة العظيمة بآثارها وأخبارها ومراسمها .. وحسب المرء أن يتجول بين آثار مصر ويدور بين متاحفها ، وأبرزها متحف الآثار ، لكى يظفر بصورة شائقة عن تطور الفكر الإنسانى من العصر الحجرى إلى عصر الامبراطوريات .

اثار مختلف العصور

من الصعوبة بمكان ان يلاحق الزائر للمتحف المصرى كل هذه الآثار المتناثرة فى القاعات والاروقة ، والتى نظمت حسب تسلسل العصور والدول المصرية القديمة ... حيث تمثل هذه العصور بآثار قيمة نادرة منذ عصر ماقبل التاريخ الى العصر الرومانى ... ولكن حسبنا ان نذكر نماذج مما يمكن استيعابه مما نشاهده فى قاعات المتحف وطوابقه .

ففى الطابق الأول نشهد آثار الأسرة الأولى ، ولعل أبرزها لوحة الملك مينا (نارمر) من الحجر الأردواز وهى تعبر عما بذل من جهود فى توحيد السلطة فى مصر بالصور دون الكتابة .

وفى الطابق نفسه نشهد آثار العصر الفرعونى ونماذج المعمار للدولة القديمة والدولة الوسطى وبعض التماثيل للدولة الحديثة وكلها معروضة فى صحن المتحف . ويلفت النظر فى آثار الدولة القديمة (هى عصر بناة الأهرام من سنة ٢٧٧٨ إلى سنة ٢٥٦٣ ق . م) إن النحت يعبر تعبيرا واقعيا عن مظاهر الحياة المختلفة بالرغم من بعض الجمود التقليدى وقد استطاع الفنان المصرى ان يعبر عن الملامح البارزة بالرغم من صلابة المادة مثل حجر الديوريت أو قابليتها للانكسار مثل

المرمر والخشب وتمثال الملك خفرع بانى الهرم الثانى يظهر كيف أمكن للفنان أن يعبر عن الوقار الملكى لهذا الفرعون العظيم ببراعة فائقة فالملك يجلس على عرش يرمز الى اتحاد الوجهين القبلى والبحرى ويشاهد خلف رأس التمثال باشق ناشر جناحيه يحمى الملك ... وهذا الطائر رمز للمعبود حورس حامى الملك كما ورد فى الأساطير الدينية .

رع حتب ونفرت

وهناك تمثال من الخشب فيه جميع مظاهر الحياة وهو معروف باسم شيخ البلد لأن العمال الذين عثروا عليه بهتوا لمشابهته لشيخ بلدة سقارة وقتئذ . وعينا التمثال مطعمتان وحافتهما من النحاس وبياضهما من الكوارتز الشفاف وقرنيتهما من البللور الطبيعى أما انسان العين فيتألف من ثقب صغير اسطوانى الشكل مجوف فى ظهر القرنية وقد حشيت بمادة سوداء من الراتنج ورغم نظرات شيخ البلد الحادة والحزم الذى يتدفق منها فملامحه تدل على طيبة النفس وسلامة القلب .

وقد نجح الفنان المصرى فى تمثال الكاتب الجالس القرفصاء وبيده ورقة البردى والقلم فى اظهار ابتسامة مازجا السخرية بما يمليه رئيس الشونة ..

ومن أجمل التماثيل التى عثر عليها فى ميدوم تمثالا رع حتب ونفرت ويرجع تاريخهما الى أوائل الأسرة الرابعة احدهما للأمير الملكى « رع حتب » الذى كان رئيسا لكهنة هليوبوليس ، والآخر لزوجته « نفرت » الجميلة إحدى أميرات الأسرة المالكة بقوامها المشوق ونظراتها الرائعة وهما أكثر التماثيل المصرية إظهارا للحياة ولا يزال لونهما محفوظا بدرجة مدهشة ونلاحظ الاختلاف بين لون بشرة الرجل والمرأة « إذ كانت بشرة الرجال تلون عادة باللون الأحمر أو الأسمر

القاتم ، بينما النساء تلون بشرتهن باللون الأبيض المائل الى الأصفر » .

الى جانب هذين التمثالين نجد تمثالين جميلين من الحجر الجيرى للكاهن الأعظم « رع نوفر » يمثله الأول وهو بملابسه المدنية ويمثله الآخر بملابسه الكهنوتيـة . ولإظهار الأوضـاع المختلفة اتخـذ الفنان شكل التمثال الواقف تارة يتقدم الى الأمام بقدمه اليسرى ممنطقا بسروال وبيده عصا ، ومرة اخرى جالسا القرفصاء وبيده ورقة البردى .

وهناك تمثالان من النحاس الأحمر للملك « بيبى الأول » وقد طرق الجسم والأعضاء على قالب من الخشب ثم ثبت الجميع بالمسامير وهما اقدم ما عرف من التماثيل المصرية المصنوعة من المعدن كما ان تمثال الملك يعد أكبر نموذج من نوعه .

التصوير بالألوان

وقد حاول الفنان فى عهد الدولة القديمة أن يطرق باب التصوير بالألوان فنشاهد صورة ملونة على الحصن معروفة باسم « بط ميدوم » كما لم يهمل الفنان تمثيل اصحاب الحرف الصغيرة من الطهاة وصناع البيرة والخدم يحملون القرابين وغيرها من المناظر الكثيرة للحياة العامة والزراعية وهى فى مجموعها تدل على رشاقة الحركة والحياة .

ولم يكتف فى عهد الدولة الديمة بنحت التماثيل من الأحجار والأخشاب بل تعداه إلى فن صناعة الأثاث بشكل متقن يبدو فى نموذج للملكة حتب حورس أم الملك خوفو .

ومن آثار الدولة الوسطى (من سنة ٢١٦٠ الى سنة ١٥٨٠ ق . م) نشهد الكثير . حيث تولى الحكم ملوك مشرعون ومصلحون ،

نجد أن الفنان يحاول تصوير شخصياتهم فى شىء من الحزم والصلابة ، وهذه الملامح تدل على مابذلوه من جهد فى إرجاع النظام بعد عصر الفوضى الذى ساد فى آخر الدولة القديمة أحد الأمثلة التى نشاهدها تمثال الملك أمنحتب من الحجر الجرانيت وغيره من التماثيل التى عثر عليها فى إقليم الفيوم وقد حافظ هذا العصر على تقاليد النحت المتبعة فى مدينة منفيس وهناك عشرة تماثيل جميلة من الحجر الجيرى ارتفاع كل منها متر وتسعون سنتميرا كلها تمثل سنوسرت الأول وعلى جوانب مقاعد هذه التماثيل نقوش دقيقة الصنع تمثل ضم الوجهين البحرى والقبلى تحت سلطان فرعون .

عصر الامبراطورية

وننتقل الى آثار الدولة الحديثة (من سنة ١٥٨٠ الى سنة ١٠٠٠ ق . م) .

وهو العصر الذى كانت فيه مصر امبراطورية واسعة الحدود امتدت من حدود اثيوبيا الى اطراف الفرات وآسيا الصغرى فإننا نرى ان الفنان كان يعتمد دائما على الذوق السليم كما امتازت اعماله بالمغالاة فى الالوان وكثرة النقوش الزخرفية الواضح فيها تأثير بلاد الشرق . كما تحول وقار التعبير الذى نلاحظه فى تماثيل الدولة القديمة والدولة الوسطى الى ملامح تعلوها ابتسامة كما نلاحظ فى تمثال تحتمس الثالث اعظم الفاتحين من ملوك مصر ونلاحظ ان الرأس رائع الصنع وهو بلا نزاع صورة طبق الاصل للملك .. ونشهد لوحا كبيرا من الجرانيت الأسود عثر عليه فى الكرنك منقوشا عليه قصيدة من الشعر تذكارا لانتصارات الملك على كل أمة من الأمم .

وهناك مقصورة من الحجر الجيرى لها سقف مقبب الشكل كان بداخلها تمثال البقرة رمز الإلهة حـاتحور وهى معـروضة فى وسط

القاعة ويبدو تمثال البقرة حاتحور وامامها الملك امنحتب الثانى وقد مثل الملك يرضع من ضرعها . نشهد ايضا نقوشا بارزة من معبد الملكة حتشبسوت بالدير البحرى تمثل ملكة بنت (الصومال) يتبعها عبيد يحملون الهدايا وهى قادمة لتقديم فروض الطاعة الى رسول ملكة مصر فى الجانب الأيسر من القاعة بالطابق الأول نشهد مجموعة من آثار عصر « إخناتون » الذى قامت المنازعات بينه وبين كهنة آمون بطيبة حيث اجتهد فى القضاء على عبادة هذا الإله فغير اسمه وهجر عاصمة ملكه واسس مدينة جديدة بتل العمارنة (أخيتاتون) حيث تفرغ لعبادة اتون الذى يرمز الى القوة وراء الشمس . ضمن هذه الآثار التى يبرز بينها تمثال لإخناتون وتماثيل لزوجته نفرتيتى نرى صورة فريدة للملك اخناتون يحمل على ركبتيه طفلا قد حول اليه وجهه ليقبله وكذلك تمثالا صغيرا رائعا من الحجر الجيرى لإخناتون على رأسه تاج ازرق ويداه ممدودتان تحملان مائدة القربان .. وهناك قطعة او نموذج لتمثال احدى بنات اخناتون تبدو فيه مبالغة غريبة فى حجم الجمجمة ولكن صنع التمثال جدير بالإعجاب لما بذله الفنان فى نحته من عناية تامة ودراية مدهشة بعلم التشريح .

ومن ابرز ما فى قاعة اخناتون لوح مربع كان يقى سطحه مصراعان من الخشب يرجح أنه كان مستعملا لعبادة الملك فى منزل خاص ويشاهد الملك والملكة جالسين متقابلين تحت اشعة قرص الشمس « آتن » يدللان بناتهما ويعد هذا المنظر من اروع المناظر العائلية التى عرفت من عهدى اخناتون وتوت عنخ آمون .

كنوز توت عنخ آمون

المتحف المصرى عامر بآثار العصور الفرعونية حتى العصر الرومانى وهى آثار قد لايتسع المجال لمشاهدتها لكل من يزور المتحف المصرى الا أننا فى جولتنا لانستطيع ان نتجاوز عن أبرز ما يضمه المتحف .. « كنوز توت عنخ آمون » ...

هنا ... لابد من وقفة متأنية ...

فاذا كانت كنوز توت عنخ آمون التى تم العثور عليها واستخراجها من مقبرة واحدة من مقابر وادى الملوك فى البر الغربى من الأقصر هى الوحيدة التى عثر عليها لم تقربها أيدى لصوص الآثار القدامى والمحدثين ، فالذى لاشك فيه أن بقية مقابر الملوك كانت تزخر بالمئات من امثال كنز توت عنخ آمون ، الا ان اللصوص قد نهبوها على مدى القرون وليس أدل على ذلك مما تزخر به متاحف العالم من الآثار المصرية حيث لايكاد متحف عالمى يخلو من قاعات كاملة مخصصة لها وهى لاتقدر بثمن . واذا كانت محتويات هذه المقبرة لم ترسل على تاريخ عهد توت عنخ امون غير شعاع ضئيل من النور ، الا انها جعلت العلماء يعيدون النظر فى تقديرهم لما وصل اليه المصريون فى الفنون والصناعات وما بلغوه من الثروة .

لقد تم الكشف عام ١٩٢٢ بمعرفة كارتر وكارنارفون عن مقبرة توت عنخ امون الذى جلس على العرش فى سن التاسعة مع نهاية الفترة الاخناتونية وتوفى وعمره ثمانية عشر عاما اى ان حكمه لم يتجاوز تسع سنوات ، منها ثلاث فى عاصمة إخناتون فى تل العمارنة ، وست فى طيبة بعد ان اعاد رسميا ديانة امون ، وغير اسمه من توت عنخ أتون الى توت عنخ امون وتوفى عام ١٣٤٣ قبل الميلاد اى منذ حوالى ٣٣٢٤ سنة عندما تم الكشف عن المقبرة ، حيث وجدت حجراتها مكدسة تكديسا بالاثاث والتماثيل والعربات المذهبة والقطع المرمرية والمجوهرات الذهبية المطعم اغلبها بالأحجار الكريمة .. وكان أبرز هذه الآثار ـ التى سبقت دخول مقصورة الدفن وكنوزها ـ كرسى العرش الذهبى الذى يحمل صورة الملك وزوجته عنخى امون وهو يوصف بأنه اروع عمل فنى فى العصور القديمة وعندما تم فتح المدخل المؤدى الى حجرة الدفن فوجىء الجميع بأروع آثار مصر القديمة فى مقبرة توت عنخ آمون ، والتى نقلت بعد ذلك للعرض فى متحف الآثار المصرى بالقاهرة .

بداية الصورة تبدو عند زيارة مقابر وادى الملوك فى الاقصر ففى المقبرة لايزال تابوت الملك الحجرى فى مكانه وبداخله احد التوابيت الخشبية المذهبة ، وفيها مومياء الملك كما عاشت فى هذا المكان طوال ٣٣٣٦ سنة وتركت فى مكانها خوفا عليها من نقلها الى المتحف الذى نقلت اليه بقية الآثار . وقد جردت المومياء من لفائفها الأصلية والجواهر التى كانت تحيط بها إذ أعيد لفها فى لفائف جديدة وقد رفع الآن غطاء التابوت الحجرى وغطى بالزجاج حتى يمكن مشاهدة التابوت الثانى الذى يمثل الملك لابسا لحيته المستعارة وعلى جبهته رأس الصل والعقاب وهو يحمل فى يديه صولجانى الحكم والسلطان .

المقصورات الذهبية

ونعود الى المتحف المصرى بالقاهرة ..

فى القاعة الخاصة المسماة بقاعة توت عنخ آمون رحنا نتتبع مشهد الكنز الاثرى العظيم ، ونتصور صورته عندما عثر عليه داخل المقبرة فى وادى الملوك .

هنا اربع مقصورات من الخشب المذهب متداخلة بعضها فى بعض كانت تضمها غرفة الدفن المنحوتة فى الصخر ولكنها وضعت واحدة وراء الأخرى فى المتحف متتابعة لإمكان مشاهدتها .

المقصورة الأولى مصنوعة من الخشب المذهب المطعم بعجينة من الزجاج اللازوردى الازرق وتمثل زخارف الجدران الأربعة للمقصورة المغطاة بصفائح من ذهب ، بعض الشعائر الدينية حيث التفت الآلهة حول الملك وهو فى طريقه الى السرداب فى هيئة مومياء محفوظة فى نعش تجره زحافة .. المقصورة الثانية مغطاة بغلاف من نسيج اصفر ثبتت عليه زهرات صغيرة من البرونز المذهب مع زخارف بالنقش الغائر منقوش عليها تميمة اوزوريس وعقد ايزيس .. اما المقصورتان الثالثة

والرابعة فمزخرفتان بصور الآلهة والأرواح تحيط بها النصوص باللغة الهيروغليفية وجدران المقصورتين مذهبة منقوشة بمناظر دينية وطقوسية ، الان المقصورة الرابعة صنعت أفاريزها وسقفها من قطعة واحدة وكانت تحتوى بداخلها على التابوت الجنائزى الضخم من الحجر الرملى المستين الكوارتزى الذى تغطيه كتابات لأسماء الملك وألقابه ، كما يزدان عند كل زاوية من زواياه بصورة جميلة منقوشة تمثل آلهة تبسط ذراعيها المجنحتين تعبيرا عن الحماية .

فى قاعة جانبية بركن كنوز توت عنخ آمون نشاهد توابيت الدفن الذهبية وقناع الملك الذهبى الذى يعد اعظم عمل فنى شهده العالم ، بالاضافة الى المجوهرات والتحف الذهبية التى عثر عليها داخل المقبرة وحول مومياء الملك .

خلال المشاهدة وانت تفتح عينيك مذهولا ، تستطيع أن تتصور المشهد الذى كانت عليه الصورة فى المقبرة عندما تم الكشف .

التوابيت الموميائية

ثلاثة توابيت موميائية متداخلة التابوت الأول مصنوع من الخشب المصفح بالذهب منقوش عليه تمثال الملك فى صورة إله الآخرة اوزوريس . اليدان متقاطعتان على الصدر تمسكان بشارات الملكية المطعمة بعجينة زجاجية زرقاء ، وحمراء كرأس العقاب والصل القائمين على الوجه الذى تكسوه هو واليدين رقائق من الذهب ، بينما على الجانبين مقابض فضية لاستخدامها لتحريك الغطاء .

التابوت الموميائى الثانى كان بداخل التابوت الأول مندمجا معه فى إحكام حتى يصعب على الإنسان أن يولج خنصره بينهما وهو مغطى بصفائح من الذهب ويكسوه من كل اجزائه عجائن زجاجية متعددة الألوان وعلى الصدر قلادة كبيرة من أوراق الزيتون والصفصاف مع أوراق اللوتس .

اما الغلاف المومیائی الثالث فمصنوع من الذهب الخالص والوجه هو الشیء الوحید الذی کان مکشوفا وعلی الصدر قلادة من أزهار علی قاعدة من البردی الطبیعی .. ومحفور علی التابوت زخارف دینیة حیث تتشابك اجنحة الإلهین إیزیس ونفتیس ، إلهتی الوجهین البحری والقبلی ، إجتمعتا معا لحمایة جثمان الملك .

عندما فتح التابوت الثالث ظهرت اروع صورة اثریة تشد الأنفاس ، القناع الذهبی العجیب یمثل اروع صورة للملك ولكن المومیاء نفسها وجدت متضخمة من تراکم الدهون التی صبت علیها وقت اداء الشعائر والتحنیط وكانت المومیاء ملتصقة بقاعدة التابوت مما جعل هناك خشیة من نقلها ولهذا ترکت فی مکانها داخل المقبرة .

أما أروع ماعثر علیه من کنوز داخل الأکفان الکتانیة فهو مائة وثلاث وأربعون حلیة ذهبیة موزعة فی مائة موضع علی الجثة الملفوفة بالکتان ، ولكنها لاتساوی شیئا بجوار التابوت الثالث المصنوع كله من الذهب الذی یتراوح سمکه بین ٢,٥ و٣,٥ مللیمترات وتبلغ زنته وحده حوالی ١١١٠ کیلو جرامات من الذهب الخالص الذی لایمكن تقدیره بثمن .

اما القناع الذهبی للملك فهو اروع ماشهده العالم وکان القناع مثبتا عل المومیاء بكل تقاطیعه الهادئة وهو مصنوع من الذهب الخالص المطعم بأحجار کریمة وغطاء زجاجی ملون ویبدو رمز الصل الملکی المستعار الی الأسفل . اما الحاجبان والجفون فمرصعون باللازورد وعلی الصدر عقد کبیر مرصع بالزجاج والأحجار الکریمة وینتهی طرفاه برأس بدیع الصنع .

ومن الملفت للنظر صندوق کبیر من الخشب المذهب علی شکل صرح « البایلون » ووضع فوقه تمثال ضخم مدهون بطلاء اسود للاله انوبیس ملفوف بقماش من کتان بحیث لایظهر رأسه وفمه المدبب

وعيناه المرصعتان بالذهب وأذناه الموشتان بالمعدن النفيس وتحت القماش وشاح من كتان مغطى بقلادة نباتية من زهرة اللوتس والعنبر . وبين القدمين الأماميتين ومخالبهما الفضية وضعت لوحة صغيرة عاجية كانت متكا لمريت اتون احدى بنات إخناتون واخت زوجة توت عنخ امون . وكان فى داخل الصندوق حلية للصدر وتمائم ونماذج للقرابين .

عرش الملك احد ابرز معروضات توت عنخ آمون .. فهو من الخشب المحفور المكسو بالذهب فيه زخرف بديع مختلف الألوان من القاشانى والزجاج والأحجار الكريمة والفضية . والمقعد مرتكز على اربعة قوائم تشبه ارجل الهررة ويعلو كلا من القائمتين الأماميتين رأس اسد فاخر الصنع وقد نحت كل من مسندى الذراعين على هيئة حية متوجة لها جناحان طويلان منشوران على اسماء الملك لحمايتها وعلى حشو الظهر منظر خلاب تتجلى فيه الحياة المنزلية على حقيقتها ، إذ يرى فيه الملك جالسا بهيئة هادئة ، والملكة ماثلة امامه وفى احدى يديها إناء صغير ، وتلمس بالأخرى كتفه برقة ولطف وفى أعلى هذا المنظر قرص الشمس آتن اله تل العمارنة ، مرسلا على الزوجين اشعته النافعة وقد نقش على الجزء الخارجى للعرش اسما الملك والملكة القديمين « توت عنخ آتن » و « عنخ سينا آتن » وفى الجزء الداخلى منه اسماهما الجديدان « توت عنخ آمون » و « عنخ ستون » وكان فيما بين أرجل العرش زخارف من خشب مذهب تمثل اللوتس والبردى اللذين يرمز بهما لاتحاد الوجهين القبلى والبحرى .

تحف رائعة

هناك تحف رائعة من المرمر . إحداها كأس جميل نحت على شكل زهرة اللوتس المتفتحة ويحيط بحافته نص هيروغليفى فيه دعاء للملك بالرفاهية وطول العمر . وللكأس عروتان كل منهما تمثل باقة من

اللوتس ، وبراعمه تعلوها صورة يرمز بها إلى ملايين السنين . كذلك أربع أوان كبيرة من المرمر يرجح أنها للأدهان العطرية وكل إناء يكتنفه النباتان الرمزيان وهمـا اللوتس والبـردى والإشارة الهيروغليفية . وهناك صندوق من المرمر مطعم بعجينة حمراء وسوداء وقبضاته من حجر معدنى أسود بالإضافة إلى مشغولات مرمرية أخرى بديعة الصنع .

نشاهد أيضا مقصورة من الخشب المكسو بصفائح الذهب ، مرتكزة على زحافة مكسوة بالفضة ، ولها باب ذو مصراعين يغلقان بمزاليج من الأبنوس والمصراعان مزينان بستة مناظر صغيرة دقيقة الصنع تمثل حياة الملك والملكة الداخلية بالأسلوب الحى الجميل وعلى جانبى المقصورة وظهرها مناظر من الطراز السابق . فعلى الجانب الايسر يرى الملك والملكة يصيدان فى المستنقعات وتحت هذا منظر يمثل الملك جالساً على كرسى وبجواره أسد أليف وهو يرمى الطيور بالسهام بينما تناوله الملكة سهماً . وفى المنظر العلوى يرى الملك والملكة فى قارب من نبات البردى وهما يرميان الطيور . من بين الكنوز الذهبية جعل كبير من الذهب والازورد على قاعدته المسطحة حفر جميل يمثل الملك يحرسه آتوم وحورس ، وخاتم ثلاثى من الذهب الازورد وقد صيغ فصه فى شكل جعل وسفينة للشمس ، وخاتم مزدوج من الذهب له فصان حفر على كل منهما صورة بديعة للملك واقفاً . وخاتم ثلاثى ركبت فيه ثلاثة جعل إثنان من الذهب والثالث من الازود ، وسفينة للشمس من الذهب والفضة ، وصولجان ملكى من الذهب والزجاج الازرق المقلد للون اللازورد وعقد من خرز كبير من الذهب والعقيق الأحمر وحجر الفلسبار الأخضر والزجاج ويتدلى منه حلية تمثل آلهة على شكل حية من الخشب المذهب ، وقوس كبير مكسو جميعه بالذهب والتطعيم وبعض النقوش التى تحليه مزركشة محببة غاية فى الابداع ، وبوق حربى من الفضة المزخرفة بالذهب والكتلة الخشبية

المحشو بها عملت خصيصاً للمحافظة على شكل هذه الآلة الموسيقية ، ومروحة للحفلات لها مقبض طويل مكسو بالذهب وقد كانت مجهزة فى الأصل بريش النعام والأجزاء المسطحة مكسوة بصفيحة من الذهب ومزينة بنقوش من بينها مناظر صيد النعام ووعاء للعطر من الذهب متدلية رمزا للطفولة . ويعلو الغطاء المزدوج زوجان من ريش النعام من الذهب المطعم بالزجاج يضمان بينهما قرص الشمس . كل ذلك بالإضافة إلى بضع عشرات من العصى والحلى الذهبية من أرقها حلية للصدر من الذهب فى صورة طائر ناشر جناحيه له رأس إنسان ويرمز به للروح وهو قابض بمخلبه على رمزى الأبدية . وعلى رأسه تاج يشبه تاج الملك تماماً وقد صنع الريش من زجاج مطعم فى أسلاك من الذهب ، وكذلك خنجر من الذهب له مقبض بديع الزخرف وقد مثل على أحد وجهى الغمد حيوانات برية نقشت على الطراز المعروف فى جزر بحر إيجه ، وصدرية من الذهب المرصع بالاحجار والزجاج تمثل « العين الرمزية يحميها الصل والعقاب » وهناك مجموعة من الاساور الذهبية أحدها محلى بعين رمزية ، وآخر محلى بقطعة من جلد التمساح مطعمة فى صفيحة من الذهب مستطيلة الشكل ، وسوار آخر حليته الرئيسية عقاب من العقيق ، وسوار يتركب بضفة من ثلاثة صفوف من خرز من العقيق والامتست بشرائط عمودية من الزجاج تقليداً للازورد والفيروز والعقيق ، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الخواتم الذهبية وعصابات الرأس من صفائح الذهب وقلادات وأغلفة من الذهب كانت تقى أصابع ايدى المومياء وأصابع القدمين .

تلك بعض الكنوز التى نشهدها فى قاعة توت عنخ آمون التى تضم ٢٧٠٠ قطعة فريدة ولا تقدر بمال ... وهى التى يطوف بعضها فى رحلة بين العواصم العالمية حيث تصطف طوابير عشرات الآلاف من الجماهير فاتحة عيونها فى ذهول إلى ماتمثله الآثار المعروضة من روعة ابداع المصرى القديم .

معالم حديثة

حين ندلف خارجين من باب المتحف المصرى مجمع الحضارات القديمة .. نجد أنفسنا من جديد مع نقلة حضارية جديدة تبرزها معالم القاهرة وعالمها الحديث ...

فالقاهرة الآن قد وضعت قدمها على طريق الانطلاق وعلاج ما بها من مشاكل تراكمت على مدى السنين . وأهل القاهرة يسمونها « مصر » ... ومصر تعنى فى اللغة العربية « البلد الكبير » وهكذا أصبحت كلمة مصر تعنى القاهرة كما تعنى فى الوقت ذاته دولة مصر كلها . ولعل فى ذلك مايدلل على أهمية هذه المدينة العريقة فى قلوب وعقول المصريين . أما أهل الريف الذين ينزحون إليها بحثا عن فرصة عمل فيطلقون عليها اسماً آخر :« أم الدنيا » .

والذين قدر لهم زيارة مدينة القاهرة قبل بضع سنين ، لا بد أنهم قد لاحظوا اليوم أن المدينة كانت تتأرجح على حافة التردى ... زحام غير معقول ، إنفجار سكانى ، خدمات وصلت أقصى طاقة لها ولم يتم تطويرها منذ زمن بعيد . كانت كثير من المشروعات قد توقفت بسبب الحروب المتوالية بين سنة ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ ، والتى عانت منها مصر وحدث نزوح كبير للعقول المصرية المبدعة الى خارج البلاد . اليوم تتأرجح القاهرة بزحامها ايضا ولكن على حافة مستقبل مشرق ... ويكفى أنك وأنت تسير فى شوارع القاهرة الحديثة ستجد نفسك وسط سيناريو كامل من التجديد ... المبانى الجديدة الشاهقة المنتشرة فى كل مكان .. الشوارع الواسعة والجسور العلوية والطرق السريعة ، الجامعات والمعاهد والمدارس التى يتزايد الدارسون فيها كل يوم ، المستشفيات المتخصصة والفنادق المتناثرة فى مختلف الأحياء على مختلف المستويات ، النوادى الرياضية والملاعب الأولمبية إلى جانب الساحات الشعبية والحدائق الواسعة . والضواحى

الجديدة التى بدأت تمتد إلى خارج نطاق القاهرة مثل مدينة نصر ومدينة ١٥ مايو والقطامية ومدينة ٦ أكتوبر ومدينة المقطم التى بدأت كلها تجتذب الكثير من السكان الذين ضاقت بهم المدينة فى نطاقها الأصلى . والذين يسيرون ليلاًعلى كورنيش النيل والطرق السريعة سيلحظون خطوطاًطويلة من الشاحنات الضخمة وعربات النقل فى عملية لاتنتهى فى طريقها إلى شمال وجنوب القاهرة حاملة الرمال وعوارض المعادن والخشب ودعامات الحديد الضخمة وهو مايعكس أن عملية تنمية مصر وضواحيها تسير على قدم وساق .

وثمة تحسين كبير فى خدمات المدينة حيث تتمتع القاهرة بمحطات جديدة لتوليد الكهرباء وخطوط التليفونات وشبكات الصرف الصحى ، كما حدث تحسن كبير فى المواصلات فأصبح هناك المزيد من خطوط الأتوبيسات والمينى باص والنقل النهرى عبر النيل ... بالإضافة إلى امتداد مترو الأنفاق الجديد بين حلوان والمرج والذى يجرى العمل حاليا لامتداد فروع أخرى منه تخترق القاهرة إلى بقية ضواحيها .. ويقال حالياً إن حل مشكلات القاهرة ليس إلا مسألة وقت حيث من المنتظر أن يؤدى تطوير شمال القاهرة وجنوبها إلى منع السكان من التركيز على المدينة القديمة ، وفى نفس الوقت سيجتذب من سكان القاهرة الكثيرين إلى المناطق الجديدة ... كما أن عملية التطوير التى تشهدها الكثير من المناطق والمدن الجديدة والشواطىء والمنتجعات ستؤدى إلى اجتذاب الكثيرين للإقامة فيها بدلا من التدفق على العاصمة .

ولان مصر مقصد الكثير من السائحين فإنك تسمع دائماً أنهم يكتشفون فى القاهرة كل يوم جديدا ، وأنها تتغير باستمرار ، ولكن الذى لم يتغير أبداً هو آثار مصر التى يمتد تاريخها إلى عشرات القرون . وهم كلما جاءوا إلى القاهرة لمشاهدة الجديد فيها والتمتع بزيارة معالمها :ـ مساجدها ومتاحفها وآثارها الفرعونية والمسيحية

والإسلامية ـ يعودون إلى فنادقهم فى كل مرة محملين بالهدايا من الحلى الذهبية والمنتجات الفضية والنحاسية المطعمة بالصدف والحلى والملبوسات المطرزة من خان الخليلى والغورية ويحسون أنه ليس من الغريب أن يكتشفوا ذلك الصفاء والنقاء فى المدينة التاريخية وهذا الجمال فى ليلها الهادىء ونهارها النابض بالحياة خاصة فى وسط الأحياء الأثرية القديمة التى تقول لهم كل يوم شيئاً جديداً بين إشراقة الشمس وعند الغروب خاصة وأنهم يشهدون بأنفسهم مايتميز به المصريون من كرم الضيافة وحسن المعاملة لأنها طبيعة متأصلة فى أهل مصر .

مبنى المؤتمرات

وفى القاهرة من المعالم الحديثة مبنى المؤتمرات فى مدينة نصر والاستاد الأولمبى بالمعادى بالإضافة إلى المركز الثقافى التعليمى الجديد « دار الأوبرا » وهو نموذج معمارى صممه اليابانيون على الطراز الإسلامى الكلاسيكى وتقدم عروض الاوبرا فيه فرق قادمة من مختلف أنحاء العالم . كل هذا بالإضافة إلى المبنى الرئيسى لبرجى الاذاعة والتليفزيون اللذين يرسلان صوت القاهرة إلى جميع أنحاء العالم .

وبرج القاهرة من أحدث المعالم الحديثة ويقع فى قلب منطقة الجيزة ويبلغ ارتفاعه ١٨٧ متراً يعلوه طابقان أولهما ذو أرضية متحركة والثانى ثابت . ويستطيع الزائر مشاهدة معالم القاهرة وضواحيها من خلال العدسات البانورامية ويستطيع أن يجد راحته بعد ذلك فى المطعم والكافيتيريا .

وهناك القبة السماوية التى توجد فى أرض المعارض بالجزيرة خلف المبنى الحديث للأوبرا ، وهى الوحيدة من نوعها فى الشرق الأوسط .

وتقدم عرضاً علمياً حياً مشوقاً لحركة الكواكب وقصة الكرة الأرضية .

إن المصريين وخاصة سكان القاهرة يفخرون بماضيهم التليد وجذورهم الثابتة وبنفس القدر فإنهم يفخرون بالتكنولوجيا الحديثة المتطورة والتى تبدو أحد أمثلتها فى المركز القومى للحاسب الآلى ... وفى بانوراما حرب أكتوبر .

وعلى مسافة ٢٢ كيلو متراً من جنوبى القاهرة تقع مدينة الصحة والجمال والشمس المشرقة .. حلوان التى تشتهر منذ القدم بجوها الرائع وهوائها الجاف ومياهها المعدنية التى أكسبتها مكانتها الراسخة كواحدة من أهم مدن الاستشفاء العالمية وبها مركز للعلاج بالمياه الكبريتية يقع وسط مساحة كبيرة من الحدائق الغناء والحمامات به مشيدة على الطراز العربى الجميل وتم تجهيز المركز بأحدث المعدات الطبية العصرية .

الأهرامات وأبو الهول

من حلوان نذهب إلى الجيزة ..

ولأن الزائر إلى القاهرة يفكر دائما فى زيارة الاهرامات بالجيزة وهى الاقرب الى القاهرة من بقية صعيد مصر .

فلابأس من أن نذهب إليها برغم أنها بداية الطريق الى الصعيد .

فقد تمكن المصريون القدماء بعقليتهم الفذة وسواعدهم القوية وآلاتهم البسيطة أن يشيدوا الاهرامات .. هذه المعجزات التى يحنى لها اليوم مهندسو العصر الحديث الرأس إجلالاً واحتراماً ويتضاءل أمامها الكثير من منجزات العصر الحاضر ، وليس من ينكر أن

الهندسة المصرية ظلت متفوقة على معارف أوروبا الهندسية حتى تاريخ الانقلاب الصناعى فى القرن التاسع عشر الميلادى ، رغم أنها كانت متميزة على ضفاف النيل منذ ما قبل أربعة آلاف سنة .. وهذه المعرفة الواسعة بالهندسة هى التى مكنت فن التشييد المصرى من هذا الإنجاز الهندسى المتمثل فى الاهرامات .. والتى شيدتها الدولة القديمة فى عاصمتها منف وما حولها من الضواحى فى سقارة والجيزة وابو صير ودهشور ..

ونتجه إلى منطقة الاهرامات .

ونعود بالذاكرة إلى العاصمة المصرية القديمة « أون » أو مدينة عين شمس موطن عبادة إله الشمس رع حيث المسلة التى لاتزال قائمة حتى الآن فى المطرية . كانت مدينة أون منذ أوائل العصر الفرعونى من المدن المقدسة وكان بين رموزها المقدسة التى ظهرت فى المدينة حجر ذو قمة مدببة يعرف فى اللغة المصرية القديمة باسم « بن بن » هو الحجر الذى تطورت منه فكرة المسلة . وارتبط هذا الحجر كذلك بالطائر الخرافى المعروف باسم « بنو » الذى قال عنه الأثرى الدكتور سيد توفيق إنه دائم الطيران ولا يحط إلا على قمم الأشجار العالية أو الجزء الأعلى المدبب لقمة الحجر « بن بن » . وكان هناك اعتقاد كبير أيضاً بأن فى مدينة عين شمس شجرة عالية مدببة الطرف يحط عليها الطائر « بنو » المقدس . ولهذا ارتبط الطائر بنو بالحجر بن بن والشجرة المقدسة المدببة الطرف .. واصبح الثلاثة من الرموز المقدسة التى ترمز إلى الشمس أو « الإله رع » . وبدأت المسلة التى يعلو قمتها « بن بن » تقوم بدور عام فى معابد الشمس المصرية بل وأصبحت الرمز الحقيقى لإله الشمس . رع . وكان معبد الشمس عبارة عن فناء واسع مكشوف تقوم فى مؤخرته مسلة عظيمة تشبه البن بن ترتفع فوق قاعدة هرمية . وعندما تسقط أشعة الشمس المشرقة على قمة هذه المسلة المغطاة برقائق الذهب تعكس أشعتها

المتوهجة . وتبدو من بعيد كقرص الشمس مما أدى إلى الاعتقاد بأن المسلة نفسها هى مسكن الإله ومركزه وموقعه المقدس .

هذا الشكل الهرمى كان له أعظم معنى مقدس عند ملوك الدولة القديمة ... فالملك عندما يدفن داخل قبر هرمى فمعنى ذلك أنه يدفن تحت رمز الشمس الذى كان يوجد فى قدس الأقداس فى معبد الشمس بهليوبوليس كما يقول برستد . وقد لاحظ موريه أن المثلثات العظيمة المكونة لجوانب الهرم تبدو مثل أشعة الشمس عندما تسقط من السماء بين فجوات السحب فتبدو كأنما تنزل سلماً من أشعة الشمس نحو الأرض . وقد ذكرت نصوص الاهرام أكثر من مرة أن الملك كان يستخدم أشعة الشمس كسلم يصعد به إلى السماء . ومن هنا ساد الاعتقاد بأن الهرم ما هو إلا « بن بن » ضخم يساعد الملك للوصول إلى السماء ... !

سر بناء الأهرامات

ذلك هو سر الشكل الهرمى . أما سر بناء الاهرامات للملك فهو ان العقيدة الدينية هى التى دفعت المصرى إلى تشييد مثل هذه الأهرامات وغيرها من القبور المحفورة فى الصخور . فقد آمن المصرى القديم بالبعث وبالحياة الثانية واعتقد منذ أقدم العصور بأن الإنسان سيبقى حياً بعد الموت وأن الموت بالنسبة له ما هو إلا فترة يفقد فيها الإنسان مقومات الحركة فحسب . وكان من معتقداته أن الإنسان مركب من الجسم والروح ، وأن الروح ستظل باقية بعد موت الجسد وذلك إذا ما حافظوا على الجسد وأمدوه بالمواد الضرورية من طعام وشراب . واضطرهم ذلك إلى اختراع التحنيط للمحافظة على الجسد وهوما يسمى « الكا » بينما الروح أو القرين تسمى « البا » وهى تطير وتحلق فى السماء ولا تلبث أن تعود من وقت لآخر لتزور الجثة المحنطة فى حجرة التابوت التى يجب أن تكون فى مكان منيع . لهذا كانت حجرة

الدفن داخل الهرم بالنسبة للملوك وحجرة الدفن تحت المقابر بالنسبة للأفراد .

ونتجه إلى أقدم الاهرامات الحجرية .. هرم الملك زوسر المدرج بسقارة .. قرب مدينة منف عاصمة مصر فى الدولة القديمة .. عند ميت رهينة .

هرم سقارة المدرج

هرم سقارة المدرج يعتبر الحلقة الأولى للقبر الملكى فى صورته الهرمية وقد أنشىء ليصبح مقبرة زوسر مؤسس الأسرة الثالثة فى نهاية القرن ٢٨ق . م وتم تصميمه بواسطة المهندس العبقرى الشهير امحتب . ويبلغ طوله ٢٤٠ متراً من الشرق إلى الغرب و ١٤٨ متراً من الشمال إلى الجنوب . وسلالم المدرج تتكون من ست درجات من البناء الضخم وبارتفاع ٦٠ متراً ويحيط بالهرم وملحقاته سور من الحجر الجيرى يمتد من الشمال إلى الجنوب ٥٤٤ متراً ومن الشرق إلى الغرب ٢٧٧ متراً بارتفاع عشرة أمتار .

بعد هرم سقارة المدرج نجد تطوراً جديداً لبناء الهرم ، إذ حاول مهندسو سنفرو ـ مؤسس الأسرة الرابعة ـ أن يشيدوا له قبراً فى منطقة دهشور على مسافة ٨ كيلو مترات جنوب سقارة فى صورته الهرمية . وكانت النتيجة الهرم المنكسر الأضلاع المعروف بالهرم المنحنى . وهو من ناحية الأسلوب المعمارى تحفة فنية . وإلى الشمال من هذا الهرم وعلى بعد يقل عن كيلو مترين نجد الهرم الثانى لسنفرو والذى يعتبر أول هرم حقيقى فى تاريخ العمارة المصرية . يرتفع الهرم ٩٩ متراً وطول ضلع قاعدته ١٢٠ متراً . وقد شيد منذ البداية على زاوية ميل واحدة هى ٤٣ درجة .

وننتقل بعد ذلك إلى الجيزة حيث أعظم إنجاز هندسى فى العالم . هرم خوفو الأكبر ...

الهرم الأكبر

أتى الملك خوفو (٢٦٥٦ ـ ٢٦٣٣ ق . م) بعد أبيه الملك سنفرو وبدأ يفكر فى تشييد هرم ليكون مقبرة ملكية له وذلك بعد أن عاصر وشاهد بناء هرمى والده فى دهشور إلا أنه فضل منطقة على حافة الصحراء على مسافة خمسة أميال غرب الجيزة وشيد فى ركنها الشمالى الغربى أعظم بناء شيده المصريون من حيث الحجم والضخامة ودقة الهندسة ونتابع الهرم القائم على الهضبة الذى استحق أن يكون إحدى عجائب الدنيا السبع ، ونستمع إلى ما كتبه العالم الأثرى الدكتور سيد توفيق :

أقيم الهرم بحيث يتجه إلى الجهات الأصلية الأربع . وكان ارتفاعه قديما ١٤٦ متراً أما الارتفاع الحالى فهو ١٣٧ متراً . ويقع المدخل الرئيسى للهرم ـ كجميع الاهرامات ـ فى الواجهة الشمالية ـ ربما لوجود النجم القطبى ـ على ارتفاع ٢٠ متراً تقريباً وهو غير مستخدم الآن . وأسفل هذا المدخل فتحة خشنة تعرف باسم « مدخل المأمون » وهى المدخل الحالى لزيارة الهرم . ويبدو أن هذه الفتحة عملت فى عهد الخليفة المأمون العباسى للبحث عن الكنوز المخفية داخل الهرم ، ولكن الهرم كان قد فتح قبل ذلك ونهب .

من المدخل نصل إلى ممر منحدر ، ومنه إلى ممر أفقى يصل بنا إلى حجرة الدفن الأصلية المنحوتة فى الصخر تحت سطح الأرض . ولم يتم تشييد هذه الحجرة وذلك عندما عزم الملك على تغيير التصميم الأول للهرم وفضل تشييد حجرة الدفن فى قلب الهرم ، ولهذا اضطر البناؤون لعمل فتحة فى سقف المر المنحدر على مسافة ١٨ متراً من المدخل وبدأ منها ممر صاعد يبلغ طوله ٢٦ متراً وارتفاعه يزيد قليلاً على المتر . وبعد هذا المر ممر أفقى طوله ٣٥ متراً توجد فى نهايته الحجرة المعروفة خطأ باسم حجرة الملكة وهى الحجرة الثانية للدفن

ولها سقف جملونى الشكل وفى الجدارين الشمالى والجنوبى لهذه الحجرة اكتشفت عام ١٨٧٢ فتحتان توصلان إلى حجرتين ضيقتين اصطلح على تسميتهما بالقنوات الهوائية ربما كان الغرض منهما التهوية أو ربما لهدف دينى له اتصال بروح الملك . وعند تقاطع الممرين الصاعد بالأفقى اكتشفت فوهة لبئر تنزل عمودية .أحياناً ومنحدرة أحياناً مسافة ٦٠ متراً إلى أن تصل إلى الجزء الأسفل من الممر الهابط والتى ربما استعملها العمال كمخرج لهم بعد ملء الممر الصاعد بالحجارة لسده بعد عملية الدفن . ومرة أخرى عزم الملك خوفو على تغيير حجرة الدفن وأن يزيد من حجم الهرم . وقد أدى هذا التغيير وهو بناء حجرة دفن ثالثة أعلى من الحجرتين السابقتين إلى تشييد أروع بناءين عملا بيد الإنسانية فى العالم القديم ونقصد به الممر الكبير وحجرة الدفن .

استغرق بناء الهرم عشرين عاماً وقام بالبناء حوالى مائة ألف عامل وكان العمل يجرى فقط لمدة ثلاثة شهور سنوياً حيث تغطى مياه الفيضان الأرض فلا يمكن للفلاحين الزراعة .. وقد أقيم الهرم على مساحة ١٣ فداناً بقاعدة مربعة وطول كل ضلع من أضلاعه ٢٢٦,٥ متر . وقد استخدم فى بنائه ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ مليون قطعة حجر جيرى تزن كل قطعة ما بين ٢,٥ إلى ١٥ طناً .

فى الجانب الجنوبى من الهرم الأكبر وجد مركب خوفو الجنائزى حيث عثر عليه فى صيف ١٩٥٤ فى حفرة مغطاة بحوالى ٤٠ كتلة ضخمة من الحجر الجيرى . المركب الواحد من أقدم المراكب التى عرفت فى العالم وهو مصنوع من خشب الأرز ويتكون من ١٢٢٤ قطعة خشبية مع كميات كبيرة من الحبال والحصير . وطول المركب بعد التركيب فى متحفه الجديد يبلغ ٣٤,٥ متر وارتفاعه ٦ أمتار فى المقدمة وسبعة أمتار فى المؤخرة وبه إثنا عشر مجدافا وكابينة فى وسط المركب تحوى حجرتين .

الذى لا شك فيه أن عملية نقل الحجارة لبناء الهرم كانت عملاً فى غاية الصعوبة . ولا ننسى أن المصريين القدماء شيدوا هذه الاهرامات بأبسط الآلات . فالبكرة وهى آلة لرفع الحجارة لم تعرف فى مصر قبل العصر الرومانى . أما الآلات المستعملة فكانت لا تتعدى الأزاميل من النحاس ، وبعض مدقات من الحجر ، واسطوانات خشبية مع الزحافات لنقل الحجارة . أما رفع الأحجار فكان يتم بواسطة بناء طريق صاعد يصل إلى الارتفاع المطلوب .

مات خوفو ، وأتى بعده ابنه خفرع الذى قام بتشييد هرم له بجانب هرم أبيه . وكان ارتفاع الهرم الأوسط ١٤٣,٥ متر وأصبح الآن ١٣٦,٥ متر وأقيم على مساحة مربعة طول الضلع منها ٢١٥,٥ متر . ويمتاز هذا الهرم بأن الجزء الأعلى عند القمة لا تزال احجار الكساء باقية فيه حتى الآن . وللهرم مدخلان الأول على ارتفاع ١٥ متراً والثانى تحت المدخل الأول بمسافة ١٢,٥متر .

أما الهرم الثالث فقد بناه منقرع بن خفرع ويقع جنوب غرب هرم خفرع ويبلغ طول كل ضلع من أضلاع قاعدته ١٠٨ أمتار وارتفاعه الحالى ٦١,٥ متر بنى بالحجر الجيرى .

أما أبو الهول فيسمى ملك الصحراء وحارس مملكة الخالدين . وهو قطعة كبيرة من صخرة هضبة الاهرام عبارة عن ربوة من الصخر تتجه نحو الشرق تركها عمال الملك خوفو لعدم صلاحيتها ففكر مهندسو الملك خفرع فى استغلال هذه الكتلة الطبيعية فشكلوها على شكل أسد رابض هائل الحجم له رأس إنسانية تمثل الملك خفرع نفسه فوق رأسه لباس الرأس الملكى المعروف « بالنمس » وحية الكوبرا على جبهته واللحية الطويلة المستعارة وهما شعارا الملكية . ويبلغ طول التمثال ٧٣,٥ متر بالتقريب وارتفاعه يزيد قليلاً على ٢٠ متراً ومتوسط عرض الوجه ٤,١٥ متر والأنف ١,٧٠ متر ، والفم ٢,٣٢ متراً والأذن ١,٣٧ متر .

يقول الدكتور عطيه القوصى أستاذ التاريخ القديم إن بعض الناس يعتقدون أن نابليون هو الذى حطم أنف أبو الهول غيظاً منه وحنقاً عليه ولكن للحقيقة والتاريخ فإن الذى حطم أنف أبى الهول رجل يقال عنه « صائم الدهر » عاش فى عصر المقريزى المؤرخ المصرى القدير ـ يقول المقريزى فى مقاماته « إن محطم أنف أبى الهول رجل يقال له صائم الدهر زار منطقة الاهرامات وهاله أن يجد الناس يزورون أبا الهول . وكان مغطى بالرمال لا يظهر منه إلا رأسه الكبير على هيئة رأس إنسان ـ ويتعبدون إليه ويتبركون به .. كل صاحب حاجة أو مظلمة يذهب إليه ، وكل سيدة عاقر تذهب إليه طلباً للعيال والخلف الصالح .. فما كان منه إلا أن ثار ثورة عارمة واعتبر فعل الناس هذا لوناً من ألوان الوثنية وعبادة الأصنام ، فأمسك بعصاً من الحديد وأخذ يشوه وجه أبى الهول . وكسر أنفه وأزال الألوان التى تغطى وجهه ورقبته حتى يظهر أمام أعين الناس على صورة كئيبة فينقطعوا عن زيارته ... ! » .

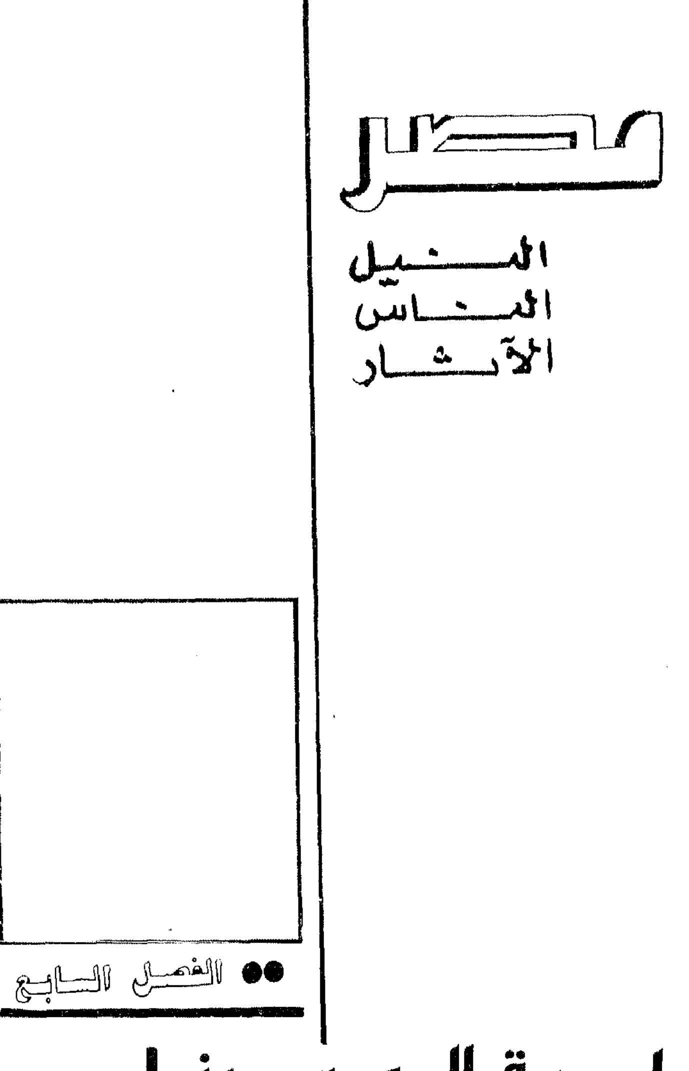
من هم بناة الأهرام

وعلى الرغم من الجميع تهوم الأسئلة فى فضاء المكان حول بناة الأهرام : من هم ؟ وكيف ؟ وكم من السنين استغرق بناؤها ؟ لقد أجابت دراسات عديدة ، وموثقة ـ قدر ما سمحت به الشواهد والأدلة الأثرية المكتشفة ـ عن بعض هذه التساؤلات ، ولكنها لما تصل بعد إلى درجة اليقين الكامل ، كما يقول الدكتور زاهى حواس ، مسئول آثار منطقة الجيزة وسقارة ، « فلا تزال هناك احتمالات ، وادعاءات ، لا يدحضها إلا شواهد قاطعة بدلالاتها ، ولذلك سعت بعثة الآثار التى أشرف عليها إلى الكشف عن « المدينة العمالية » ، أو قرية العمال الذين بنوا أهرام : خوفو ، خفرع ، منكاورع (من ملوك الأسرة الرابعة من الدولة القديمة) .

سألناه : ماذا اكتشفتم فيها حتى الآن ؟

فأجابنا : « لقد عملنا فى حفريات هذه القرية شهرين فقط ، كشفنا خلالهما عن الجزء الخاص بإدارة القرية ، ومخازن الحبوب ، ومواقع صناعة الخبز ، من « الجبانة » التى كان يدفن فيها العمال . ونسعى عند استمرار أعمال البعثة فى مواسم الحفر القادمة ، أن نعرف ما يمكن أن تبوح به هذه القرية من معلومات عن حياة عامة المصريين القدماء ، لأننا نعرف كثيرا عن حياة الملوك الفراعنة ، لكننا نجهل أسرار حياة العامة . وقيمة اكتشافات هذه القرية إنها تؤكد بأن قدماء المصريين ـ وليس غيرهم كما يدعى بعضهم عن جهل أو سوء قصد ـ هم الذين بنوا الأهرام » .

إن المعلومات الأولية التى توافرت عن نظام الادارة فى القرية تؤكد أن العمل فى بناء الأهرام لم يكن سخرة ، كما يشيع بعض دارسى الحضارة المصرية القديمة ، وإنما كان العمال يقبلون على العمل فيه . إما نظير الإعفاء من دفع الضرائب ، أو للحصول على أجر (حبوب وقمح) .



الطريق إلى سيناء

العبور إلى سيناء لا يتم إلا عن طريق قناة السويس ... وقبل العبور لابد لنا من وقفة .. مع القناة .. ومدنها الثلاث .

تمتد قناة السويس مسافة ٦٠ كيلو متراً من بورسعيد إلى السويس مروراً بالإسماعيلية . واسطة العقد حيث مقر هيئة القناة . وقصة حفر قناة السويس ـ الشريان المائى الذى شقه الفلاح المصرى بأظافره قبل أكثر من مائة وثلاثين عاما ـ تبدأ مع أول ضربة فأس فى أعمال الحفر فى

أرض فرما (بورسعيد حالياً) يوم ٢٥ ابريل ١٨٥٩ . واستمرت ضربات الفؤوس حتى ١٥ أغسطس ١٨٦٩ حتى ضرب الفلاح المصرى المعول الأخير فى السد الذى أقيم أمام مياه البحر الأحمر فى الشلوفة بالقرب من السويس ، وبعده بثلاثة أيام تلاقت مياه البحرين الأبيض والأحمر بعد أن انقضت المعاول على السد المؤقت فى البحيرات المرة لينتج عنها ذلك اللقاء ، هذا الشريان الحيوى للملاحة العالمية الذى افتتح رسميا يوم ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ والذى يستغرق مرور الباخرة عبره بين السويس وبور سعيد ١٤ ساعة بينما كانت رحلتها تستغرق عبر رأس الرجاء الصالح ٢٧ يوماً . ومنذ ذلك الوقت دارت حول القناة أحداث كثيرة . وصراعات عنيفة ، دفع الشعب المصرى ثمنها تبعية وانكساراً وفقدانا للاستقرار ، ولكنه كان دائما متحدياً ، حتى عاش أيام زهوه وانتصاره عندما أصبحت القناة ملكاً خالصاً له ، وراح ينمى المجتمع الحضرى الذى نشأ حولها وبسببها .

بورسعيد

وتبدأ رحلتنا من بورسعيد ، المدينة ذات الشهرة المدوية فى العالم كله منذ سنة ١٩٥٦ والتى كانت نموذجاً لأبناء العالم الثالث فى مرحلة المواجهة الحادة والمباشرة للاستعمار فى الخمسينات والستينات من هذا القرن . لهذه المدينة موقعها المميز كشبه جزيرة تحيطها المياه من كل جانب ما عدا شريطين ضيقين يربطانها بالدلتا وبالقاهرة جنوباً . وهى ميناء مشرع على العالم كله بما يعنيه من انفتاح فى السلوك والجرأة فى الحركة ، والاحتكاك بالجنسيات المختلفة سواء بالتعايش عندما كانت تستوطنها بعض الجاليات الأوروبية ، أو بالتعامل معها من خلال أنشطة الميناء وخاصة بعد أن أصبحت منطقة حرة ، المدينة هادئة نظيفة ، تعج بالحركة ، مستواها المعيشى متمايز عما حولها . الضواحى الجديدة تتقدم بحدودها جنوباً وغرباً على حساب بحيرة المنزلة ، المساحات الخالية

محدودة والزحام شديد والحركة فى الشوارع الرئيسية خصوصاً فى قلب المدينة التجاري -حى العرب -كثيفة . بعض الشوارع الرئيسة اختفت معالمها خلف الملابس والسلع المستوردة من دول جنوب شرق آسيا والباعة يحتلون جوانبها ، كان الهدف من جعل المدينة سوقاً حرة هو إنشاء صناعات للتصدير إلى السوق العالمى بما يسمح بجلب العملة الصعبة وإيجاد فرص عمل وتنشيط الحياة الاقتصادية والاجتماعية بدلاً من ترويج سلع تنافس الانتاج الوطنى . الآن بدأت عملية تصنيع ما يتم استيراده ، فهناك مصانع للملابس الجاهزة ومصانع للحلويات والمنظفات . وهناك مشروعات قيد التنفيذ كمصانع الأدوات والأحذية الرياضية ومشروع حديد التسليح ، ومشروع تخزين السفن ، ومشروع لاستخراج أكسيد المغنسيوم المستخدم فى الصناعات المتطورة من الملح المتوافر فى منطقة الملاحة .

ونعرف قبل أن نترك بورسعيد على مدخل قناة السويس ، أن أحدث ما أضيف إلى القناة هو المراقبة الألكترونية للملاحة فى المجرى المائى . وقد استهدف هذا النظام زيادة درجة الأمان للسفن العابرة وزيادة الكفاءة الاستيعابية اليومية للقناة عن طريق ربط مكتبى الميناء فى بورسعيد وبورتوفيق ومكتب الحركة الرئيسى بالاسماعيلية بالسفن العابرة عن طريق عدة شبكات لاسلكية يتم بواسطتها نقل صور تليفزيونية للسفن التى تعبر القناة إلى مقر الحركة الرئيسى . وبذلك يمكن تحديد موقع السفن بدقة ، كما يمكن إعطاء إنذار مبكر عند تخطى السفن للسرعة المسموح بها ، أو عند خروجها عن المسار المحدد لها . مع المحافظة على الفواصل المقررة بين السفن فى القافلة حيث يمكن استغلال سعة القناة لأقصى حد .

شهدنا ذلك النظام الدقيق بشكل واضح حين ذهبنا إلى الإسماعيلية حيث مقر إدارة الهيئة ومبنى الإرشاد على ضفاف بحيرة التمساح . المقر الذى يتبع مسيرة السفن فى القناة مكون من ثلاثة عشر طابقا يعلوها برج

إرشاد السفن مزود بأحدث الأجهزة اللاسلكية لتيسير عملية الاتصال بالسفن العابرة وبمكاتب حركة الملاحة وكذلك بأجهزة قوية للرصد ، يمكن بواسطتها مراقبة حركة الملاحة فى القناة .

مدينة الاسماعيلية

وتنزل إلى المدينة ... إنها نظيفة هادئة ، تتركز حدائقها فى المناطق المحاذية للقناة بنضرتها المخضرة ، وأشجارها المنسقة ، ونظافتها الملموسة ، خاصة فى قسمها الأول الذى كان يسمى الحى الافرنجى حيث كان تخطيطه وتنظيمه يحظى بالاهتمام الشديد مما جعل شوارعه منسقة مجملة بالأشجار المستورد بعضها من أوربا ... وهو عكس الحى العربى أو التجارى ، حيث الازدحام الشديد والأصوات المتداخلة مع ضجيج كل وسائل النقل البرية ، بما فى ذلك ضجة قطارات السكك الحديدية ، التى تخترق المدينة وتقطع الشارع .. وشارع الثلاثين أكبر شوارعها وتتفرع منه مختلف الأسواق . ومع ذلك فهناك أحياء جديدة أضيفت إلى المدينة فى الشمال والغرب كحى الشيخ زايد وحى السلام الذى أعيد تخطيطه ونشأت فيه صناعات جديدة .

بالاسماعيلية من المعالم و« المزارات »ما يلفت النظر .

فحدائق التماثيل بها أنواع نادرة من الزهور وأشجار الزينة وتضم مجموعة كبيرة من التماثيل والقطع الأثرية القديمة . ومتحف الآثار ويضم قاعة عرض بها الكثير من الآثار المصرية واليونانية والقبطية الرومانية والإسلامية ، والنصب التذكارى للجندى المجهول يعتبر من أهم المزارات لما يتمتع به من ميزة تاريخية ويقع على بعد ٧ كم جنوب الإسماعيلية ويمثل شعاره فتاتين إغريقيتين إحداهما تضىء الشعلة والأخرى قابضة اليد علامة القوة . أما متحف أبو عطوة للدبابات فيضم حطام الدبابات التى حطمتها قوات مصر المسلحة فى معارك اكتوبر ، بينما منطقة نمرة ٦ تقع على هضبة عالية تسمى هضبة التل وتطل على قناة

السويس وتحيط بها الحدائق من كل جانب وبها مستشفى عالمى ومسجد الشفاء وكنيسة العذراء . والسياحة الترفيهية ممثلة فى الأندية والشواطىء والمنتزهات والحدائق العامة كما أن بها مناطق صيد كثيرة على بحيرة التمساح والبحيرات المرة ومنطقة فايد وسرابيوم وأبو سلطان .

السويس

ونتجاوز هذه المناطق للوصول إلى السويس الواقعة فى الطرف الشمالى الغربى لخليج السويس ، ويحدها شرقاً جنوب سيناء وغرباً الصحراء الفاصلة بين السويس والقاهرة ، وهى مفتاح الطريق البحرى إلى الشرق منذ أقدم العصور منذ كان اسمها « كليزما » على عهد الفراعنة ثم سماها العرب « القلزم » حتى عرفت باسمها الحالى . وعند لسانها الممتد فى نهاية الخليج تقع ضاحيتها بور توفيق الحديثة النشأة بشوارع منسقة نظيفة هادئة الحركة وبنايات حديثة وفيلات وحدائق ونصب تذكارية تنتشر فى ميادينها يعبر أغلبها عن تاريخ السويس وأنشطتها البحرية . والسويس يمتزج فيها القديم بالحديث ، وينشأ عنهما نكهة تجمع بين العتيق وحيوية العصر . وتمتد على طول سواحلها على الخليج العربى شاليهات حديثة للاصطياف تصل بها إلى ابرز معالمها السياحيه العين السخنة وجبال عتاقة المصيف والمشتى العالمى بمياهها الطبيعية الصافية الدافئة الآتية من سلسلة جبال عتاقة ، وتبعد العين السخنة عن السويس بمسافة ٤٥ كم وهى مدينة سياحية عالمية . أما شواطئها فرملية ناعمة فسيحة ، وأبرزها شاطىء كبريت الذى يقع على قناة السويس والبحيرات المرة ، ويتميز باتساعه ورماله ، ويقع على بعد ٤٢ كم شمالى السويس . والجزيرة الخضراء تقع وسط الخليج كجزء ممتد من جبل عتاقة وتبعد عن الشاطىء بحوالى ٥ كم ، وفى مواجهة المدخل الجنوبى لقناة السويس ، ويقال إن أصل هذا النتوء شعب مرجانية كانت تنمو باستمرار ، وقد بنيت عليه قلعة ضخمة من الأسمنت لتحد من ازدياد

نموها الذى كان يضر بالبواخر التى تسير فوقه فيؤدى إلى تحطيمها . وقد شهدت الجزيرة الخضراء معارك أكتوبر وكانت حصناً دفاعياً صلباً ضد محاولات الغزو البحرى .

وعلى مسافة ١٧ كم شمالى السويس نلتقى بنفق الشهيد أحمد حمدى الذى نعبر من خلاله إلى سيناء ، حيث يمر على عمق ٣٧ متراً تحت سطح مياه القناة ويربط ضفتيها . والعبور إلى سيناء كان يتم قبل ذلك « بالمعديات » إلى جسر الفردان المتحرك الذى كان يستخدم فى ساعات محدودة أثناء توقف الملاحة بالقناة . وكان يعبره قطار الشرق السريع الذى كان يتحرك من القاهرة إلى القدس فدمشق فتركيا ثم إلى أوروبا .. وقد تعرض هذا الجسر أكثر من مرة للتدمير فى الحروب التى دارت على مسرح القناة لهذا تم التفكير فى بدائل تضمن ربط الضفتين واستمرار تدفق الحركة بينهما دون اعتراض لحركة الملاحة ، فتقرر إنشاء ثلاثة أنفاق تحت ممر القناة ، نفذ الأول منها وتأجل تنفيذ النفقين الآخرين إلى حين . « الممر الذى تم تنفيذه هو نفق الشهيد أحمد حمدى ، وقد بدأ العمل فى بنائه فى أوائل عام ١٩٧٧ واستمر حتى عام ١٩٨٢ وتكلف بناؤه حوالى مائة وعشرين مليوناً من الجنيهات ، ويبلغ طوله كيلو متراً ونصفا تقطعه السيارة فى دقائق معدودة ، وقد شيد على أحدث الأساليب المتبعة فى تشييد الأنفاق وسمى باسم قائد سلاح المهندسين الذى أسهم بصورة فعالة فى إزالة الساتر الترابى الذى أقامته إسرائيل واستشهد فى أول أيام العبور . النفق يتكون من ثلاثة أجزاء أولها طريق السيارة بحارتين مزدوجتين فى الاتجاه عرض كل حارة ٣,٧ أمتار ، وثانيهما مدخلان للهواء النقى وسحب الهواء الفاسد من داخل النفق . أما الثالث فطريق للمشاه ويبلغ طوله ٥٩١٢ متراً موزعة على ثلاثة أجزاء منها ٢٢٨٨ متراً عند مدخله الغربى و١٩٨٤ متراً عند مدخله الشرقى فى سيناء و١٦٤٠ مترا تحت القناة . وجسم النفق إسطوانى قطره الداخلى ١٠,٨٠ متر والقطر الخارجى ١١,٦٠ متر . وهو مراقب من الداخل باثنتين وعشرين عدسة

تلفازية وتجرى به حاليا بعض عمليات الترميم والاصلاح .
من خلال هذا النفق .. نعبر إلى سيناء .. أرض الفيروز ....

سيناء .. أرض الفيروز

نتذاكر ونحن على الطريق إلى سيناء ما جاءت به قصص الأنبياء والديانات السماوية ، فعلى هذه الأرض كانت رحلة إبراهيم عليه السلام وابن أخيه لوط من بابل إلى مصر ، ومعه زوجته سارة والتى أخذت هاجر المصرية التى وهبها فرعون مصر لسارة زوجة إبراهيم الخليل . وعلى هـذه الأرض سار الخليـل من أرض مصر إلى أرض اليمن وسار لوط إلى فلسطين . وعلى نفس الأرض سارت القافلة حاملة يوسف الصديق كما سار عليها يعقوب وأولاده واجتمع بابنه يوسف ، ثم مات يعقوب وخرج يوسف من مصر معه لدفنه مع أجداده إبراهيم واسحق ثم عاد إلى مصر ، وكانت سيناء طريقه فى الخروج والعودة . وعلى أرض سيناء سار موسى وأخوه هارون إلى مصر ، وعليها عاش موسى والتقى ببنتى شعيب عند البئـر وتزوج وقضى سنـوات حتى عاد إلى مصر ، كما كانت هى طريق خروجه ومعه بنو إسرائيل حيث قضوا أربعين سنة فى التيه بأمر الله عقاباً لهم على شركهم وعبادتهم العجل ، وفى سيناء قبر هارون بالقرب من جبل طور سيناء . وبهذه الأرض أيضاً بعث النبى صالح وبها مقامه ، كما بعث شعيب وغيرهم من الرسل والأنبياء .

ومن خلال سيناء جاءت السيدة مريم حاملة ابنها إلى مصر ، ودخلت من منطقة الفرما ومنها إلى تل بسطا بجوار الزقازيق أثناء هروبها مع يوسف خوفاً من قتل الصبى عيسى عليه السلام .

وقد تلقى النبى موسى الوحى وكذلك الوصايا العشر بأرض سيناء ، كما كلم فيها موسى ربه تكليماً .

وفى عام ٦٤٠ (٢٠ هـ) قدم عمرو بن العاص بجيشه إلى مصر حتى وصل إلى رفح أول الحدود الغربية ثم العريش ثم حاصر مدينة الفرما وأسقطها وتلاها بمدينة بلبيس . كما شهدت سيناء قدوم أسرة النبى ﷺ ، وشهدت الفتح الاسلامى لشمال أفريقيا ، ومر بها حفيدا الرسول الحسن والحسين فى غزوة العبابدة .

سيناء والتاريخ

ونخرج إلى ساحة سيناء الزاخرة بأحداث التاريخ وملاحم النضال ...

سيناء شبه جزيرة تحيط بها المياه من كل جوانبها ، عدا الجانب الشرقى عند حدودها مع فلسطين . وهى على شكل مثلث قاعدته فى الشمال على البحر المتوسط بساحل يبلغ طوله ٣٢٠ كيلو متراً وضلعها فى الجنوب على خليج السويس وخليج العقبة بطول ٤٠٠ كم . ورأس المثلث يقع عند رأس محمد فى الجنوب بساحل طوله ١٥٠ كم . أى تمتد سواحلها بطول ٨٧٠ وتمتد أرضها ٢٧٥ كم طول خليج السويس و١٥٠ كم طول خليج العقبة .

وقد عرفت سيناء منذ القدم صناعة التعدين . ففيها أقدم المناجم القديمة لاستخراج خامات النحاس والفيروز التى استغلها المصريون القدماء وتركوابها نقوشاً هامة . وقام المصريون بصهر النحاس المستخرج من المناجم فى عهد حضارة البدارى (منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد) وتوجد بقايا النحاس المصهور وبقايا فرنين للصهر . واستخدم الملاخيت (الكحل) فى علاج العيون والاصباغ ، والفيروز والنحاس للزينة والحلى . فبذلك تكون سيناء أول أرض قامت عليها صناعة التعدين .

وقد وجدت أقدم وثائق للسياحة الثقافية فى سيناء فى نقوش منطقة « المغارة » فى وادى سدر شرق خليج السويس . ويطلق اسم المغارة على الجبل الذى توجد به العروق التى كانوا يستخرجون منها الفيروز ، وكان فى الطبقة العليا لكل دهليز منجم أو مغارة مسجل عليها اسم الملك . ولايوجد بالمغارة إلا بعض أكواخ العاملين . وقد انهارت وتبددت معظم النقوش الهامة ونقل بعضها إلى المتحف المصرى . وللأسف فقد قامت إحدى شركات استغلال مناجم الفيروز باستعمال الديناميت فحطمت نقوش خوفو ودمرت النقوش الستة التى يرجع تاريخها إلى أيام ايسيسى ، كما دمرت نقوش الملك بيبى ، واختفت نقوش الملك امنحمات ، ونقلت لوحة سنفرو وجزء من لوحة الملك سحورع ، وكذلك لوحة منكاوجور وكسرت بعض قطع من نقش الملك نوسررع ، ولم يبق إلا المنظر المرسوم عليه سمرخت ، واللوحة الثانية من لوحات سنفرو ، ولوحة تحتمس الثالث لارتفاعها ، ونقلت جميعاً إلى متحف الآثار .

طريق حورس الحربى

ومن المعالم البارزة فى سيناء طريق إله الحرب الفرعونى « حورس » وتمتد من قلعة ثارو غرب مدينة القنطرة شرق الحالية إلى مدينة رافيا (رفح) وقد سجله الفراعنة انطلاقاً من أهميته العسكرية على معبد آمون بالكرنك . وهو طريق تحتمس الثالث والرعامسة الى سوريا ، كما سارت فيه عشرات الحملات الفرعونية . وكذلك سار فيه جيش عمرو بن العاص إلى مصر ، وكان طريق جيوش صلاح الدين لطرد الصليبيين من سوريا وفلسطين ، وهو طريق العثمانيين إلى مصر ، والمماليك ونابليون الى الشام ، وطريق جيوش اللنبى لضرب الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى .

وكان لابد أن يكون لنا لقاء مع طريق حورس .. ففى أبريل عام ١٩٨٨ أعلنت هيئة الآثار المصرية أن إحدى بعثاتها التى تتعقب « طريق حورس الحربى » قد اكتشفت قلعة حربية فى « تل حبوة » أو « تل حابو » الذى يقع فى سهل الطينة شمال غربى سيناء بالقرب من قرية بالوظة التى كانت تعرف فى العصور الفرعونية « ببيلزيوم » وتواصل البعثة المصرية البحث عن آثار بيلزيوم القديمة التى حددت نصوص قديمة وجود منطقتها فى هذا الموقع شرق المدينة القديمة .

وإلى هذا الموقع إتجهنا عبر القنطرة شرق ، أولى محطات طريق حورس الحربى إلى القنطرة غرب ثم تجاوزناها إلى سهل الطينة الذى يقع على شاطىء البحر المتوسط فى الشمال الغربى من سيناء على بعد بضعة كيلو مترات منها .

وعبر الطريق إلى قرية بالوظة التى يوجد بالقرب منها تلال أثرية أهمها « تل الطينة » و « تل المخزن » و« تل الحير » ومدينة الفرما القديمة ، لم يغادرنا الاحساس بإيقاع حركة التاريخ فوق أراضى سيناء الذى أثارته داخلنا معالم المكان .

وقبل الوصول الى القرية بقليل دخل بنا الدليل يسارا ، باتجاه البحر المتوسط ، إلى أرض ملحة ، إجتزناها سيراً على الأقدام حتى نصل إلى « تل المخزن » جنوب « الفرما » ، وشاهدنا آثار قلعة قديمة ، قال لنا الأثرى محمد عبدالسميع ، المشرف على حفائر المنطقة ، بأنها تعود إلى العصر الرومانى ، وأشار إلى آثار حمام من العصر نفسه ، ملحق به طريقة مبتكرة للصرف الصحى ، تشبه عملية الصرف المغطى ، ويقول : إن بعض الدارسين يؤكدون أن هذه الطريقة استخدمت أول مرة فى العالم هنا . ثم يضيف : إن بعثة مصرية تواصل البحث عن آثار مدينة « بيلزيوم » القديمة التى حددت نصوص قديمة وجود منطقتها الدينية فى هذا الموقع ، شرق المدينة القديمة .

أما مدينة « الفرما » التى قامت مكان « بيلزيوم » القديمة التى أطلق عليها العرب اسمها ذاك عند فتحهم مصر ، فقد أكسبها موقعها ، ونشاطها الاقتصادى أهمية استراتيجية ، حتى دثرت على يد الصليبيين فى القرن الثانى عشر . وفى مواسم الحفر الماضية اكتشفت قلعتها الضخمة ، المبنية من اللبن « الطوب » الأحمر ، ومساحتها ٨٠٠٠ متر مربع ، وعلى أسوارها ٣٦ برجا لحمايتها ، واكتشف خارجها حمام كان يستخدمه سكانها .

وفى « تل الطينة » الذى كان ضاحية من ضواحى « الفرما » اكتشف اكبر صهريج للمياه فى مصر الاسلامية حتى الآن ، كما يقول الأثرى رفعت الطاهر ، المشرف على حفائر الآثار الاسلامية فى المنطقة . واكتشفت منطقة صناعية ظهرت فيها بعض أفران الفخار ، وعثر فيها على عملات ، وكسرات خزف وفخار ، وأجزاء من أساور ، وحصن يقع فى شمال الضاحية ، ويرجح انتساب هذه الآثار إلى العصر المملوكى .

قلاع فى كل مكان

تضم سيناء ٥٢٧ نوعاً من النباتات منها ٢٥٪ على الأقل لا وجود لها فى أرض وادى النيل . وفى داخل شبه الجزيرة يوجد ٣٠٠ بئر وعين للمياه وفيها العديد من حقول البترول ومناجم المنجنيز والفحم والفيرزو والملح والرمال البيضاء والسوداء . وبها أيضاً أقدم نخل زرعته يد إنسان على الأرض . وهى أرض التين والزيتون . وتحفل بمناظر خلابة من جبال شاهقة فى الجنوب وأشجار وغابات تمتد بمحاذاة الساحل الشمالى .

ونظراً لمساحة شبه الجزيرة الشاسعة التى تبلغ ٦١ ألف كم تقريباً فقد قسمت إلى محافظتين توأمين شمال سيناء وعاصمتها العريش وجنوب سيناء وعاصمتها مدينة الطور .

العرب الرحل الذين ينتمون الى قبائل عدة ... ولكنهم فى النهاية عرب .. الصحراء مأواهم وخيام الشعر بيوتهم ، والابل سفنهم ، وينتقلون بها ومعها سعيا وراء الماء والكلأ .. فهم لم يعرفوا حياة أخرى .

أما أبناء وادى النيل الذين أصبح هذا الشريط الضيق الأخضر على جانبى النهر يضيق بهم ويضيق عاما من بعد عام ، حتى لم يعد فيه موضع ومكان لمزيد من الأنفس التى تتضاعف على مر السنين ، أما هؤلاء الذين التصقوا بالأرض فقد كان مجرد التفكير فى الهجرة الى سيناء المقفرة التى تزيد مساحتها على واحد وستين ألف كيلو متر مربع ، أى ثلاثة أمثال مساحة دلتا النيل المزدحمة المكتظة .. كان مجرد التفكير فى الانتقال الى هذه الارض الجديدة يثير فى نفوسهم الرعب والهلع .. وبقى هذا حالها خلال الأعوام الطويلة التى سبقت ثورة يوليو ١٩٥٢ .. وربما كان حفر قناة السويس فى عهد اسماعيل باشا ، من الأسباب التى ضاعفت من عزلتها ، فقد أصبح هناك ممر مائى يصل بين خليج السويس أحد ذراعى البحر الأحمر وبين البحر المتوسط .. وهكذا امتد الشاطىء المائى لمسافة أربعمائة كيلو متر تقريبا .. وكادت هذه العزلة تقتل سيناء بعد أن ابتعدت بها كثيرا وطويلا عن بقية أنحاء مصر ..

دبيب الحياة

ثم جاءت الثورة ، وتم جلاء القوات البريطانية عن مصر ، وعن منطقة قناة السويس بالذات ، وأمم عبدالناصر القناة نفسها فى عام ١٩٥٦ .. وخلال تلك السنوات الأربع بين نشوب الثورة وتأميم القناة ، شهدت سيناء ، ولأول مرة فى تاريخها يد الاصلاح تمتد اليها لتبنى وتوفر لأبنائها حياة كريمة .. وكان التعليم أول أهداف الثورة .. وبدأ بناء المدارس التى انتشرت فى المناطق السكنية ، ولم يكن فى

العرب الرحل الذين ينتمون الى قبائل عدة ... ولكنهم فى النهاية عرب .. الصحراء مأواهم وخيام الشعر بيوتهم ، والابل سفنهم ، وينتقلون بها ومعها سعيا وراء الماء والكلأ .. فهم لم يعرفوا حياة أخرى .

أما أبناء وادى النيل الذين أصبح هذا الشريط الضيق الأخضر على جانبى النهر يضيق بهم ويضيق عاما من بعد عام ، حتى لم يعد فيه موضع ومكان لمزيد من الأنفس التى تتضاعف على مر السنين ، اما هؤلاء الذين التصقوا بالأرض فقد كان مجرد التفكير فى الهجرة الى سيناء المقفرة التى تزيد مساحتها على واحد وستين ألف كيلو متر مربع ، أى ثلاثة أمثال مساحة دلتا النيل المزدحمة المكتظة .. كان مجرد التفكير فى الانتقال الى هذه الارض الجديدة يثير فى نفوسهم الرعب والهلع .. وبقى هذا حالها خلال الأعوام الطويلة التى سبقت ثورة يوليو ١٩٥٢ .. وربما كان حفر قناة السويس فى عهد اسماعيل باشا ، من الأسباب التى ضاعفت من عزلتها ، فقد أصبح هناك ممر مائى يصل بين خليج السويس أحد ذراعى البحر الأحمر وبين البحر المتوسط .. وهكذا امتد الشاطىء المائى لمسافة أربعمائة كيلو متر تقريبا .. وكادت هذه العزلة تقتل سيناء بعد أن ابتعدت بها كثيرا وطويلا عن بقية أنحاء مصر ..

دبيب الحياة

ثم جاءت الثورة ، وتم جلاء القوات البريطانية عن مصر ، وعن منطقة قناة السويس بالذات ، وأمم عبدالناصر القناة نفسها فى عام ١٩٥٦ .. وخلال تلك السنوات الأربع بين نشوب الثورة وتأميم القناة ، شهدت سيناء ، ولأول مرة فى تاريخها يد الاصلاح تمتد اليها لتبنى وتوفر لأبنائها حياة كريمة .. وكان التعليم أول أهداف الثورة .. وبدأ بناء المدارس التى انتشرت فى المناطق السكنية ، ولم يكن فى

سيناء كلها فى ذلك الوقت سوى مدرسة واحدة فى مدينة العريش فى الشمال ، وفى الوقت ذاته بدأ الأعراب من أبناء الصحراء الجبلية القاحلة يسمعون دبيب الحياة .. انها مياه النيل التى بدأ أول مشروع لتوصيلها الى المنطقة الواقعة شرقى قناة السويس ، لرى مساحة من الأرض تزيد على العشرين ألف فدان .. كانت عيون الثورة أذن على سيناء المنسية .. على أرض المستقبل .

ولكن العدوان الثلاثى الذى أعقب تأميم قناة السويس وشاركت فيه بريطانيا وفرنسا وإسرائيل عطل اتمام المشروع ، وانقضت بعد ذلك فترة طويلة شغل فيها المسؤولون فى مصر عن سيناء وتعميرها ، بمشاكل أخرى ، وكادت السحابة تنقشع لولا العدوان الثانى فى عام ١٩٦٧ الذى أسفر عن انتكاسة مازالت الامة العربية تعانى من آثارها حتى اليوم .. وتوقف مشروع المياه ، ولكنه أيضا كان توقفاً مؤقتا .. فبعد حرب الاستنزاف التى قادت مصر الى خوض غمار أول معركة مواجهة حقيقية ضد الجيش الاسرائيلى فى عام ١٩٧٣ ، وما تلا ذلك من أحداث إنتهت بعودة سيناء إلى عروبتها ، عاد العمل فى المشروع الذى يستهدف انشاء ثلاثة أنفاق لتوصيل مياه النيل الى الصحراء القاحلة .

إن سيناء وأهلها والوافدين إليها من الوادى المزدحم ، كلهم ينتظرون الانتهاء من هذا المشروع الحيوى الذى سيعيد الحياة الى الارض التى ظلت مهملة منسية قرونا طويلة ، بكل ماتحويه فى جوفها من ثروات ! ويوم تجرى مياه النيل فوق هذا الجدب فى هذه الأرض المترامية ، ستتحول سيناء الى أقوى منطقةجذب لهؤلاء الذين مازالوا يلتصقون بالنيل وواديه ، ويرفضون الافتراق عن البقعة التى نبتوا فيها !..

على سواحل الخليج

الآن .. نتجه لنأخذ الطريق الساحلى علـى خليج السـويس .. من حولنا الطبيعة الخاصة لسيناء .. التلال والكثبان والرمال على طول البصر ، أول ما صادفنا بعد « الشط » بلدة عيون موسى ، فالعديد من التجمعات السكانية المتأثرة فى هذا الفضاء الشاسع تبدأ بلدانها بما ينم عن وجود سر الحياة ، « العين » او « البشر » عين سدر ، عين الجديرات ، ثم بير لحفن وبير العبد وبير الجفجافة وبير الحسنة .. وهكذا ، لقد رسمت المياه هنا طريق الحياة ، وتركزت تجمعات السكان حول بئر ، أو خدمة لطريق ، أو مستعمرة لمعدن هام ، أو نقطة حراسة .

نقطع ذات الدرب الذى كان يقطعه الحجاج فى الماضى فى العديد من نقاطه ، والذى كان يسير جنوبا على محاذاة خليج السويس الى نخل والطور والعقبة ثم الحجاز تقطع السيارة الطريق وتتوالى الصور والذكريات فالطريق من السويس الى سانت كاترين غنى بالتجارب المثيرة والمناظر الخلابة ، واكثر ما استوقفنى الجبال التى تتغير ألوانها مع تغير ساعات النهار ، وما يتحدث به صمت سيناء الخاص .

مع بدو سيناء

بدو سيناء يجيدون التعامل مع الطبيعة القاسية ، يعرفون الدروب بالنجوم وحركتها ، وذوو خبرة خاصة فى تقصى الأثر ، يعرفون الوقت بلا ساعة ، ويتوقعون المطر دون أرصاد جوية ، ويتنبأون باتجاه الريح ، مازالوا فى عزلتهم الطويلة يعيشون بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة ، ومن الأحاديث التى دارت على ألسنتهم يمكن تقديم صورة مختصرة عن بعض هذه العادات ، فمازالت الشهادة تؤدى بواسطة ما يعرف عندهم باسم « البشعة » أى ملامسة سطح معدن ملتهب

باللسان ، ويكتشف القاضى او شيخ القبيلة مدى صدق مايرويه المتهم ، ومازال شيخ القبيلة يتولى بالقانون القبلى العتيد حل المشاكل التى تنشب بين افراد القبيلة ، وينتشر هنا تعدد الزوجات ، فمازالت بنت البادية لم تحصل على حقوقها بعد ، فالعروسة لا رأى لها فى شريك حياتها اذا كانت بكرا ، ومازال لكل قبيلة خاتمها الخاص الذى تضعه عن طريق الكى على ابلها ، ولها مناطقها التى يحق لها زراعتها أو رعى ابلها ، عالم كامل ، وكأنها قارة منسية من التقاليد والعادات ! .

والتجمع البدوى أو بالاحرى الشتات البدوى فى سيناء هو حلقة الوصل بين قبائل الجزيرة العربية والشام ووادى النيل ، فلهذه القبائل امتدادات فى وادى النيل وصحراء النقب وصحراء الاردن وجزيرة العرب ..

وتتكون قبائلها من ٢٥ قبيلة رئيسية ، لكل منها منطقة نفوذ وموطن خاص ترعى فيه ، فمثلا قبيلتا الشدايد والحويطات تمتد من صحراء سيناء والنقب ومحافظة القليوبية ، اما قبيلة اولاد سعيد فتمتد من قليوب الى منطقة الطور ، وقبيلة الترابين يسكنون غزة وسيناء والجيزة ، وقبيلة العليقات تعيش فى الطور وفى اسوان ، ويمتد العديد من اصول سكان بلبيس الى بدو سيناء وهكذا .

ارض الفيروز

وكان توقفنا فى الواحات ومع السكان ، توقفنا فى سدر وابو زنيمة وابورديس ، وهى منطقة تشهد عمليات استخراج المعادن ، قضينا ليلة واحدة فى أبورديس ، احدى مدن النفط على خليج السويس ، والتى بها مطار يستقبل طائرات شركة النفط وبها فيللات انيقة على الشاطىء مزودة بالمياه الساخنة والباردة وتضم مجموعة من الخبراء

والفنيين الذين عشقوا الصحراء ، وادركوا ان فى سيناء مستقبل الوطن كله .

وفى لقاء طويل مع احد المهندسين الشباب ، شاهدت جيلا جديدا واعدا قال :

« ان ما يتم استخراجه من المعادن فى الوقت الراهن هو الجزء الظاهر من جبل الجليد الذى يختفى عن العيون » فالتقديرات تؤكد غنى سيناء بالمعادن المختلفة ، وهى ثروات تستعصى على الكسالى الذين يفتقرون الى الخيال ، وهذه الارض تقدم فرصة ذهبية توقظ خيال واحلام الاجيال الجديدة ، القادرين على خلق الحلول المبتكرة فى مواجهة الطبيعة القاسية ، وهى تقدم للشاب الطموح الحل لعديد من مشاكله التى يواجهها فى الوادى المكتظ الذى لم يعد يلهب الخيال ، فمن هنا يبدأ التحدى الحضارى .. وهذه الصحراء على أية حال ليست فى قسوة سيبريا الشاسعة ، على الشباب الذين يحلمون بارتياد المجهول والسفر الى أقصى الارض ، أن يأتوا الى هنا ، ولن تقدم لهم سيناء الرسالة الخالدة فحسب ، بل تقدم واقعا ملموسا ، فهذا هو النفط تتوزع اباره على طول خليج السويس ، وتقديرات كبيرة حول وجوده فى خليج العقبة ، فمصر لاتقدم لهم مجرد صندوق من الرمال ، وانما صندوق من ذهب ، كانت سيناء منذ الفراعنة منجم مصر للذهب والنحاس والمعادن النفيسة ، وهى الان بئر بترولها الكبرى ، ومركز امنها ، كان هدف اجدادنا من سكان الوادى على الدوام حماية الوادى من الغزاة وتأمين طريق التجارة ، واستغلال مناجم النحاس والفيروز ، حتى اطلقوا عليها « ارض الفيروز » وارضها حبلى بالمنجنيز فى ام بجمه وابو زنيمه ، والفحم فى الشمال عند المغارة ، والرمال البيضاء والكاولين فى الغرب من شبه الجزيرة ، والفوسفات فى شرقها عند امتداد العقبة ، غير احتمالات بلا حدود للحديد والذهب .

وهى لن تستعصى على جيلنا ابدا ..

حتى وصولنا الى مدينة ابورديس نقطع الطريق فى محاذاة خليج السويس ، تظهر زرقة البحر الاحمر التى يقطعها بين حين واخر زورق صياد او شباكه ، فسواحل سيناء والتى تمتد على طول سبعمائة كيلومتر ، ساحل البحر الابيض فى الشمال ، وخلجان ضخمة : السويس والعقبة ، وبحيرات عميقة : التمساح والمرة واخرى ضحلة كالبردويل .

وهى جميعها ذات امكانيات كبيرة فى الصيد .. وهى جاهزة لتكوين شركات كبرى لاستغلال الثروة السمكية .

ومن ابورديس توغلنا شرقا فى عمق سيناء ، متجهين الى اعلى الجبال المصرية ، الى نقطة متوسطة بين خليج السويس وخليج العقبة ، لاحظنا بوضوح ان سيناء ليست صحراء ذات وتيرة واحدة ، الجبال الوعرة بألوان الطيف التى لم اشاهد لها مثيلا فى اى مكان ألوان الاصفر والبنى والبنفسجى ، نغم الالوان من حولنا يصحبه موجات عالية من جبال الجرانيت التى تتجه الى خليج السويس ، هذا هو اذن « القفر المخيف العظيم » لم يتبدل وهنا تتنفس هواء نقيا جافا لم يتنفسه احد من قبل .

دير سانت كاترين

ان جميع الديانات السماوية وثيقة الصلة بسيناء ، وفى بداية المسيحية وتعرضها للاضطهاد الرومانى ذهب بعض المصريين والسوريين للعيش فى سيناء خاصة فى وسطها وبين اكثر جبالها جمالا وروعة فى واحة فيران واخذوا منها ملجأ يباعد بينهم وبين الرومان الطغاة وقضوا حياتهم فى العبادة والابتهال بعد ان غمرت نفوسهم بالايمان بالدين الجديد ، وفضلوا الحرمان والوحدة وما تعرضوا له من الخطر من غارات الاعراب عن الارتداد عن الدين الجديد .

ومن هنا كانت بداية الاديرة فى مصر .. وأبرز هذه الأديرة فى سيناء .. دير سانت كاترين .. الذى يكون اول ما نتجه اليه ..

هذا الدير يحكى الكثير ويرمز لتلك المرحلة التى تعرضت فيها مصر للاضطهاد الرومانى الوثنى ، فابتكر المصريون الرهبنة التى يتمثل تجسيدها فى الدير .. وكما يقول الدكتور جمال حمدان : انه ليس غريبا ان نجد توزيع الاديرة فى مصر اما عند اطراف الوادى امتدادا من اسوان فى مصر القديمة ، واما فى اركان اوروبا مقتبسا من الكنيسة المصرية ، وبقيت بعض المؤثرات للديانة الفرعونية القديمة الغناء الدينى والموسيقى والغناء وحتى البخور .

وفى العصر البيزنطى بلغت سيناء قمة جديدة فى حيويتها عندما اعتنق فى القرن الرابع الامبراطور قسطنطين وامه الامبراطورة هيلين المسيحية وزارت الامبراطورة العجوز هيلين سيناء الارض المقدسة ووصلت الى جبل موسى .. واعجبت بالبلدة التى قامت فى وادى فيران واقامت كنيسة صغيرة للعذراء .. ثم قام الامبراطور جستنيان فى عام ٥٣٠م بتوسيع هذه الكنيسة الصغيرة لتصبح كنيسة منيعة وقلعة وديرا .. وبعد عدة قرون اعيدت نسبتها الى القديسة كاترين والتى يقول عنها احد كتيبات الدير : هى عذراء شهيدة من الاسكندرية عاشت فى القرن الرابع الميلادى واعتنقت المسيحية على يد زاهد وعندما بلغت الثامنة عشرة ذكرت ان السيد المسيح قد ظهر لها فى الحلم فى صورته كطفل بين ذراعى العذراء .. ووضع فى اصبعها خاتم خطبة من ذهب وعندما استيقظت وجدت الخاتم فى اصبعها واخذت تدعو لدينها فواجهها الامبراطور بخمسين فيلسوفا يناقشونها ولكنهم جميعا مالبثوا ان تحولوا الى الدين الجديد ، فألقى الامبراطور بها الى السجن ، وامر بتعذيبها حتى تكسرت عظامها فوق عجلة مسنونة ثم امر بقطع راسها ! .

وننطلق الى دير سانت كاترين الذى يقوم على مذهب الروم الارثوذكس وكان فى الماضى تابعا لكنيسة القسطنطينية ذا اساقفة يختارون من اليونان ، الا انه دير مصرى داخل نطاق الكرازة المرقسية واسقفه تابع روحيا ومعنويا لكنيسة مصر ..

الطريق المعبد الى الدير يقترب من الوادى المقدس طوى ، ويقترب من دير سانت كاترين ، وعلى مرمى النظر تبدو قمتا جبلى موسى وكاترين اعلى قمم سيناء للعيان وخلف الاودية تبدو اشجار الدير السامقة فى الوادى ويظهر الفندق الجديد المقام على ذات النسق الذى كانت تقام عليه خانات الطريق من نفس احجار الجبل .

مدينة فريدة

امام الدير نتوقف ونطل عليه ، انه على شكل حصن فى واد بين جبال شاهقة ، وقد اقيم فوق هضبة يبلغ ارتفاعها ٥٠١٢ قدما فوق سطح البحر وهذه الهضبة تمتد على سطح جبل من الصوان الاحمر ، انه مدينة فريدة صمدت فى موقعها لأحداث الدهر صمود الجبال التى حولها وهى فى الوقت نفسه جزيرة الحياة والخضرة والماء وسط بحر شاسع من الرمال والصخور ويحيط بالدير سور كبير ارتفاعه ١٥ مترا ، تنتشر فتحاته فى كل الاتجاهات وعرضه يقرب من المترين ، ولاتزيد مساحته على فدان ونصف ، وبجواره حديقة الدير التى تزدهر فيها اشجار الزيتون والمشمش واللوز ، وتصدح على اغصانها الطيور بين اشجار السرو العتيقة .

دخلنا الدير من دهليز طويل منفرج له ثلاثة ابواب حديدية ضخمة داخل اسوار الدير بلدة صغيرة قديمة بأزقتها وطراز مبانيها مساحات صغيرة وممرات مغطاة ومبان عتيقة بيضاء من طابقين او ثلاثة تتساند بعضها على بعض ، وداخل الاسوار عدة كنائس تبلغ

ثمانى عشر كنيسة والى جوار الكنيسة الرئيسية جامع يرجع تاريخه الى العهد الفاطمى بمنارته ذات الطراز الخاص ، يتميز بمنبره وبمقعده وبالدير صومعة للرهبان ، ومخازن للحبوب ، ومطابخ وافران ومعصرة لزيت الزيتون وجناح خاص لاستقبال الضيوف .. ومكتبة تضم الاف المخطوطات القديمة ، ومتحف يضم مئات الصور والتماثيل .

فى الجانب الشمالى من كنيسة الدير يقع بئر موسى حيث التقى عنده النبى موسى ببنتى شعيب عندما كانتا تسقيان قطيعهما وعند المدخل القديم فى الجانب الغربى من برج الكنيسة الذى كان الزوار حتى القرن الماضى يرفعون فوق جداره بواسطة رافعة تدار باليد فيما يشبه المصعد ويوجد فوقه نافذة مراقبة لمتابعة مايجرى حوله ونجد معصرة الزيت بطرازها القديم ، ونشهد نظاما جيدا لصرف المياه خلال المطر والتى كثيرا ما تسقط عليه الامطار كالسيول .

وخلف اسوار الدير يعكف مجموعة من الرهبان الروم الارثوذكس على عزلتهم عن العالم .. وهم يبدأون يومهم قبل شروق الشمس ، ويصلون من الفجر وحتى السابعة ، ثم يتناولون وجبة جيدة فى الظهيرة ويقضون معظم اوقاتهم فى الصلاة والتأمل ويتوزع عليهم العمل .. فأحدهم مسؤول المكتبة ، واخر يتولى حمل مفاتيح كنوز الدير من القطع الاثرية واللوحات والايقونات التاريخية ، ويأخذ مفاتيحه الضخمة لفتح البوابة الحديدية على القاعة التى تضم النفائس ، وفى المكتبة يقول لنا الاب هارون : هنا نحتفظ بعدد كبير من الايقونات النادرة وفى كل العالم لايوجد سوى هذ الدير الذى يقدم فكرة متكاملة حول الايقونات البيزنطية فى القرنين السادس والسابع ، ففى هذه المنطقة امكن الحفاظ على تراث دينى وفنى ونجت هذه الايقونات من التدمير بعد ان قرر الامبراطور البيزنطى تدميرها فى نهاية القرن الثامن وبداية التاسع باعتبارها اصناما ، وتمكن هذا الدير الذى

لايخضع للسلطه البيزنطية من حماية جميع ايقوناته ، وقد انقذ الدير بجوه الجاف فى الصحراء وبصمته وعمقه وجباله ثروة اخرى من المخطوطات حيث يوجد به ثلاثة الاف من اندر المخطوطات فى العالم وحافظ على نصوص عربية وسريانية وجورجية تحكى ١٥٠٠ سنة من تاريخ الفكر الانسانى ، وبين كل ذلك يوجد اثمن مخطوط فى العالم هو « السجل السيتائى » الذى يحتوى على اقدم نص يونانى للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ومن المخطوطات العربية التى يحتفظ بها الدير رسائل الامان لرهبان الدير كتبها حكام مصر المتعاقبون يرجع بعضها الى القرن الاول الهجرى .

داخل الكنيسة

بعد المكتبة ندخل قاعة الكنيسة .. الارضية من الرخام ، والاعمدة والجدران مبطنة بالرخام البديع .. وعروق سقفها الخشبية المنقوشة فوق قوس الهيكل قطعة فنية تمثل نموذجا لدقة الصنع والتذوق واهم ما تبدو فيه نقش جميل بالفسيفساء يضم الافا من مكعبات الزجاج والحجر الصغير الملون فوق لوح من الذهب المعقوف تمثل السيد المسيح فى الوسط وعلى يساره النبى موسى ، وهناك ايقونات تظهر رسم النبى موسى وهو يخلع حذاءه ورسم اخر وهو يتسلم لوحات الوصايا العشر تحت سقف يختلط فيه اللونان الذهبى والاحمر عندما تدخل اليه اشعة الشمس .

تقود القاعة الى غرفة مضاءة بالشموع وهى تقوم على حجر الاماكن المقدسة .. فوق العليقة الملتهبة التى كلم الله فيها موسى وامره بأن يخلع نعليه فهو فى الوادى المقدس طوى كما ذكر القرآن الكريم فى سورة طه « وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاها نودى ياموسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ، وأنا

اخترتك فاستمع لما يوحى ، إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » .

رحلة جديدة فى الجنوب

قبل عام ١٩٧٩ كان جنوب سيناء منطقة عسكرية الى ان كان يوم ١٦ نوفمبر من ذلك العام عندما انتقلت السلطات الى المحافظة ، ومع هذا الانتقال بدأت رحلة جديدة فى تاريخ شبه الجزيرة مرحلة بناء وتعمير لعلها الاولى من نوعها من اجل تعويض هذه المنطقة عن سنوات الحرمان والاهمال التى عاشتها قبل الاحتلال الصهيونى ومن بعده ، وفى ظله ! .

فلم يكن فى سيناء اى مظهر من مظاهر التجمعات السكانية المستقرة .. ومن هنا كانت البداية .. وعلى الفور بدأ تنفيذ مشروعات الاسكان والطرق والمرافق الحيوية والمشروعات الانتاجية والامن الغذائى .. فقد كان لابد من اقامة مجتمعات جديدة تعتمد على الامكانيات المتاحة محليا .

وقد اخذ المسئولون فى المحافظة بزمام المبادرة ، وقاموا بالتوسع فى انشاء الطرق المرصوفة والارصفة البحرية فى مدينة شرم الشيخ .

فى جنوب سيناء تسخو الطبيعة .. وهو سخاء بلا حدود .. البحر والسهل والجبل فى بقعة واحدة ، تنفرد بكل المقومات التى يبحث عنها السائح الذى ينشد الجمال والهدوء .

ونختار بعد زيارتنا لسانت كاترين فى جنوب سيناء أربع مدن اخرى .. شرم الشيخ والطور عاصمة المحافظة ودهب ونويبع .

الصورة التى طالعتنا فى المدن الاربع هى صورة لمجتمعات سكنية جديدة لم يكن لها وجود قبل سنوات قليلة خلت .. عمارات حديثة فى

شرم الشيخ وفى دهب وفى نويبع ومدارس ومستشفيات ومزارع لتربية الدواجن وتسمين العجول وبحث دائب لاختيار مواقع الاراضى التى تصلح للزراعة بعد ان تصل اليها مياه النيل ، وبعد ان ينتهى العمل فى اقامة محطات تحلية مياه البحر ، لان نسبة الملوحة فى مياه الابار فى سيناء مرتفعة فالارض تخزن مياه الامطار فى جوفها ولكنها تختلط فى ابارها غير المرئية بمعادن كثيرة تذوب فيها وتفقدها صلاحيتها للزراعة ! .

وفى مدينة الطور كان لنا لقاء بمحافظ جنوب سيناء الذى استقبلنا فى مكتبه وكان اول سؤال خطر لنا ان نتوجه به اليه ونحن نرى من حولنا هذه الارض الشاسعة ، التى يمكن ان تمتص الملايين من البشر الذين يزدحم بهم الوادى الاخضر الضيق الذى يمتد مع نهر النيل من الجنوب الى الشمال .. كان سؤالنا الاول :« لماذا لا تأتون ببضعة ملايين من المزارعين الى سيناء ؟..

وقال المحافظ : « لأن مشكلتنا فى الوقت الحاضر هى المياه ، فاذا توفر الماء استطعنا ان نستصلح الأرض ، ونزرعها وعندئذ سوف ندعوهم الى المجىء »!.

السياحة والتطوير

ثم يقول المحافظ : « والى ان تصل المياه الحلوة الى سيناء ، فإن اهتمامنا كله يتركز الآن فى السياحة ، وفى كيف نجعل من هذه المنطقة الجميلة بمناظرها الطبيعية ، منطقة جذب للسائحين .. ومن هنا بدأنا فى تنمية وتطوير الخدمات التى يحتاج اليها السائح ، وفى مقدمتها الفنادق التى بدأنا فى اقامة عدد منها ، والعناية بالشواطىء التى يهوى السائحون قضاء معظم نهارهم فوق رمالها ، والغوص فى مياه البحر والتزلج على صفحته الدافئة ، ان السياحة ثم السياحة ، هى التى تستحوذ على كل اهتمامنا الآن .. ولكن ليس معنى هذا اننا

اهملنا بقية المشروعات التى سوف تسهم فى تحويل سيناء إلى منطقة جذب لسكان الوادى ..

« أنتم توافقون لاشك على أن التنمية الاقتصادية بمختلف جوانبها تحتاج الى مجموعة من العناصر البشرية والمواد الأولية ورأس المال وغيرها .. والمحافظة من جانبها عملت ولاتزال تعمل على اجتذاب واستقرار العنصر البشرى ، عن طريق اقامة وسائل الخدمات الأساسية ، وقد بدأنا فى التوسع فى انشاء الطرق المرصوفة والأرصفة البحرية والموانىء ، ومايتبع ذلك كله من وسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية باعتبارها شرايين الحياة والتطور فى عالمنا المعاصر » ..

« ونحن نقوم اليوم بتوفير احتياجات المحافظة الغذائية والتموينية محليا ، حتى نستطيع أن نقول اننا حققنا الاكتفاء الذاتى ، وربما تكونون قد رأيتم بعض هذه المشروعات التى تحقق هذا الهدف خلال جولتكم فى مدينة الطور » !

ويمضى المحافظ : « ثم لقد دخلت الكهرباء كل مدن سيناء وقراها ، وهى كما ترون خطوة حيوية من أجل توفير حياة أفضل لسكان سيناء من ناحية ، واقامة صناعات جديدة تعتمد على الكهرباء من ناحية أخرى » !

وهكذا بدد النور الظلام الذى عاشت فيه سيناء عبر القرون .

ثروات طبيعية

وفى سيناء ثروات طبيعية هائلة مازالت مدفونة فى جبالها وفى رمالها الناعمة وفى بحارها . فهناك الكاولين ، والرخام ، والجبس ، والمنجنيز ، والبترول والرمل الناعم الذى يصنع منه الزجاج !

ويقول محافظ جنوب سيناء : « إن ماتم انجازه خلال الخطة الخمسية الحالية يعتبر تمهيدا لانطلاقة كبرى فى تعمير وتنمية

سيناء ، وسوف تشهد شبكات الطرق ومحطات الميكرويف والطاقة والمياه والكبارى والأنفاق والموانىء والمطارات الدولية التى تربط سيناء بالعالم الخارجى قفزة كبيرة ، بهدف خلق مجتمعات عمرانية وصناعية متكاملة ..

وقد بدأنا بالفعل فى تطوير أساليب الصيد وتحديثها ، كما تجرى دراسات الآن لاقامة مصنع لانتاج الأدوات الصحية والقيشانى ، والعوازل التى يدخل فى صناعتها خام الكاولين الذى يوجد بكميات وفيرة فى أبو زنيمة وأبو رديس حيث حقول البترول . « ولما كانت السياحة هى شغلنا الشاغل فى سيناء الجديدة ، فقد بدأت المشروعات بالفعل فى اقامة المزيد من القرى السياحية والفنادق المطلة على الشواطىء ، الى جانب استغلال مواقع السياحة الدينية والتاريخية ..

معابر الى المستقبل

هل انتهى الحديث عن سيناء التاريخ والحاضر والمستقبل ؟ ربما ! ولكن بعد أن نمضى فى رحلة قصيرة مع المعابر التى أعادت ربط سيناء عضويا بالوطن الأم ، بل أكثر من هذا فقد أصبحت سيناء ، كما كانت قديما حلقة الاتصال بين المغرب والمشرق العربى .. بين أقطار الأمة العربية كلها من أقصاها .. من الخليج العربى الى المحيط الأطلسى ..

وكان المعبر الأول هو نفق الشهيد أحمد حمدى الذى يربط بين ضفتى قناة السويس الغربية والشرقية ، وهو يمتد تحت مياه القناة من نقطة تبعد بحوالى ثمانين كيلومترا عن مدينة الاسماعيلية ، فى الطريق الى مدينة السويس ، وقد بدأ العمل فى بنائه فى أوائل عام ١٩٧٧ ، واستمر حتى عام ١٩٨٢ وتكلف بناؤه حوالى مائة وعشرين مليونا من الجنيهات ، ويبلغ طوله كيلومترا ونصفا ، تقطعه السيارة فى دقائق معدودة .. وقد شيد على أحدث الأساليب المتبعة فى تشييد

الأنفاق .. أما الاسم الذى يحمله هذا الشريان الحيوى الجديد فهو لنائب قائد سلاح المهندسين الذى أسهم بصورة فعالة فى ازالة الساتر الترابى ، الذى اقامته قوات الاحتلال الاسرائيلى على الضفة الشرقية للقناة ، وقد استشهد فى أول أيام العبور ، اليوم العاشر من رمضان السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣ ..

بقى المعبر الثانى فى مدينة نويبع على خليج العقبة الذى ربط بين مصر والأردن ودول الخليج والمشرق العربى كله .. ويقع ميناء نويبع على بعد ٦٥٠ كيلومترا من القاهرة ..

وتعمل على هذا الطريق البحرى عبارتان كبيرتان ، احداهما أردنية ، والأخرى مصرية ، وتقوم العبارتان برحلتين يوميا من نويبع الى العقبة وبالعكس ..

بقى معبر مياه النيل الذى تنتظره سيناء لتروى به الأرض العطشى ..

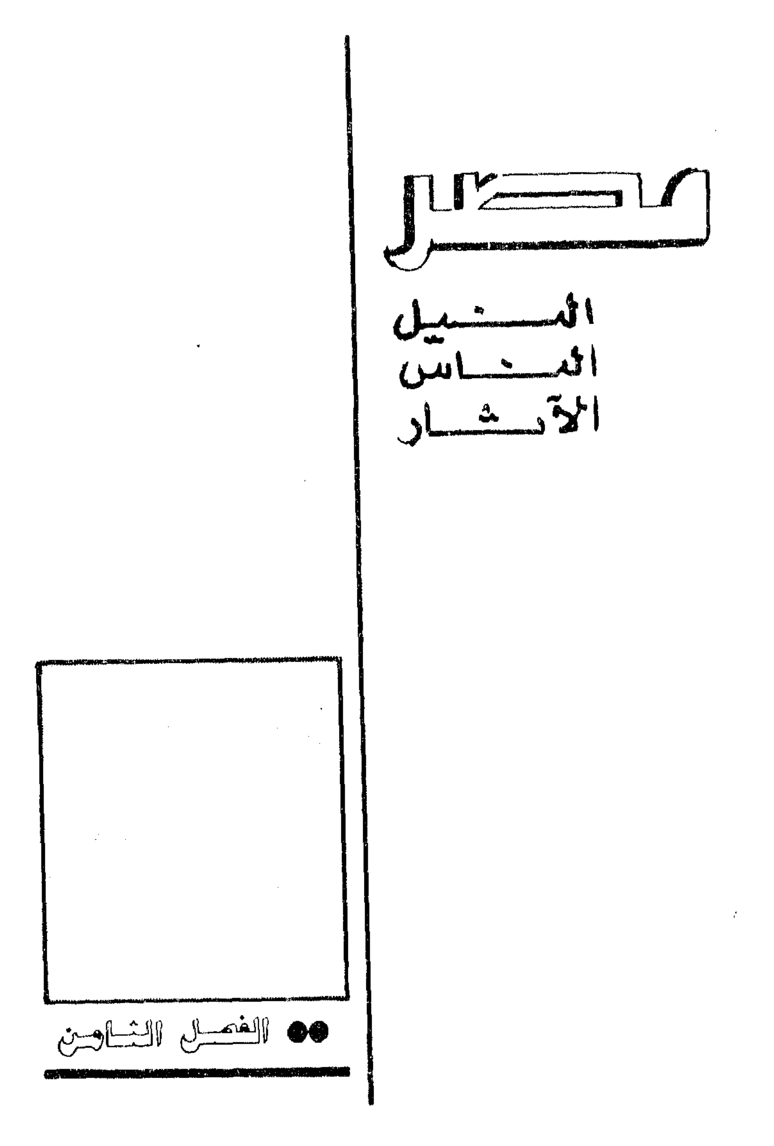
لقد عادت الحياة الى سيناء .. وهى اليوم ترسم لوحة جميلة يشارك كل أبنائها فى اعدادها .. انها صورة مصر الأمل .. مصر المستقبل .. أو كما قال لنا الأعرابى وهو يقود ناقته عند الغروب عائدا بها الى بيته : « نحن هنا فى الجنة .. ولكنها كما ترون جنة بلا بشر ! » ..

قالها فى كلمات بسيطة ولكنها كانت معبرة عما يحمله فى صدره من آمال ..

وأهل سيناء الذين لم يعرفوا حياة أخرى بعيدا عن الأرض التى نبتوا فيها ، ينتظرون اليوم الذى تحتفل فيه سيناء باستقبال الوافدين من الوادى الأخضر الى الأرض التى أمضت قرونا طويلة تنتظر مجيئهم ، من أجل بناء حياة جديدة .. حياة يشارك فيها البدو ولا يتصدون لها !!

ان محافظة جنوب سيناء تمتد من طابا على خليج العقبة مارا بالسفوح الشمالية لهضبة التيه حتى رأس مسلة على خليج السويس جنوباً ، والعقبة حتى رأس محمد . وتمتاز مرتفعاتها بالصخور الجرانيتية ..

وبالمحافظة شواطىء سياحية جميلة على رأسها رأس محمد التى تقع على بعد ٨٠ كم جنوب الطور وهى شبه جزيرة تقع على خليجى السويس والعقبة وتعتبر من أجمل المناطق لممارسة الغوص تحت الماء كما تضم اجمل المواقع المرجانية والأسماك الملونة . وهناك أيضاً شاطىء شرم الشيخ على مسافة ٣٣٦ كم من السويس و٢٠ كم من رأس محمد وتقع المدينة على خليج العقبة . وهى مصيف ومشتى عالمى يعشقه محبو الصيد والسباحة وهواة الشمس والهدوء . وتوجد بها مراكز للغوص مجهزة ومستعدة لاستقبال عدد كبير من الغطاسين وبها معهد لأبحاث البيئة ، وتوجد مدينة ذهب على بعد حوالى ١٨ كم من شرم الشيخ وهى من أجمل واحات سيناء وسمى شاطئها بشاطىء الذهب للشبه الكبير بين لون رماله ولون الذهب . أما مدينة نويبع فتقع على خليج العقبة بالقرب من الشاطىء الرملى الجميل الذى تتناثر عليه اشجار النخيل .. وفى آخر حدود مصر الدولية تقع مدينة طابا وبها اجمل مناظر للبحر والجبل وتكثر الخلجان الرائعة التى تعتبر من معالم المنطقة السياحية ..



دلتا النيل

لايكاد النيل يتجه صعودا حتى شمال القاهرة ، حتى يتسع السهل الرسوبى فيكون فى اقليم الدلتا مثلثا قاعدته مرتكزة على البحر المتوسط ورأسه جنوب القاهرة ويتفرع النيل الى فرع دمياط وفرع رشيد. اطول الفرعين فرع دمياط وطوله من القناطر الخيرية الى البحر المتوسط يبلغ ٢٤٢ كيلومترا ، بينما طول فرع رشيد يبلغ ٢٣٦

كيلومترا على ان فرع رشيد هو اهم الفرعين من حيث اتساع المجرى ومقدار مايحمله من الماء ..

كيف تكونت الدلتا ؟

والمعروف انه كان للنيل فيما مضى عدة مصبات ثانوية طبيعية ، انمحى اكثرها وحل محل بعضها قنوات ومصارف صناعية وحين نرجع الى ما يقوله العلامة الجيولوجي الدكتور رشدى سعيد فى كتابه عن « نهر النيل » نقرأ : « فى الحقيقة ان تاريخ دلتا النيل معقد ويختلف عن النماذج المعروفة عن دلتاوات الأنهار الاخرى ، فالدلتا الحديثة التى نعرفها اليوم ليست الا واحدة من دلتاوات عديدة تعاقبت على هذا الموقع الفردى وليس غريبا ان دلتاوات مختلفة قد تعاقبت على موقع الدلتا الحديثة فقد كانت دلتا نهر النيل اول الدلتاوات التى نشأت بتكون رواسب هذا النهر الخشنة والتى ترسبت على شكل مروحة فى الجزء الشمالى من الدلتا ، والذى كان يشكل خليجا بحريا امام الجزء الجنوبى من الدلتا وقد كان مرتفعا وواقفا كالجرف امام هذا الخليج الشمالى وقد أعقب تكون هذه الدلتا احداث كثيرة تسببت فى ملء خليج الدلتا الشمالى برواسب بحرية ، فرفعت أرضيته وسوته مع جزئه الجنوبى المرتفع ، ثم اخذت الدلتا موقعها الحديث ، وبدأ النهر يتفرع عند حد الدلتا الجنوبى الحالى تقريبا . وبمضى وقت طويل بعد تكون هذه الدلتا كانت رواسب الروافد تترسب على طول جبهة الدلتا دون أن تمتد بداخل البحر وقد تسبب ذلك فى ان تكون جبهة الدلتا على شكل قوس منتظم دون بروز فى البحر وهو نفس الشكل الذى بقى حتى اليوم ..

وفى القرن الاول الميلادى استمر منسوب البحر الابيض فى الارتفاع حتى غمر الجزء الشمالى الشرقى للدلتا لأول مرة ، وقد اثبتت الحفائر ان فم الفرع البيلوزى الذى كان يصب فى سيناء الى الشرق

من بورسعيد كان يقف الى الجنوب من شاطىء البحر الحديث بحوالى عشرة كيلومترات فى سنة ٢٥ ميلادية اما فم فرع رشيد فقد كان على بعد اربعة عشر كيلومترا بداخل الارض حيث بنيت ميناء بلبوطيس فى العصر الرومانى ، والتى تقف اطلالها الآن فى هذا الموقع البعيد عن البحر ، وكان هناك ارتفاع آخر فى سطح البحر فى منتصف الالف سنة الاولى بعد الميلاد والتى أثرت تأثيرا كبيرا على الجزء الشمالى الشرقى من الدلتا ، فأغرقت جزءا كبيرا منها والمعروف ان الجزء الشمالى الشرقى للدلتا كان حتى الفتح العربى مأهولا وعامرا بالسكان والمدن ، وأنه تعرض فى منتصف القرن السابع الميلادى الى كارثة أغرقته تحت مياه البحر ، تحول فى أثرها الى صحراء من الملح ويبدو ان بحيرة المنزلة قد تكونت فى هذه الفترة . اما المناطق التى تحتلها الآن بحيرات شمال الدلتا ومستنقعاتها فقد بقيت أحراشا وبرارى حتى منتصف القرن العشرين لهذا فقد كان الجزء الاكبر من الشمال الغربى للدلتا هامشيا على طول التاريخ فلا توجد فيه بقايا لسكن الانسان الا منذ العصر الرومانى ان لم يكن العصر العربى ، فقد اختلفت منطقة الشمال الغربى للدلتا عن مناطق الدلتا الاخرى لعدم وجود جزر الرمال العالية بها وهى الجزر التى كان يسكن عليها الانسان فى سهول الدلتا المنبسطة والتى كانت تغرق فى وقت الفيضان ..

وباستثناء هذا الجزء الشمالى ، فقد كانت الدلتا مسكونة وعامرة منذ عصر ماقبل الاسرات وقد استطاعت بعثة جامعة امستردام الاثرية فى موسم ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ ان تكشف عن بقايا ٩٢ قرية قديمة من مختلف العصور فى مساحة لاتزيد على ٣٠ كم٢ فى منطقة فاقوس بمحافظة الشرقية كما كانت مدن « بوطو » وتل تنس وديوسبوليس ، والتى تقع فى أقصى الشمال عامرة تماما فى اوائل عصر الاسرات وتقع « تل تنس » على لسان داخل بحيرة المنزلة ويشكل وجودها على السطح حتى الان وفى حد ذاته دليلا قاطعا على ان الدلتا لم ينلها

هبوط كبير فى عصر ما قبل الاسرات . وقد اثبتت بعثات الآثار العاملة فى تل الفراعين « بوطو » ان سكنى انسان عصر ما قبل الاسرات كانت على منسوب يقل بأربعة امتار عن منسوب الارض الحديث مما يدل على ان هذه المنطقة لم تصل الا اربعة امتار من رواسب النيل منذ ذلك الوقت . اما فى منشأة ابوعمر فقد وجدت قرى عصر ماقبل الاسرات على منسوب سطح البحر الحديث ..

وواضح انه من بين الذبذبات الحديثة لمنسوب البحر ارتفاعه خلال القرنين ١٤ و١٥ فى اعقاب فترة الدفء القصوى وانخفاضه فى اعقاب فترة عصر الجليد الصغير بين القرن ١٦ ومنتصف القرن ١٩ تراجع البحر عن شواطىء الدلتا فامتدت داخل البحر ، حيث توجد بقايا الكثير من القلاع التى بنيت خلال العصر التركى وهى القلاع التى غمرها البحر عندما تقدم داخل البلاد منذ منتصف القرن ١٩ وهو التقدم الذى لايزال مستمرا حتى اليوم ..

آثار الوجه البحرى

كل هذه الحقائق توضح اسباب وجود الكثير من آثارنا القديمة سواء فى مياه البحر او تحت مستوى الارض بعدد متفاوت من الامتار ، وهو ما يبدو من الحفريات التى تحاول بعثات التنقيب العثور تحتها على الكثير من الآثار القديمة والتى تختفى تحتها كثير من المدن والقرى ، سواء من العصر الفرعونى او الاغريقى او الرومانى ، بل والعربى ايضا ..

ان بعض مناطق الدلتا تعتبر من اقدم واشهر المناطق فى تاريخ مصر فمدينتا بوطو وسايس اللتان ترتفعان فى الدلتا كما ذكرنا من قبل كانتا اقدم عواصم الحكام فى عصر ماقبل الاسرات واذا كانت مناطق الدلتا قد فقدت اهميتها فى الدولتين القديمة والوسطى وفى الجزء الاول

من عصر الامبراطورية الا انها نهضت مرة اخرى لتعود تانيس وبوبسطة وسايس الى عظمتها ثانية فى عهد الفراعنة المتأخرين . وكذلك بدخول المهاجرين اليونانيين فى الاسرة السادسة والعشرين اصبحت مواقع مثل نقراطيس وتل دفنة فى الدرجة الاولى من الاهمية ..

وعلى الرغم من هذه الحقائق فقد ظلت مواقع الدلتا بوجه عام لاتثير اهتمام أية طائفة سوى الاثريين . وبسبب تخريب الحروب لها أكثر من المناطق الاخرى فى مصر ، فان الطبقات المصرية القديمة غمرت تحت طبقات متتالية من البقايا اليونانية والرومانية الى عمق يصل الى عدة أقدام . وهناك مناطق اخرى غاصت تدريجيا فى طمى النيل الذى يتراكم باستمرار ، والذى كون الدلتا ولايزال يحدد معالمها ، والعمل فى هذه المناطق الفنية الشاقة والكثيرة الرطوبة فى نفس الوقت صعب كثير التكاليف على الاثريين ، ثم إن الدلتا لاتقدم آثارا مكشوفة فوق مستوى الارض مثل الاثار المعروفة فى مصر العليا . واذا كانت هناك مخلفات لاتزال قائمة فوق مستوى الارض فى الدلتا فإنها تكون مغمورة تحت أكوام من الرديم تجعل تخليصها أمرا صعبا يحتاج الى الكثير من النفقات والعمل المتواصل وما من شك فى أن آثار الوجه القبلى كان لها البقاء الأكثر لأنها كانت تبنى بالحجارة ، بينما المبانى فى الوجه البحرى كانت تعتمد على البناء بالطين اللبن مما تسبب فى ضياعها .

ومع ذلك فبدون معرفة الدور الذى لعبته الدلتا فى تاريخ مصر القديمة تكون نظرتنا الى ماضى مصر ناقصة . وسواء أكانت مناطق الدلتا ميسرة الزيارة أم غير ميسرة ، وإن كان معظمها قد أصبح سهل الوصول اليه بعد استخدام السيارات والسكك الحديدية ، فمن الضرورى ان نحاول رؤية ما يجب رؤيته كبرهان على الماضى العظيم لهذه المراكز القديمة للحكم المصرى .

القناطر الخيرية وأتريب

لعلنا خلال تجوالنا فى أنحاء الدلتا ومدن الوجه البحرى الحديثة نستطيع أن نربط بين كل منهما وما كانت عليه فى الماضى بقدر الامكان .

فإلى الشمال من القاهرة ندخل محافظة القليوبية التى تقع شرق فرع دمياط والنيل عند رأس الدلتا ومعظم أراضى هذه المحافظة يغطيها طمى النيل الناعم مما جعلها من أخصب اراضى مصر .

وأول ما نلتقى به هو « القناطر الخيرية » التى يربطها بالقاهرة طريق مرصوف للسيارات والاتوبيسات وخط حديدى يربطها عن طريق قليوب ، كما يربطها خط نهرى يسير فيه الاتوبيس النهرى والبواخر واللنشات .

يتفرع النيل عند القناطر الخيرية الى فرعى دمياط ورشيد . ومن أمام القناطر تخرج الرياحات الثلاثة لرى أراضى الدلتا ، والقناطر الخيرية هى مدينة السياحة بالقليوبية . وتتجه المشروعات الى جعلها مدينة سياحية عالمية لما تتمتع به من وجود أكبر مساحة من الحدائق تبلغ حوالى ٥٠٠ فدان .

وعلى بعد خمسة كيلو مترات من قليوب توجد قرية « أشفينى » التى أنشئت فى القرون الاولى للمسيحية بمصر ، وكانت فى الاصل ديرا للرهبان وجددت منذ ستمائة سنة .

وفى بنها نكون على بعد حوالى كيلو مترين من مدينة أتربيس القديمة (أتريب) . وقد كانت فى زمنها مدينة هامة اسمها « حت — حر — إيب » بمعنى « القلعة التى فى الوسط » لوقوعها بين فرعى النيل الكبيرين هنا لاتوجد غير خرائب قليلة الاهمية ، وان كان بعض

الفلاحين الذين كانوا يعملون بالقرب منها فى السنوات الاخيرة قد عثروا فى أحد الحقول القريبة من التل الاثرى على تابوت حجرى مدون عليه اسم الملكة « تاخوتى » احدى ملكات الاسرة السادسة والعشرين ، وقد عثر بداخل التابوت على المومياء وعليها مجموعة رائعة من الحلى الذهبية بينها قناع وعصابة للرأس . وفى سنة ١٩٥٥ كشف عن مقبرة مبنية بالحجر الجيرى على مسافة ٢٥٠ مترا تقريبا من مقبرة الملكة تاحوتى . وعثر بداخل المقبرة على تابوت ضخم من الحجر الجيرى به أوان كانوبية من المرمر ومجموعة من التماثيل الصغيرة والتمائم والقرابين . والمقبرة لسيدة تدعى « تادى باستت » من العصر المتأخر .

الشرقية وسايس وتل بسطة

وعندما نتجه الى الزقازيق عاصمة محافظة الشرقية . نتذكر انها كانت الباب الشرقى الذى دلف منه الغزاة عبر التاريخ منذ دخول الهكسوس حتى الفتح الاسلامى . وعلى ارضها جرت قصة النبى يوسف . وفوق تلالها وترابها ولد النبى موسى . وخلال دروبها سارت العائلة المقدسة فى رحلتها التاريخية .

وعلى مسافة خمسة كيلو مترات من مدينة الزقازيق نجد « تل بسطة » حيث أنقاض المعبد الكبير « باستت » الذى يرجع تاريخه الى عصر الملك خوفو وابنه خفرع . وتوجد بهذه المنطقة مقبرتان ترجعان لعصر الاسرة السادسة ، تتكون الاولى من حجرتين وتزين جدران الغرفة العلوية رسومات وكتابات هيروغليفية ملونة ، وقد وجد بالغرفة السفلية هيكل عظمى لصاحب المقبرة وبعض كتابات ومقتنيات خاصة به . وهو نفس ما وجد بالمقبرة الثانية .

ونذهب الى « صان الحجر » على مسافة ٨٠ كم من الزقازيق والتى عرفت قديما باسم « جعن » وذكرت فى التوراة باسم « صوعن » ويوجد بها بقايا المعبد الذى يرجع تاريخه الى عصر الملك بيبى الاول . وبنفس المنطقة يوجد ما يقرب من ٢٣ مسلة لرمسيس الثانى منها ما هو بحالة جيدة وكاملة البناء ومنها ما هو متهدم .

على مسافة قليلة منها نجد موقع مدينة « سايس » وفى هذه المدينة نلتقى بإحدى المناطق ذات الآثار الموغلة فى القدم . وكانت سايس عاصمة مصر أيام الاسرة السادسة والعشرين « الصاوية » وقد عظمت هذه العاصمة فى أعين زوارها من الاغريق الاقدمين .

وكان لسايس تاريخ عظيم زاهر . وكانت إلهتها العظيمة « نيت » تمثل فى الاساطير المصرية القديمة تنسج الدنيا كما ينسج النساج قطعة من القماش . وكانت تسمى « الأم التى ولدت الشمس » وهى لذلك أقدم من إله الشمس رع . وكانت « نيت » إلهة حرب كما كانت الهة نسيج . وكان يرمز اليها بدرع وسهمين متقاطعين . بينما كانت هى نفسها تمثل مرتدية تاج الوجه البحرى الاحمر وممسكة بالقوس والسهم ، وتدل أكوام خرائب سايس على أن العاصمة كانت مدينة كبيرة مقامة فوق تل صناعى ليقيها خطر الفيضان ، وكانت أسوارها تبلغ ثلاثين مترا ارتفاعا وعشرين مترا سمكا كما يقول جيمس بيكى . وقد وصف هيرودوت هذه المدينة بأنها كانت تنيرها مسارج لاتحصى تضاء بالزيت والملح فى ليلة « إضاءة المسارج » وقد ولت عظمة تلك العاصمة الصاوية القديمة الان .

وفى المحافظة نفسها وعلى مسافة ستين كيلو مترا من الزقازيق يقع « تل فرعون » وقد اطلق على هذه المدينة قديما اسم « برواجيت » نسبة الى الإلهة « واجيت » معبودة المدينة . ويوجد بها معبد يرجع تاريخه الى الاسرة السادسة . كما اكتشف بها عدة مقابر من العصور المتأخرة والدولة الحديثة .

جوشن .. صفط الحنة

وتوجد أيضا « صفط الحنة » والتى تعرف بالمصرية القديمة باسم « برسويد » وسميت فى التوراة باسم « جوشن » . وقد أقام فيها رمسيس الثانى معبدا للمعبود « سبدو » وكان يصور على هيئة الصقر الرابض . وبالقرب من أبوكبير توجد قرية أبوياسين وبها آثار فرعونية ويونانية من عهد البطالمة .

أما فى « القرين » قرب أبوحماد ، فيوجد مسجد أنشأه السلطان قايتباى عام ٨٨٣ ويتميز بالنقوش المكونة للآيات القرآنية تحيط بالجدران من الداخل وله منارة مثمنة الشكل سميكة البناء .

ومن المعالم المسيحية توجد كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بكفر بدير بالقرب من مدينة منيا القمح وهى مقامة على الطراز البيزنطى .

ويضم متحف الشرقية القومى فى قرية « هرية رزنة » لوحات تاريخية للثورة العرابية والعديد من الآثار المصرية القديمة المكتشفة بهذه المنطقة . كما يضم متحف آثار جامعة الزقازيق اكثر من الف قطعة اثرية تشمل أغطية التوابيت والجعارين والتماثيل والحلى والتمائم والأوانى والاسلحة واللوحات .

طنطا والسيد البدوى

فى وسط الدلتا نذهب الى مدينة طنطا التى تبعد عن القاهرة بتسعين كيلو مترا وعن الاسكندرية بمائة وعشرين كيلو مترا وابرز الاثار الاسلامية الدينية فى طنطا مسجد سيدى احمد البدوى الذى بنى عام ١٢٧٦ على شكل زاوية تضم مقبرته . وقد وسعت هذه الزاوية فى عصر السلطان سيف الدين قايتباى فى مكان المسجد الحالى

على مساحة ثلاثة أفدنة . وفى عهد على بك الكبير تم تطويره ليضم ثلاثة أروقة منها رواق المجاورين وهم طلبة الجامعة الأحمدية وأوقف عليها على بك الكبير أوقافا كثيرة .

والمسجد مبنى على الطراز المملوكى الحديث الذى بنى على أعمدة ومقرنصات كما يضم محرابه قطعا من الفسيفساء النادرة .

السيد البدوى

« إنه الإمام السيد أحمد بن على بن ابراهيم بن محمد بن ابى البكر البدوى ، المتوفى فى **طنطا فى عام ٦٧٥ هجرية** » .

عرفه اهل الشرق والغرب علما من اعلام الخير والهداية ، ومنارا هاديا الى طريق الزهد فى متع الحياة والتصوف والايمان .

« كان يوم مولده فى آخر أيام شهر ذى الحجة من عام ٥٩٦ بمدينة فاس بإقليم مراكش بالمغرب » اما نسبه فيرجع الى اسرة متدينة امتدت جذورها الى مدينة مكة المكرمة بالحجاز .. ولكن هذه الاسرة التى يرجع نسبها الى الامام الحسين بن على كرم الله وجهه ، ما لبثت ان رحلت عن الحجاز الى بلاد المغرب ، لاسباب اجتماعية وسياسية ، حيث استقر بها المقام فى نهاية القرن الثالث الهجرى .. وبقيت اسرة السيد البدوى فى المغرب ، حتى الى ما بعد مولده فى اواخر القرن السادس الهجرى عندما قررت العودة مرة أخرى الى وطنها الاصلى فى مكة ، واقامت بها الى حين ..

أسرة متدينة

وهناك نشأ السيد أحمد البدوى ، نشأة دينية وعلمية صالحة فى كنف اسرته المتدينة ، ثم حفظ القرآن الكريم وتعلم أصول الشريعة والفقه مستلهما آراء الامام مالك رضى الله عنه ، متفقها فى الحديث

النبوى الشريف .

ثم رأى السيد البدوى بعد هذا بثاقب فكره ونور بصيرته ان يدرس مذهب الامام الشافعى ، رضى الله عنه ، فاستوعبه وتعمق فيه وأَلَمَّ بآرائه فى الفقه والتشريع .

ومن اعماقه ألحت عليه الرغبة فى دراسة التصوف والاخذ بتعاليم الصوفية ، تلك التى تعمقت جذورها فى مشاعره ، فأخذ يبحث عن اعلام التصوف ، ويأخذ عنهم ويناقشهم ويسلك سبيلهم ، حتى تمكنت الصوفية منه ، وامتزجت بمشاعره .. وفى تلك المرحلة الصوفية من حياته ، اتخذ السيد احمد البدوى لنفسه خلوة فى جبل ابى قبيس فى مكة يتعبد فيها الى الله ذاكرا فضله ، بعيدا عن كل رياء ، ولم يكن ليترك خلوته هذه الا ليذهب الى « البيت الحرام » لأداء الفرائض . وكان اذا لقى الناس ، استقبلهم بوجه بشوش سمح ، داعيا الى الحق والى الخير والمعروف ناهيا اياهم بقوة وايمان عن كل ما يغضب الله من منكر او بدعة او ضلال ..

وتعلم السيد البدوى بين ما تعلم ، ان الثقافة والمعرفة هما امران متلازمان فى المذهب الصوفى ، فما كان منه الا ان ترك مكة ساعيا الى العراق ، حيث التقى على ارضها بأعلام التصوف من تلاميذ الامامين الجيلانى والرفاعى .. » وفى العراق راح يرتشف من مناهل الثقافة وينابيع المعرفة واصول علوم الشريعة الاسلامية السمحاء ، ثم لم يلبث ان عاد الى مكة مرة اخرى متزودا بأبواب جديدة من المعرفة التى حصلها ، وامضى بمكة فترة من حياته الصوفية سابحا بأفكاره هائما بتأملاته ، الى أن جاء اليوم الذى هتف به هاتف من اعماقه يدعوه الى الرحيل الى أرض مصر .. الى مدينة طنطا .. فلبى النداء ..

.. وجاء الى طنطا

وفى طنطا ، نزل ضيفا على احد تجارها الذى استقبله بالبشر والترحاب ، وأكرم وفادته ، ولم تكد تمضى فترة وجيزة على وصوله الى هذه المدينة حتى اتجه السيد احمد البدوى الى نشر تعاليمه الصوفية بين تلاميذه ، وعكف على عبادة ربه ، وذاع صيته بين الناس ، فأقبل عليه كثيرون ، حيث كانوا يلتقون به فى مسجد « البهى » بطنطا ينهلون من فيض معرفته علما وهدى وزهدا وايمانا .

وهكذا عاش السيد البدوى فى طنطا مدة ثلاثة واربعين عاما ، الى أن انتقل الى الرفيق الاعلى فى عام ٦٧٥ هجرية ، حيث دفن فى مسجده بالمدينة .. نفس المسجد الذى تحول اليوم الى واحد من اكبر واشهر المساجد فى جمهورية مصر العربية ..

بجوار ضريح الامام

فى الخارج .. خارج غرفة امين مخلفات السيد البدوى ، رأينا الناس .. الرجال والنساء ، الشباب والشيوخ والاطفال ، وهم يسعون حول ضريح السيد البدوى تبركا .. وكان الدوران حول الضريح الذى اقيم داخل المسجد لا يتوقف طوال الساعات التى قضيناها فى رحاب بيت الله .. افواج تجىء وافواج ترحل .. ابتهالات ودعاء الى الله عز وجل ، واموال تنذر للخير ..

قال لنا مرافقنا ، ونحن نترك المسجد الكبير : « ان اكثر من مليون ونصف مليون مسلم يفدون الى طنطا من مختلف انحاء الجمهورية والدول الاسلامية ، للاحتفال بمولد السيد البدوى فى شهر اكتوبر من كل عام . هل ترون هذا الميدان الفسيح الذى يتوسطه المسجد .. انه يعج بالكتل البشرية المتراصة حتى ليصعب على المرء

ان يجد موضعا لقدم ، خلال الاحتفال الكبير الذى يقام سنويا فى طنطا .

هذه لمحة قصيرة عن السيد البدوى الذى اضفى مسجده وضريحه طابعا خاصا على مدينة طنطا ، عاصمة محافظة الغربية ، احدى محافظات الوجه البحرى فى جمهورية مصر العربية . واكبرها مساحة . وتقع المحافظة وسط الدلتا ، حيث تمتد الى فرعى نهر النيل ، فرع رشيد غربا ، وفرع دمياط شرقا .

وتبعد المدينة نفسها عن القاهرة ، بحوالى تسعين كيلو مترا ، تقطعها بالسيارة فى طريق زراعى ممهد ، فى حوالى الساعة ، كما تستطيع ان تصل اليها بالقطار السريع فى مثل هذه المدة تقريبا .. وهو نفس القطار الذى يصل مابين القاهرة والاسكندرية ،

وقد أصبحت مدينة طنطا اليوم ، من أكبر المدن الصناعية فى مصر ، ويقدر عدد سكانها بحوالى مليون نسمة ، وهى مدينة تاريخية ، بلغت أوج مجدها فى عصر الفتح الاسلامى ، وهى تتميز اليوم بمبانيها الحديثة وعماراتها السكنية الضخمة ، والفيللات والحدائق والشوارع والطرق الفسيحة ، وأهمها طريق جمال عبدالناصر ، الذى أطلق عليه اسم الزعيم الراحل بعد وفاته ، وكان اسمه طريق الجيش ، وهو يمتد لمسافة كيلو مترين ، ويزيد عرضه على خمسين مترا .. ويعتبر هذا الطريق ، الشارع الرئيسى فى طنطا ، والمركز التجارى فى المدينة ، وتقع فيه البنوك ، والشركات ، ودور السينما ، والجمعيات التعاونية والاستهلاكية ،

دور بطولى

هذه جولة سريعة فى مدينة طنطا ، ذكرنا فيها أشهر معالمها . انها مدينة يسجل لها التاريخ دورا بطوليا فى مقاومة الحملة الفرنسية التى

قادها نابليون بونابرت على مصر فى عام ١٧٩٨ ، فقد حدث ان كلف نابليون القائد الفرنسى الجنرال فوجبير ، بإخضاع الغربية بعد ان تم له احتلال القاهرة ، وأمره بتجريد اهلها من السلاح ، ومصادرة الخيول ، واعتقال الاعيان كرهائن ، واشاعة الذعر بين المواطنين .

ولكن ماكادت الحملة تصل الى طنطا ، حتى وجد قائدها ان الاهالى فى حالة ثورة ، فبعث الى نابليون برسالة يوم ٦ أكتوبر من عام ١٧٩٨ ، يصف له فيها حالة المدينة ، قال : « لقد امتنع الاهالى عن دفع اية ضريبة او غرامة ، وهم يأوون بعض زعماء المماليك ويحرضونهم على التمرد والثورة » .

وكان لمدينة طنطا رهبة فى نظر الفرنسيين ، لسمعتها الدينية وشهرتها كمزار مقدس لضريح السيد البدوى .

ولكن عندما ازدادت روح المقاومة عنفا وضراوة ، لم يجد الجنرال فوجبير الا ان يجرد كتيبة بقيادة الجنرال لوفيفر الى طنطا يوم ٧ أكتوبر سنة ١٧٩٨ لاخضاع المدينة ، واعتقال زعمائها واخذهم كرهائن .

وما كادت الكتيبة تصل الى اطراف طنطا ، حتى بعث الجنرال لوفيفر برسول يطلب الى حاكم المدينة سليم الشوربجى ان يوفد اربعة من كبار مشايخ طنطا ليعطوا القائد الفرنسى عهدا بالمحافظة على الامن .

ولكن طلب الجنرال قوبل بالرفض ، وقام رجال الدين بدور كبير فى تحريض الاهالى من الطلبة والمدرسين وجماهير الشعب من العمال والفلاحين على القيام بالثورة . وكان الاحتفال بمولد السيد البدوى قائما ، فتجمع الثوار يحملون الحراب والبنادق واطبقوا على الجنرال

لوفيفر ، وكان قد تمكن من أخذ رهائنه ، ليودعهم فى القوارب ايذانا بالسفر الى القاهرة عن طريق النيل (فرع رشيد) .

معركة طنطا ضد الاستعمار

وهجم الاهالى على الكتيبة ، ودارت معركة رهيبة ، وقفت فيها القوات الفرنسية عاجزة تماما عن الصمود ، ولم تجد امامها الا ان تتقهقر وتتراجع ، فما ان اقبل الليل حتى ولت الادبار على ظهر السفينة التى جاءت بهم عائدين الى القاهرة عن طريق النيل (فرع رشيد) .

ولما علم بونابرت بمصير حملته الاولى اراد ان يجرد حملة ثانية لتأديب اهالى طنطا بقيادة الجنرال لانوس ، ولكنها لقيت نفس المصير الذى لقيته الحملة الاولى ، فى المدينة الباسلة .

وظلت قوات نابليون تواجه الهزائم ، الواحدة تلو الاخرى ، حتى تم جلاء القوات الفرنسية عن مصر كلية فى عام ١٨٠١ ، بعد صراع فاشل دام ثلاث سنوات كاملة ..

هذه هى قصة كفاح اهل طنطا ضد الاستعمار تلك المدينة التى اتخذت من اليوم السابع من شهر أكتوبر من كل عام وهو يوم هزيمة الفرنسيين فيها ، عيدا قوميا لها يذكر ابناء اجيالها الحاضرة والقادمة ببطولات اجدادهم .

معالم اخرى

ومن الاثار المسيحية توجد كنيسة العذراء بسمنود . وقد بنيت فى المكان الذى نزلت فيه العائلة المقدسة عندما جاءت فى رحلتها الى مصر

هربا من بطش الرومان . أما كنيسة برما فقد أشار ببنائها القديس مارجرجس وتضم قطعا نادرة من عصر الشهداء .

ولايمنع هذا من وجود بقايا آثار مصرية قديمة . منها منطقة بهبيت الحجارة ويرجع تاريخها الى عهد البطالمة ويوجد بها المعبد المقدس الذى مازال باقيا مع آثار اخرى حتى الان ، وتجرى فيها حاليا حفريات أثرية أما بقايا « ثبسنتر » فتوجد عند مدينة سمنود وهى تعنى « الثور المقدس » .

بوطو : هرموبوليس

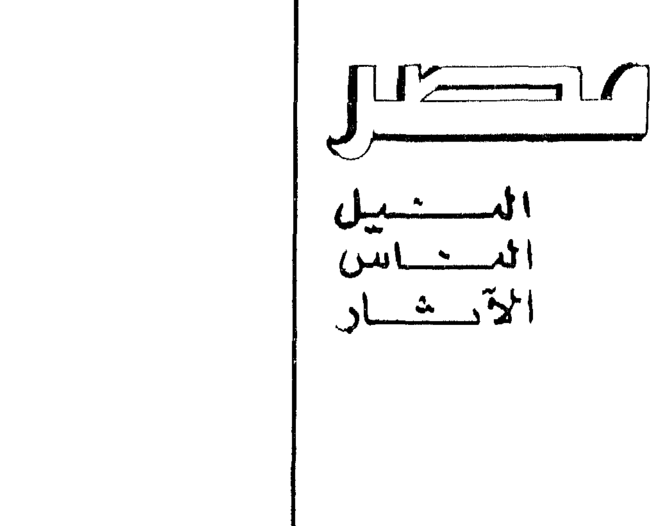
ونتجه الى محافظة البحيرة وعاصمتها دمنهور . ولهذه المدينة أهمية أثرية ترجع الى وجود مدينة « هرموبوليس بارفا » التى سماها الرومان بهدا الاسم . وكانت فى فجر التاريخ المصرى تحمل اسم « دمى ران حور » أى مدينة حورس . وكانت تسمى قبل ذلك « بحدت » وفى أوائل عصر ما قبل الاسرات كانت بحدت عاصمة الوجه البحرى قبل الاتحاد .

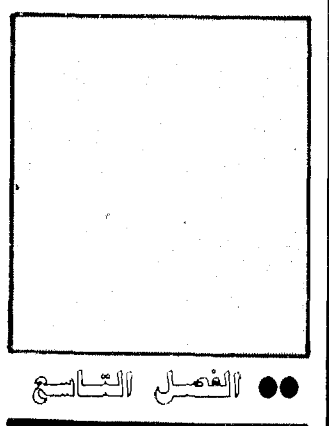
وعلى مسافة سبعة أميال شمال شرقى دسوق تقع آثار « تل الفراعين » التى تضم بقايا « بوتو » أو « بوطو » المدينة القديمة التى خلفت بحدت كعاصمة للوجه البحرى تحت حكم ملوك « النحلة أو الدبور » وكما أن بحدت قد وهبت حورس المجنح الى الشعارات المصرية فإن بوتو قد وهبتها الإلهة « الحية أوتو » وأصبحت الكوبرا تلمع فوق جبهة كل فرعون مصرى ، وفى بعض الأحيان مع « رخم » مدينة « نخب » بالوجه القبلى ، كما نرى على قناع توت عنخ آمون الذهبى وعلى توابيته .

وعلى مسافة عشرة أميال من دمنهور عند قرية « النبيرة » توجد أطلال موقع المدينة الاغريقية « نقراطيس » التى أسسها الملك أحمس

الثانى من الاسرة ٢٦ لتكون موطنا خاصا للاغريق بمصر . ويقال ان انشاءها كان فى عهد ابسماتيك الاول مؤسس الاسرة ومما يؤسف له أن خرائب المدينة لايوجد بها أى دلائل أثرية حاليا بينما توجد منها آثار عديدة بمتحف القاهرة من بينها لوح من الجرانيت الاسود عليه نقوش دقيقة من عهد الفرعون « نقطانبو » الاول مؤسس الاسرة الثلاثين ، وتماثيل وعملات من العهد اليونانى الرومانى .

وإذا كان الوجه البحرى لم يعد فيه غير ذلك آثار لها أهميتها ، إلا أن هذا لايمنعنا وقبل أن نتجه الى الاسكندرية – من أن نزور مدينتين لهما أهميتهما التاريخية فى مصر الحديثة.. هما المنصورة ورشيد .





●● الفصل التاسع

المنصورة .. وملك فرنسا الأسير

.وننطلق .. الى المنصورة .. احدى محافظات الوجه البحرى .

فى دار اثرية صغيرة تتوسط حيا قديما ، أسموه حى الموافى وعلى مقربة من الجامع الذى يحمل نفس هذا الإسم ، وفى قلب منطقة السوق التى تعج بالمشترين والمصلين .. فى هذا المكان القديم الذى دخل التاريخ ، والذى يعرفه اهل مصر كلها واهل مدينة المنصورة خاصة ، وما جاورها من مدن وقرى ونجوع .. وفى هذه الدار وقفنا

نستمع الى قصة من قصص بطولات العرب وانتصاراتهم الخالدة .. قصة تناقلتها الألسن والاسماع عبر القرون الطويلة ، منذ عام ١٢٥٠ م حتى اليوم ..

انها قصة اسر ملك من اعظم ملوك الفرنج فى ذلك الوقت ، وقصة هزيمة جيش من اقوى جيوش الاستعمار واعتاها . واخيرا قصة من قصص انتصار الشعب العربى فوق أرضه الطيبة .

دار ابن لقمان

أما الدار التى سمعنا منها هذه القصة فما كانت غير الدار الشهيرة بدار ابن لقمان ، وهى دار قاض عرف بمناصرته للحق دائما ، عاش فى تلك الحقبة من الزمن التى ارتفعت فيها اعلام العرب المسلمين عالية خفاقة تزهو بالنصر .. وما كاد الملك لويس التاسع يؤسر حتى تنازل ابن لقمان عن داره ليحل بها الملك أسيرا بعد هزيمته .. لقد رأى القاضى ما كان من امر الملك الأسير ، وهو يسير أمام جنود مصر منكسرا ذليلا مكبلا بالحديد ، وهم يقودونه اليه فى داره فترك الدار وحمل متاعه ، وحوله الى سجن الملك القائد الأسير ..

وأما الهزيمة فكانت تلك التى نزلت بجيوش هذا الملك ، التى جاءت الى مصر ، قلعة العرب المسلمين ، ومركز قوتهم .. وكان هدفهم من غزو مصر ، هو استعادة بيت المقدس من ايدى المسلمين .. بعد تلك الانتصارات الكاسحة التى حققها البطل العربى صلاح الدين الايوبى . ولكنهم كانوا يعلمون ، ان لاسبيل الى تحقيق النصر فى فلسطين ، الا بعد احتلال القاهرة وهزيمة المسلمين فيها والقضاء على قوة العرب الحربية .. ولم تكن جيوش هذا الملك سوى تلك التى اسموها فى التاريخ الجيوش الصليبية ولم تكن تلك الحملة سوى الحملة الصليبية السادسة التى بدأت فى عام ١٢٤٩ وانتهت بالهزيمة

لفرنسا وحملتها وملكها فى عام ١٢٥٠ .

الملك الأسير

وأما الملك ، الذى قاد هذه الحملة الفاشلة فلم يكن سوى لويس التاسع ، ملك فرنسا الذى ظل يحلم بإمبراطوريته الواسعة الشاسعة الى أن غرقت هذه الاحلام فى قاع نهر النيل وتحطمت آماله على ضفاف النهر الخالد عند مدينة المنصورة وانتهى به المصير إلى هذا السجن الصغير ، ولم ينقذه من الذل والعار ، سوى تلك الفدية الكبيرة التى دفعها ذهبا ، فخرج يجمع شتات جيشه الكسير ، ليعود به من حيث جاء ..

دخلنا فى الدار مع افواج الزائرين لنعيش لحظات بين صفحات التاريخ ، فقد اصبحت اليوم متحفا افتتحه رئيس الجمهورية العربية المتحدة يوم ٧ مايو عام ١٩٦٠ بعد ان رمموها وجددوها وطلوا جدرانها ، وملأوها بذكريات هذا اليوم التاريخى الذى يزهو به كل عربى ويفخر .

ابطال المعركة

لقط غطيت جدران المتحف من الداخل بصور زيتية سجلتها ريشة كبار الرسامين من اساتذة كلية الفنون المصرية من وحى المعارك الدامية التى خاضها العرب ضد قوى الغزو والبغى التى جاءت تستعمر ارضهم العزيزة .. وفى ركن من قاعة المعرض الرئيسية قامت التماثيل لابطال هذه المعركة .. تمثال للسلطان الصالح نجم الدين أيوب .. سلطان مصر فى ذلك الوقت ، وتمثال لزوجته شجرة الدر التى اصبحت ملكة على مصر بعد موت السلطان ، وتمثال ثالث لتوران شاه ابن السلطان ، الذى كان عند ذاك ينوب عن والده فى حكم الشام ،

فلما بلغه نبأ الغزو الذى تتعرض له بلاده ، عاد مسرعا ليقود القوات العربية ويقاتل معهم فى المقدمة .

وفى الطابق العلوى ، دخلنا غرفة صغيرة ، وقال مرافقنا : « هنا امضى الملك فترة الاسر ، وعلى كرسى خشبى مثل هذا الكرسى الذى ترونه امامكم ، كان يجلس ، وعلى مثل هذه الكنبة التى تتوسط الغرفة كان ينام ! »

لقد كان الكرسى والكنبة صورة طبق الأصل ، لما كان موجودا فى بيت القاضى ابن لقمان منذ أكثر من سبعة قرون من الزمان أو يزيد ..
وتركنا المتحف ، وفى رؤوسنا تلك الصورة الرائعة لهذا النصر الذى سجل به أجدادنا أمجادهم ..

احتفالات المنصورة

وفى شوارع المنصورة ، كان الشعب لايزال يحتفل ، فقد جاءت زيارتنا لهذه المدينة بعد اسبوع واحد فقط ، من الاحتفالات التى تقام بمناسبة عيدها القومى وهو يوم ٨ مايو من كل عام ، يوم خرج الملك لويس من مصر بعد اسره ، اى قبل شهر تقريبا من موعد حلول ذكرى العدوان الاسرائيلى على ارضنا العربية ..

كان احتفالا كبيرا اشترك فيه الشعب بكل فئاته ، ولم تستطع القرون الطويلة التى انقضت على ذكرى هذا اليوم العظيم ولا الاعتداءات الجوية المتكررة التى يشنها العدو الاسرائيلى يوميا على ارضهم العزيزة .. لم يستطع شىء من هذا كله ان يثبط من حماس الجماهير ، وهى تخرج الى شوارع المدينة تهتف بالنصر .. النصر الذى حققوه قديما ، والنصر الذى يتطلعون اليه اليوم وهم يخوضون معركتهم الكبرى ضد قوى البغى والشر ، تلك التى تتربص بهم ،

وبالعرب جميعا وفى كل بقعة ، فى كل ركن من أركان وطنهم العربى الكبير .. افليسوا هم انفسهم احفاد هؤلاء الابطال الذين سجلوا اسماءهم بحروف من نور فى كتب التاريخ القديم والحديث .

لا نكون مغالين ، إذا قلنا إن المنصورة من أجمل مدن الوجه البحرى ، بل قد تكون أجملها على الإطلاق ، إذا استثنينا بطبيعة الحال مدينة الاسكندرية ، عروس البحر المتوسط .. فموقعها الجغرافى فى الدلتا حيث يحتضنها فرع دمياط من جانب والبحر الصغير (وهى قناة طويلة تسير بمحاذاة النيل) من الجانب الآخر ، ثم مركزها الاقتصادى كعاصمة تضم ما يزيد على نصف مليون نسمة ، لمحافظة كبيرة تمتد من قلب الدلتا حتى شواطىء البحر المتوسط ، ثم إنتاجها الوفير من القطن والقمح والأرز .. الذى يزرع بكثرة ويضرب ويصدر لجميع أنحاء الجمهورية والخارج وأخيرا جامعة المنصورة التى قامت بين أرجائها الرحبة .. كل هذه العوامل مجتمعة ميزتها عن بقية مدن الوجه البحرى ، وعواصم المحافظات فيها ..

جامعة المنصورة

وقد كان طبيعيا أن تشدنا الجامعة إليها ، قبل أى وجه آخر من أوجه الانجازات فى هذه المدينة ، فقيام منارة العلم فى أى بلد عربى ، هو حصن نبنيه لنحمى به أبناءنا وبلادنا ، فى عصر أصبح فيه العلم أمضى سلاح فى أية معركة تخوضها البشرية ..

وذهبنا إلى الجامعة ، وهى تقع بمبانيها الضخمة التى اكتمل البعض منها ، ومازال العمل يجرى لاستكمال بناء بقية اجزائها ، فى أطراف المدينة وسط المزارع والحقول ويربط بينها وبين قلب المنصورة وما حولها ، خط أوتوبيس منتظم لنقل الطلبة وأساتذتهم من الجامعة وإليها ..

اما قصة إنشاء الجامعة ، أو بمعنى أصح إنشاء كلية طب المنصورة التى كانت نواة لهذه الجامعة الوليدة ، فتبدأ فى عام ١٩٥١ ، عندما بدأت حملة واسعة بمحافظة الدقهلية كلها لجمع التبرعات لإنشاء جامعة المنصورة ، إلا أن الفكرة ما لبثت أن رقدت بضع سنوات ، حتى كان عام ١٩٦٠ عند بدء نظام الحكم المحلى ، عندما تبنت جامعة القاهرة مشروع إنشاء الجامعة ، وبعد عامين من البحث والدراسة ، صدر القرار الجمهورى بإنشاء كلية طب المنصورة على أن تكون تابعة لجامعة القاهرة ، وبدأت الدراسة بالكلية فى العام الجامعى ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ فى جناح من مبانى المدرسة الثانوية للبنين ، إلى أن تم إعداد مبانى المرحلة الاكلينيكية الأولى بمبنى الكلية الدائم الذى تكلف بناؤه ما يزيد على ٨٠٠ ألف جنيه تقريبا ، كما صدر فى نفس الوقت قرار وزارى بنقل إدارة مستشفى المنصورة العام إلى كلية الطب ، وتحويله إلى مستشفى جامعى .

كانت هذه هى النواة التى بدأت منها جامعة المنصورة التى استكملت بعد ذلك جميع كلياتها الجامعية لتصبح إحدى أكبر جامعات مصر .

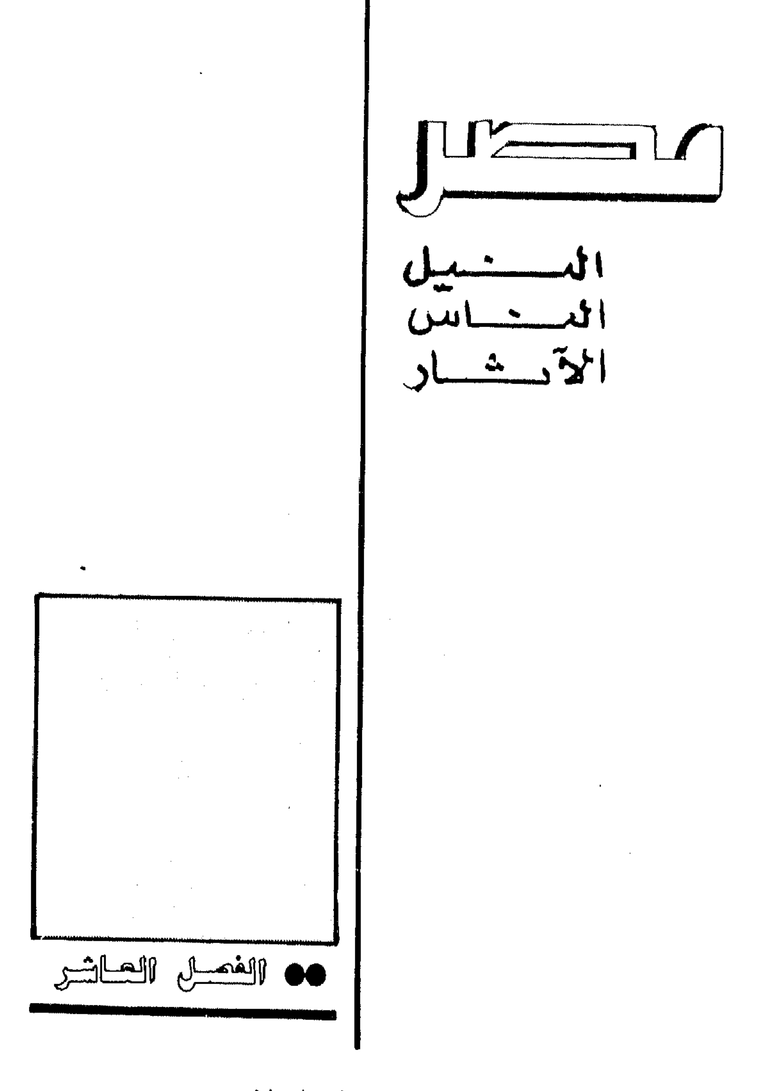
صناعة الخشب

والمنصورة ليست بلدا زراعيا فحسب ، بل هى بلد صناعى أيضا ، فقد قامت فيها صناعة الخشب الحبيبى والراتنجات أو الغراء الصناعى .. ويستخدم هذا النوع من الخشب فى صناعة الاثاث وصناديق التعبئة لتصدير مختلف السلع والمنتجات ، كما يستخدم فى بناء الشاليهات على شواطىء المصايف ، والمنازل الجاهزة .

ويبلغ انتاجه حوالى عشرة آلاف طن سنويا . والمادة الأولى المستخدمة فى صناعة هذا النوع من الخشب الذى انتشر استعماله فى

مع هذا لن يفوتنا أن نذكر أن المنصورة هى البلد الذى أنجب أم كلثوم ..

فقد ولدت أم كلثوم فى ريف المنصورة فى قرية طماى الزهايرة ، وهى قرية صغيرة تابعة لمركز السنبلاوين وتبعد عن المنصورة بحوالى ٢٢ كيلو مترا ، وفى بيت ريفى صغير نشأت هذه الفتاة الريفية ، وفى حى الحَوَّال بالسنبلاوين دخلت الفتاة الكُتَّابُ الذى تعلمت فيه علم الأصوات والتجويد على يد المرحوم الشيخ إبراهيم جمعه .. وكان هذا الكُتَّابُ هو أول مدرسة تخرجت فيها مطربة الشرق ، قبل أن تبدأ رحلتها الطويلة إلى قمة المجد .



رشيد .. مدينة البطولات

من المنصورة .. على فرع دمياط فى الدلتا .. ننطلق إلى مصب النيل الأيسر على فرع رشيد .. لنصل إلى المدينة التى يسمونها بالوردية .. مدينة البطولات .. كما يصفها الرحالة الإسلامى على دوابة .. « مدينة رشيد » .

ومدينة « رشيد » تقع على الضفة الغربية لفرع رشيد (أحد فرعى

أوروبا ، هى ساس الكتان أو حطب الكتان ، وكذلك أخشاب الأشجار المحلية مثل الكافور والجازولينا .

غزل القطن

وعلى مقربة من مصنع الخشب والراتنجات ، قامت صناعة أخرى ، هى صناعة غزل القطن .. وقد بدأ التفكير فى إنشاء مصنع الغزل بالمنصورة فى عام ١٩٦٣ عندما بدأت عملية الانشاءات ، وتركيب المغازل ، وبدأ المصنع انتاجه بحوالى ٢٥ ألف مغزل ، أما اليوم فقد أصبح عدد المغازل يزيد على الستين ألف مغزل .. وقد تم إنشاء هذا المصنع بقرض من اليابان ، وتكلف حوالى ثلاثة ملايين من الجنيهات المصرية ، بما فى ذلك ثمن الأرض والمبانى والالات .

ويقوم المصنع الان بتسديد هذا القرض من انتاجه الذى يصدر ٦٠٪ منه للخارج ، إلى الدول العربية مثل سوريا والعراق ، وبعض الدول الأفريقية وأمريكا وسويسرا والمجر وإيطاليا . أما باقى إنتاج المصنع فيصدر لمصانع النسيج فى دمياط وميت غمر ، حيث تستخدم هذه الخيوط من الغزل الرفيع فى إنتاج الأقمشة القطنية الممتازة مثل اللينو والتريكولين .

بلد أم كلثوم

هذه لمحة سريعة عن مدينة المنصورة ، تلك التى اسموها قديما « دقهلة » ، ثم « أشمون الرمان » ، وأخيرا المنصورة ، تيمنا بالنصر الكبير الذى حققه أبناؤها منذ أكثر من سبعة قرون ..

ولكن هل نسينا شيئا ؟ نعم نسينا كثيرا ، فليس من المعقول أن تتسع هذه الصفحات الصغيرة للحديث عن المنصورة كلها .. ولكننا

الدلتا) عند مصب النيل فى البحر المتوسط ، على مسافة ستين ميلا (٩٥كم تقريبا) شمال شرق الاسكندرية ، وكان يطلق على هذه المنطقة فى العصر البطلمى (بوليتين) كما كانت تسمى (كانوب) ، ورشيد الآن مركز من مراكز محافظة البحيرة ، لكنها كانت محافظة قائمة بذاتها فى عصر الحملة الفرنسية وما قبله ، بينما كانت كثير من التقسيمات الإدارية تسمى مديرية وهى أقل أهمية نسبيا . وانفرد موقعها منذ أقدم العصور الفرعونية بأهمية استراتيجية كبيرة فكانت رابطا بين حضارتى الشمال والجنوب وموقعا حربيا على جانب كبير من الأهمية ، ولأنها طريق المواصلات النيلية إلى داخل البلاد ، فقد كانت مستودعا للبضائع القادمة من القاهرة ومصر العليا (الصعيد) ومنها تنقل إلى أوروبا ، أو تستقبل البضائع القادمة منها أو من الأناضول لتتوزع على أنحاء مصر . واختارها نابليون طريقا للاتصال بين القاهرة والاسكندرية . ويروى أن الملك « مينا » عندما وصل إلى رشيد قادما من الصعيد لتوحيد الوجهين القبلى والبحرى ، كانت المدينة تسمى (رخيتو) أى عامة الناس ، وهى شبيهة بكلمة « رشيت » القبطية التى تحولت فيما بعد إلى رشيد ، واسمها باللاتينية Rosetta أى الوردية ، ويشهد بقدمها المعبد الكبير الذى أقيم بها للإله آمون . وقد أصبحت بعد بناء مدينة القاهرة (٩٦٩م / ٣٥٩هـ) أجمل مدن مصر ، وميناؤها أغنى من ميناء الاسكندرية ، مأهولة بالسكان تشتهر بالهدوء ويتصف أهلها بالشهامة والوداعة والود .

حديقة مصر

وقد أطلق الرحالة الأجانب على « رشيد » إسم « حديقة مصر » اذ تنتشر فيها الحدائق والخضرة ويزرع أهلها حدائقهم بأوراق البردى والليمون والبرتقال الذى تشيع أزهاره فى جوها العبق والعطر وتجعل هواءها منعشا متجددا ، فتستقر العيون بارتياح واعجاب فوق الحقول التى يغطيها الأرز وتشكل واحدا من أبهج المشاهد لاسيما حينما تنسدل

أشعة الشمس الجميلة على المساجد والمنازل المطلة على الدلتا والنيل .

ولعل من أهم ما قيل انه كانت بين الاسكندرية ورشيد منطقة مزروعة بأنواع مختلفة من الأعشاب يصدر العديد منها إلى « البندقية » وتستخدم تلك الأعشاب بعد حرقها فى صناعة الكريستال .

وتتعدد فى « رشيد » الأشجار والنخيل .. تفوح من جنباتها روائح أزهار الريحان والبرتقال والرمان بألوانها البيضاء والصفراء والأرجوان ، ويزرع بها التين والموز والشمام والبطيخ بالإضافة إلى غابات النخيل (أكثر من مليون نخلة) وتعتبر ثروة رئيسية لأهالى رشيد فثمارها وفيرة معروفة بقيمتها الغذائية العالية تمثل وجبة كاملة ، وخاصة إذا كانت « رطبا جنيا » كما برعوا فى الاستفادة من أجزائها فى صناعات مختلفة .. فتستخدم جذوعها فى عمليات البناء ، ومن أغصانها تصنع الأقفاص والمقاعد والآرائك والأسرة ، ومن جدائل السعف تصنع السلال والقفف التى تستعمل فى تغليف البضائع والحبوب .

ومن الصناعات الرائجة انشاء مراكب الصيد التى تنتجها أيد خبيرة وتتوارثها الأجيال . والحرف التى يزاولها أهل رشيد كثيرة متنوعة ، منها خرط الخشب وصناعة الأقفال وصناعات النحاس والدباغة والخياطة وشباك الصيد وتجفيف السمك ، وأيضا صناعة المجوهرات ، وأكثر الصناعات انتشارا صناعة الغلايين ، فحيث يدخن الجميع الغنى والفقير ، لابد ان تروج هذه الصناعة ، وقد لاحظ « على مبارك » أن فى المدينة مقاه كثيرة ، أصبحت اليوم أكثر كثيرا وتزدحم بالرواد فى كل الأوقات حتى لتعجب متى يباشر هؤلاء القوم أعمالهم !

الطابع القديم

ومازالت مدينة رشيد تحتفظ بطابعها القديم الذى كانت عليه فى القرن التاسع عشر والذى وصفه « على مبارك » بأن أبنيتها فى غاية المتانة والاحكام مزينة الظاهر والباطن ذات دور فسيحة وقصور مشيدة بعضها مشرف على النيل والآخر على المزارع ، شوارعها وحاراتها ضيقة غير مستقيمة ولا ميادين بها وتتميز رشيد بتراثها المعمارى والزخرفى الفريد الذى ينتمى إلى العصر العثمانى ، منازلها تتكون من ثلاثة أو أربعة طوابق ذات أسقف خشبية متعددة المستويات تقسم الطوابق بالكوابيل الخشبية التى تحمل البارزات والأدوار العليا . وينفذ الضوء من خلال نوافذ كبيرة مغطاة بشبكات من الخشب وفى بعضها مشربيات بارزة تسمح للنساء برؤية الطرقات دون أن يراهن أحد وتستخدم ايضا لتبريد المياه فى القلل ، بنيت وزخرفت بالطوب المبخور المكحول وهو المطلى باللونين الأحمر والأسود (ويعود ذلك إلى درجة احتراق الطوب لمقاومة تقلبات الهواء) ، أما المونة فهى من الكحلة ذات اللون الأبيض . ويتكون الطابق الأرضى فى معظمها من « الشادر أو الوكالة » وهى لتخزين البضائع ومبيت التجار الوافدين ، « والسبيل » وهى حجرة مطلة على الشارع لها شباك نحاسى يحيطه إطار زخرفى من الكتابات ويتقدمه حوض من الرخام مزود بالمياه العذبة ، وتخزن المياه الخاصة بصاحب المنزل فى « الصهريج » الذى يقع أسفل المنزل ويحمل على أعمدة ويغطى بأغطية وقباب ، ويلحق عادة بالمنزل « الاصطبل » لإيواء دواب صاحب المنزل ودواب ضيوفه وله باب مستقل يطل غالبا على شارع جانبى . ويخصص الدور الثانى للرجال ويسمى « الدهليز » وله باب مستقل به عدة حجرات تحيط بقاعة فسيحة . أما الحريم فيخصص لهن الدور الثالث « الهدير » أى مكان النوم تتوسطه قاعة رئيسية وحولها مجموعة من الحجرات وغرفة استحمام أرضيتها من الرخام

ويغطى سقفها بقبة بها عدة فتحات مغلقة بالزجاج الملون .

وحرص معظم أهالى رشيد على « غرفة الأغانى » وهى غرفة بها دواليب خشبية مطعمة بالعاج والصدف ولها سلم يؤدى إلى شرفة تجلس فيها سيدات المنزل لسماع الموسيقى والطرب .

والمنازل عموما تحف فنية ، فقد برع الرشيديون فى أعمال خرط الخشب وتطعيمه بالصدف والعاج وتعشيق الحشوات وزينوا واجهات المنازل بالمشربيات والشبابيك الخرط وغطوا الحوائط ببلاطات القيشانى ذات الزخارف النباتية الخضراء والصفراء والحمراء .

وأشهر منازل رشيد هو منزل « عرب كلى » (كان محافظا للمدينة) وهو مصمم على أرقى الأساليب المعمارية بضخامته وارتفاعه الشاهق وحجراته الواسعة ويزخر بالأقبية المرتفعة والشبابيك ذات المصبعات و« شخشيخة » مثمنة الأضلاع لها مجموعة من النوافذ للتهوية والإنارة ، وكذا حمام رائع مسقوف بقبة أسفلها حوض رخامى وفى خارجه دكة للاسترخاء ، لكل هذا ولموقعه المتميز اختير ، فى عهد الثورة ، ليكون المتحف القومى للمدينة يضم آثار رشيد من شتى العصور وتراث الإقليم تخليدا لمعاركها وأبطالها .

المنازل والحمامات

ولعل أشهر المنازل برشيد هو « منزل المأزونى » الذى شيده عبدالرحمن البواب الميزونى ، وكان مسرحا لأحداث تاريخية هامة ، اذ شهد زواج الجنرال الفرنسى « جاك منو » الذى كان حاكما لرشيد وفكر فى التقرب إلى الشعب والاندماج فيه فاعتنق الإسلام وتزوج من السيدة زبيدة كريمة السيد محمد البواب وكانت سيدة مطلقة فأنجبت له ابنا اسماه « سليمان » وقد اصطحبها معه عند مغادرته مصر ، بعد فشل الحملة الفرنسية ، حيث توفيا فى إحدى مدن أوروبا .

وذكر أيضا « على مبارك » أن فى رشيد خمسة حمامات وثلاث عشرة معصرة واثنتين وخمسين طاحونة تديرها الخيل وطاحونة بخارية واحدة ، فقد كانت الطاحونة من أساسيات كل بيت تقريبا منها الطاحونة اليدوية وتوجد فى بيوت الفقراء ، أما فى بيوت الأغنياء فالطاحونة تدار بواسطة الدواب . وأشهر هذه الطواحين « طاحونة ابوشاهين » فى منزل « الأمصيلى » وهى طاحونة مزدوجة ذات مدارين بالحجارة وتروس خشبية .

ولأن النظافة عند الشرقيين عقيدة وإيمان ، فلا عجب أنه فى الوقت الذى كانت فيه منازل أوروبا تخلو من وجود الحمامات ، فإنها كانت تعتبر من مظاهر التقدم والمدنية فى منازل رشيد ، وأكثرها شهرة وفخامة « حمام عزوز » ويتكون من مجموعتين : مجموعة الاستقبال وتقود إليها طرقة مسقوفة بها مقصورة خشبية سقفها عبارة عن شخشيخة من الخشب ، وتتوسطها فسقية (نافورة) من الرخام ، والمجموعة الثانية تتوسطها نافورة أخرى حولها غرف الاستحمام وأرضيتها من الرخام ، أما الأسقف فهى عبارة عن قباب بها أجزاء مفرغة تتخللها أطباق زجاجية تسمح بدخول الضوء إلى الحمام .

قلعة قايتباى

يروى أن السلطان قايتباى ، عندما انتهى من بناء قلعته فى الاسكندرية ، توجه إلى رشيد التى أصبح لها أهمية كبرى فى الملاحة التجارية ليشرف على بناء قلعة عرفت باسمه على الشاطىء الغربى للنيل ، فكانت عبارة عن بناء مربع الشكل تقريبا من الحجر والطوب الأحمر الرشيدى ، وفى أركانه الأربعة أبراج مستديرة تحيط بها خنادق وحولها سور لحمايتها ، ويقال إنها تشبه إلى حد كبير الحصن الداخلى لقلعة الاسكندرية وأن الدعامات الجرانيتية المستديرة التى

تتخلل جدران أسوارها على نمط مثيلاتها فى الاسكندرية ، كما ان السلطان الغورى أمر ببناء سور للمدينة حماية لها من غزو العثمانيين . وقد قام الفرنسيون بعمل تعديلات طفيفة على أبراج القلعة فجعلوها على شكل متوازى الاضلاع أحاطوها ببناء من الطوب الأحمر وأطلقوا عليها إسم « قلعة جوليان » أحد ضباط الحملة الفرنسية .

حجر رشيد

شاءت الصدف أن كلفت احدى الفرق الفرنسية (بقيادة الضابط بوشار) بعمل تحصينات فى رشيد وبناء قلعة فى منطقة البوغاز (وهى كلمة تركية تعنى الحلقوم) ووقع الاختيار على مكان القلعة القديمة وأثناء الهدم فى جدار قديم عثر بوشار على حجر من الجرانيت الأسود طوله ١١٥سم وعرضه ٧٣سم وسمكه ٢٨سم ، ووجدوا على وجهته نقوشا تتكون من ثلاث مجموعات : العليا باللغة الهيروغليفية (١٤ سطرا) ، والثانية بالديموطيقية (٣٢ سطرا) ، والثالثة باللغة اليونانية القديمة (٥٤ سطرا) ، ويسمى هذا الحجر باسم « حجر رشيد » وعكف شامبليون (ونخبة من العلماء) على محاولة حل رموز تلك النقوش فاهتدوا ، بعد حوالى ربع قرن من اكتشافه ، إلى أن الأشكال البيضاوية فى النص الهيروغليفى تضم أسماء الملوك والملكات وبمقارنتها بالنص اليونانى أمكن تمييز إسم كليوباتره وبطليموس فكانت تلك هى البداية لحل رموز النقوش الأخرى ، وقد حاول « منو » جاهدا الاحتفاظ بهذا الحجر إلا أن الانجليز نجحوا فى نقله إلى المتحف البريطانى حيث لا يزال باقيا حتى الآن .

كفاح وبطولة

لا تقتصر شهرة مدينة رشيد على كونها مدينة أثرية ، ولكن أيضا لقصص الكفاح والبطولة التى سطرها أهلها ، فقد كان موقعها وأهميتها البحرية سببا فى أن تتجه إليها أطماع المستعمرين إلا أنها كانت الصخرة التى تحطمت عليها أمواج الغزاة .

فقد جاشت الآمال فى صدر نابليون فى أن يشيد على ضفاف النيل دولة عظيمة يتمكن فيها من ضرب عدوته « انجلترا » ، وبعد ان وصل الى الاسكندرية أخذ يزحف الى القاهرة عن طريق البر الغربى للنيل حتى وصل جيشه الى رشيد فاحتلها ، وخيل اليهم أن ميل المصريين الى الهدوء وصبرهم على المظالم لن يشكل لهم اى مقاومة ، ولكن خابت ظنونهم ، فبعد واقعة « أبو قير البحرية » الشهيرة بين الأسطول الانجليزى بقيادة « نلسن » والأسطول الفرنسى بقيادة « برويس » والتى انتهت بتحطيم الأسطول الفرنسى ومقتل خيرة رجاله ، كانت رشيد أول المدن التى علمت نتيجة الموقعة فأخذت روح المقاومة تقوى فى نفوس الأهالى ، وسرت هذه الروح فى البلاد كلها من الإسكندرية الى أسوان وعجلت بجلاء الفرنسيين لتطوى صحيفة الاحتلال الفرنسى فى مصر .

حملة فريزر والهزيمة

ثم كانت خطة الانجليز ، كما يروى المؤرخون ، ان يحتلوا ثغور مصر ويزحفوا الى الداخل ، فاعتزم الجنرال « فريزر » الزحف على رشيد لاحتلالها واتخاذها قاعدة حربية ، وكان « على بك السلانكلى » محافظ رشيد آنذاك ، رجلاً شجاعاً ثاقب النظر ، فاعتزم بالتخطيط مع الشيخ المجاهد « حسن كريت » نقيب الأشراف على كفاح الانجليز بالمقاومة الشعبية وأوهم قنصل انجلترا فى رشيد بعجز أهلها عن

القتال وليس أمامهم سوى الاستسلام ، واعتصم الأهالى فى المنازل وخلت الشوارع وهو ما أغرى الانجليز على التوغل فى المدينة مطمئنين بعد أن أعياهم السير من الاسكندرية الى رشيد وانتشروا فى الأسواق (وكان على بك قد أمر بإبعاد المراكب عن الشواطىء » فلما اشتملتهم المدينة أمر « على بك » باطلاق النيران ، فأخذ الأهالى يطلقون عليهم النار من النوافذ والسطوح فاستولى الذعر على نفوس الانجليز وسقط الكثير منهم صرعى ولاذ الآخرون بالفرار . وكانت واقعة رشيد ضربة شديدة للجيش الانجليزى فأراد « فريزر » ان يثأر لهزيمته وعاود الزحف على رشيد .

الهجوم الانجليزى الثانى

حوصرت رشيد فى هذه المرة وأخذ الإنجليز يضربونها بالمدافع تمهيداً للهجوم عليها ، مما أدى إلى تهدم الكثير من بيوتها وموت الكثير من أهلها بفعل القنابل المتساقطة . هنالك أرسل نقيب أشراف رشيد الرسائل إلى السيد عمر مكرم يستنجده ويطلب إليه إمداد المدينة بالرجال والعتاد ، فقرأ عمر مكرم الرسالة على أهالى القاهرة ، وحضهم على التطوع لنجدة رشيد ، فاستجابوا له وحملوا السلاح واستعدوا للسفر لنجدة إخوانهم على الرغم من أن نائب محمد على بالقاهرة لم يأذن لهم فى السفر حتى حضور الباشا .

ولم يعبأ الكثيرون بذلك وسافروا لنجدة أهل رشيد فى الوقت الذى تطوع فيه أهالى البحيرة كذلك ، كما تطوع أهالى البلاد المجاورة لرشيد ، وأقبلوا جميعاً على المدينة ظاهرين بمظهر التضامن القومى والاشتراك فى حمل أعباء الجهاد فى ساعة الخطر .

وفى إبان ذلك رجع محمد على من الصعيد ، فانضم إلى الشعب فى

الاستعداد للمقاومة ، وبادر إلى تجريد حملة نظامية لصد الإنجليز ، ثم أتم عمل الاستحكامات التى بدىء بها قبل حضوره ، بالاشتراك مع الأهالى وأخذ يدبر المال اللازم لنفقات التجريدة العسكرية ، فعاونه السيد عمر مكرم والعلماء على جمع ما يمكن جمعه .

المقاومة

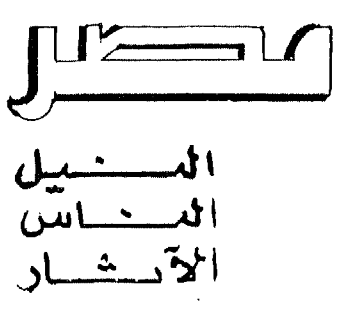
أما الإنجليز فقد ظنوا أن ضرب رشيد بالمدافع مما يلقى الرعب فى نفوس أهلها ، فيضطرون إلى التسليم ، فأنذرهم أكثر من مرة بأن يسلموا المدينة ، ولكنهم لم يسلموا بعد أن كان نصرهم السابق قد بعث فى أنفسهم الحمية والحماسة مما جعلهم يصممون على الاستبسال فى الدفاع عن مدينتهم بالرغم مما أحدثته القنابل من تخريب وما تسببت فيه من قتل . وكان الأهالى الذين أبدوا الكثير من الشجاعة ورباطة الجأش يخرجون من المدينة من آن لآخر لمناوشة القوات الإنجليزية ، واستمر الضرب والحصار نحو ١٢ يوماً دون أن يصل الإنجليز إلى شىء .

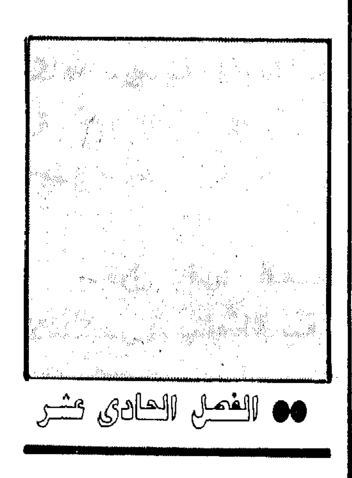
بل إن الأهالى أخذوا يناوشون مواقع الإنجليز فى الحماد ، فأنفذ إليها الجنرال ستيوارت مدداً من الجند ، ورَكَّبَ المصريون من جانبهم مدفعين على الشاطىء الشرقى للنيل .

النصر

وفى إبان ذلك توافد الناس على رشيد من شتى بقاع الوجه البحرى وكانوا قد اشتروا الأسلحة ، وتنادوا للجهاد ، وكثر المتطوعون ونصبوا لهم بيارق وأعلاماً ، وجمعوا المال من الأثرياء وأنفقوه على من انضم إليهم من الفقراء ، وخرجوا فى مواكب وطبول وزمور ، فلما وصلوا إلى استحكامات الإنجليز دهموهم من كل ناحية ، وصدقوا فى الحملة عليهم ، واختلطوا بهم ، وأرهبوهم بالتكبير

والصياح حتى أوقفوا رميهم ونيرانهم . وطلب الإنجليز الأمان ، فلم يؤبه لهم ، وقبض عليهم وذبح الكثير منهم ، وأرسل أسراهم ورءوس قتلاهم إلى القاهرة ، وفر الباقون إلى الإسكندرية بعد أن جلوا عن رشيد وأبى منصور والحماد ، ولم يزل المقاتلون من أهل القرى وراءهم حتى غنموا أسلحتهم ومدافعهم . ومالبث الإنجليز أن جلوا عن الإسكندرية أيضاً .





●● الفصل الحادى عشر

الاسكندرية

الاسكندرية هى العاصمة الثانية لمصر وأهم ميناء مصرى ، وواحدة من الموانىء الثلاثة الأولى بحوض البحر الأبيض المتوسط ، كما أنها تعد أكبر موانىء شرق البحر الأبيض والشرق الأوسط . وتتميز الاسكندرية بجمال موقعها واعتدال مناخها وشواطئها الرملية الجميلة الناعمة التى تمتد لمساحة كبيرة بين العجمى غرباً وأبو قير شرقاً .. وتشغل المدينة شريطاً ساحلياً يمتد بطول سبعين كيلو مترا فى

شمال غرب الدلتا ويحده من الشمال البحر الأبيض ومن الجنوب بحيرة مريوط حتى الكيلو ٧١ على طريق مصر الاسكندرية الصحراوى . ومن الشرق خليج أبو قير ومنطقة إدكو ، كما يحدها من الغرب سيدى كرير حتى الكيلو ٣٦ ويتجاوز عدد سكانها خمسة ملايين نسمة وهى المصيف الأول بمصر .

وقد سميت الاسكندرية نسبة إلى الاسكندر المقدونى الذى أمر بإنشائها عام ٣٣٢ق . م فى موقع قرية صغيرة اسمها « راقودة » لتكون عاصمة لملكه فى مصر ، وميناء بحريا قريباً إلى بلاده ، ومركزاً للثقافة والحضارة الإغريقية . وقد ظلت الاسكندرية لعدة قرون بعد إنشائها مركزاً للإشعاع الفكرى والحضارى فى العالم كله واحتلت مكانة مرموقة فى تاريخ الإنسانية .

حلم الاسكندر

ويقول ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان : « وقبل أن يبدأ الاسكندر فى بناء المدينة دخل هيكلا عظيما كان لليونانيين ، فذبح فيه ذبائح كثيرة ، وسأل ربه ان يبين له أمر هذه المدينة : هل يتم بناؤها ؟ أم هل يكون أمرها الى خراب ؟ فرأى فى منامه كأن رجلا قد ظهر له من الهيكل ، وهو يقول له : « انك تبنى مدينة يذهب صيتها فى اقطار العالم ، ويسكنها من الناس مالا يحصى عددهم ، وتختلط الرياح الطيبة بهوائها ، ويثبت حكم أهلها ، وتصرف عنها السموم والحرور ، وتطوى عنها قوة الحر والبرد والزمهرير ، وتبعد عنها الشرور حتى لايصيبها من الشياطين خبل " وان جلبت عليها ملوك الأرض بجنودهم ، وحاصروها لم يدخل عليها ضرر » .

وبعدها بدأ دينوكراتيس ـ كبير مهندسى الاسكندر ـ فى بناء المدينة وكان هذا عام ٣٣١ق . م .

كانت المبانى ترتفع على قطعة الأرض الواقعة بين البحر الأبيض وبحيرة مريوط .. بينما كان الاسكندر الأكبر يتقدم فى فتوحاته باحثا عن مطلع الشمس فى الهند والصين ..

الاسكندرية فى امريكا وانجلترا والعراق

والواقع ان الاسكندر قد بنى ثلاث عشرة مدينة اسماها كلها باسمه فى الهند واليونان وسوريا والعراق ، ولكن مع الزمان تغيرت اسماؤها الا تلك التى فى العراق ، انها قرية بها نخل كثير تقع على شاطىء دجلة .

وفى الولايات المتحدة اليوم أربع مدن باسم الاسكندرية واحدة فى انديانا ، وأخرى فى لويزيانا ، وثالثة فى مينيسوتا ، ورابعة فى فرجينيا .. وهناك (اسكندرية) فى اسكتلنده تشتهر بمصنوعاتها القطنية .

وهذه المدن الخمس لم يبنها الاسكندر ، إنما بناها أناس يحملون هذا الإسم .

بعد روما وأنطاكية

وعندما توفى الاسكندر فى بابل ، وعمره ٣٣ سنة ، نقل جثمانه الى الاسكندرية وكفن فى العسل ووضع فى تابوت من الذهب الخالص ولم يستدل على مكانه احد حتى اليوم .

وكانت الاسكندرية ومصر من نصيب أحد قواده المسمى « بطليموس » وكان الاسكندر خلفه عليها . فلما مات الاسكندر أعلن نفسه ملكا لها ، وحكمتها عائلته بعده لمدة ٣ قرون ، كانت الاسكندرية تكبر خلالها سنة بعد سنة حتى اصبحت تلى روما وأنطاكية مباشرة ـ

وكانتا اكبر مدن العالم فى ذلك الوقت ـ وبلغ عدد سكانها ٣٠٠ ألف نسمة .

وبلغت الاسكندرية فى عهد خلفاء الاسكندر من البطالمة ، وعهد الرومان الذين احتلوها عام ٣٠ق . م بعد انتصارهم على جيوش كليوباترة وانطونيوس ، أوج التقدم والازدهار ، فكانت مدينة يكثر المرمر فى أرضها وبنائها وعمدها ، وكانت جميع مبانيها مطلية باللون الأبيض الناصع الذى يعكس الضوء ، فكانت تبدو بيضاء لامعة فى النهار والليل ، وكان تألق الرخام مادة دسمة للمؤرخين العرب ، حتى قال المسعودى : « ان الناس كانوا يتخذون سترا من الحرير الأخضر يغطون به الطرق ليتقوا بذلك وهج الضوء على الرخام ! » :

وقال الحسن بن ابراهيم المصرى :

« كانت الإسكندرية لشدة بياضها لا يكاد يبين دخول الليل فيها الا بعد وقت .. وكان الناس يمشون فيها وفى ايديهم خرق سود خوفا على ابصارهم .. ويلبسون الثياب السود .. وكان الخياط يدخل الخيط فى الابرة بالليل بغير ان يستضىء بمصباح ! » .

مركز للاشعاع الثقافى

وكانت الاسكندرية مركزا للاشعاع الثقافى . كان الرومان يأتون من جميع أنحاء امبراطوريتهم لتلقى العلم فى معاهدها ، ومن جامعاتها تخرج اكبر العلماء والكتاب والمؤرخين .

ويروى عن تقدم العلوم فى الاسكندرية « ان مجالس العلماء كانت كالدرج يجلسون عليها تبعا لطبقاتهم ، فكان أوضعهم علما الذى يعمل الكيمياء من الذهب والفضة ، فان مجلسه كان على الدرجة السفلى !! » .

اعجوبة العالم

أما منارة الاسكندرية التى كانت احدى عجائب الدنيا السبع فالحديث عنها طويل ممتع لايتسع له المقام ، وانما نكتفى هنا بنقل بعض ما كتبه كتاب العرب عنها . قال الاصطخرى : « ان المنارة قائمة على صخرة فى البحر وبها اكثر من ثلاثمائة غرفة لايهتدى فيها الزائر الا اذا هداه دليل » .

وقال ابن حوقل : « انها مبنية من صخور منحوتة قد جمع بعضها الى بعض وشدت بالرصاص ، ولايشبهها شىء على وجه الأرض » .

وقد وصفها الإدريسى مثل ذلك الوصف مع تفصيل أعظم فقال :

« ان المنارة لا يماثلها شىء فى بلاد العالم فى قوة بنائها ونظامها ، فهى من اصلب الصخور ، صب بينها الرصاص المنصهر حتى ان حجارتها لاينفصل بعضها عن بعض . ويصل ماء البحر اليها من جهة الشمال . وعلوها نحو ثلاثمائة ذراع ، وكل ذراع ثلاثة اشبار ، فطولها مثل قامة مائة رجل . وكانت ذات طبقات أربع ، كل منها أضيق قطرا من الطبقة التى اسفلها . وكان فى الطبقة العليا مصباح مكشوف ، وبها مواضع للنار التى يهتدى بها ، ومرآة عجيبة » .

وكانت هذه المنارة العجيبة مقامة على جزيرة فاروس ـ حيث تقع قلعة قايتباى الآن ـ وقد بنى لها جسر حجرى طوله ميل يربطها بالشاطىء . وقد كبر هذا الجسر واتسع فأصبح اليوم عرضه نصف ميل ، ترتفع فوقه عمارات وبنايات حديثة .

اجمل مدائن العالم

ان الاسكندرية كانت حتى القرن السابع الميلادى اجمل مدائن العالم وابهاها ، « فلم تبدع يد البناء قبلها ولا بعدها شيئا يعادلها ،

اللهم الا روما وقرطاجنة القديمتين .. فما سرحت العين الا لتقع على اسوار وحصون وحدائق وحوائط كروم لانظير لها ، وبدائع من قباب وعمد وتماثيل ومعابد وقصور تتلالأ وتتألق » .

ان الاسكندرية كانت عاصمة البلاد حتى هذا الوقت ، ولكن اهميتها بدأت تقل عندما بدأ بناء الفسطاط ، كذلك عاد نجمها يزداد افولا عام ١٤٩٧م عندما اكتشف طريق رأس الرجاء الصالح الى الهند ، فتحولت التجارة اليه .. ولم يعد نجم الاسكندرية يلمع الا عندما احتلها نابليون فى ٢ يوليو ١٧٩٨ . ولكنه لم يمكث فيها طويلا فقد طرده الانجليز منها ٣١ اغسطس عام ١٨٠١ بعد معركة أبى قير البحرية الشهيرة . وفى عهد محمد على الكبير ازدهرت الاسكندرية . وفى عام ١٨٨٢ ضربها الاسطول البريطانى فهدمها واحتلها الجنود فى ١٠ أغسطس ١٨٨٢ .

وفى الحرب العالمية الثانية تعرضت الاسكندرية لغارات جوية قاسية من طائرات دول المحور (المانيا وايطاليا) .. لوجود السفن البريطانية فيها .

عملية مستحيلة

والمتبقى من الاسكندرية القديمة قليل ، يكاد ينحصر فى عمود السوارى ومقبرة كوم الشقافة ، و٢٦ ألف قطعة اثرية ، بين صغيرة وكبيرة مخزونة فى المتحف اليونانى الرومانى .

ان عملية البحث عن الآثار هناك من اصعب الأمور واشقها ، فالمدينة الحديثة تقوم فوق المدينة القديمة تماما ، مما يجعل الكشف عنها مستحيلا !

أشهر آثار الاسكندرية

ان عمود (دقلديانوس) المعروف باسم « عمود السوارى » يرتفع وحيدا الى مسافة ٩٩ قدما فى الفضاء .. انه قطعة واحدة صماء مصنوعة من الصخر المرمرى الجميل عمرها ١٧٠٠ عام .. لقد كان ارسطا طاليس يجلس وهو ينظر الى الشمس والنجوم دارسا علم الفلك . وكان هذا العمود هدفا لكثير من القصص العجيبة الاسطورية التى قيلت فيه . فقال السيوطى : « ان الجن هم الذين نحتوه لسليمان فى الاسكندرية » . ويروى ابن الفقيه قصة آلاف قطع الفخار والخزف الصغيرة المحيطة به حتى اليوم بقوله : « ان من الناس من يزعم أنه اذا رمى على العمود قطعة من الخزف وقال عند ذلك : باسم سليمان ابن دواد تكسرى انكسرت .. واذا لم يذكر الطلسم فانها لاتنكسر » .. ويقول آخرون : « ان الانسان اذا أقفل عينيه وسار الى ذلك العمود لم يستطع ان يبلغه » !! كلها قصص واساطير أوحى بها هذا الأثر التاريخى الضخم الذى هو فى أمس الحاجة الى رفع الأتربة والقاذورات المحيطة به لاظهاره بالمظهر اللائق مع شهرته التاريخية

ويتوسط العمود العملاق فناء معبد السرابيوم الرومانى الذى شيد فوق معبد السرابيوم الاغريقى الذى اكتشف فى مواسم الحفائر الاثرية بين عامى ١٩٤٣ و١٩٤٤ . وكلمة سرابيوم . معناها بالعربية مجمع عبادة الإله سيرابيس ، وهذا الاله ابتكره البطالمة ، فى محاولة لدمج الشعبين المصرى والاغريقى فى عقيدة واحدة . وهو فى حقيقته ليس سوى صورة اخرى للمعبود القديم العجل ابيس والاله أوزوريس معا .. ويقع المعبد اليوم فى حى كرموز الشعبى ، وهو نفس المكان الذى كانت تقوم فيه مدينة « راقودة » الصغيرة القديمة التى كانت موجودة قبل مجىء الاسكندر وتأسيس الاسكندرية .

السور والصهاريج

وبقايا سور الاسكندرية ، يرجع تاريخها الى العصر العربى فى القرن التاسع الميلادى ، وكان البطالمة قد شيدوا سورا قبل العرب ، يحيط بالمدينة من جهة البحر وقد بلغ طوله ١٥ كيلو مترا وكان سورا حصينا ، وقد نجح الاثرى المصرى المعروف محمود باشا الفلكى ان يصل الى اساسات جانب منه بلغ طولها ثلاثة كيلو مترات وعرضها خمسة امتار تحت الارض .

وعرفت الاسكندرية القديمة فى العصر البطلمى نظاما علميا للتزود بالمياه الحلوة وتوفيرها فى موسم الجفاف ، بفضل بناء صهاريج فى بطن الارض تغذيها مياه الأمطار والقنوات الصناعية ، وفى العصر الرومانى اقام اوغسطس قناة جوفية هائلة لاتزال موجودة حتى الآن تحت طريق الحرية .. لقد كانت خزانات المياه والصهاريج تمتد تحت مدينة الاسكندرية بأكملها ، حتى ان المقريزى قال يصفها : « إن فى استطاعة فارس راكبا جوادا وشاهرا رمحه ان يلف المدينة كلها من خلال صهاريجها وقنواتها » .. وقد اكتشف الفلكى باشا وحده اكثر من ٧٠٠ صهريج ، كان بعضها يتألف من ثلاثة او اربعة طوابق مثل صهريج السلطان حسين .

المسرح الرومانى فى كوم الدكة

وفى عام ١٩٦٠ ، بدأت البعثة البولندية ، بالاشتراك مع السلطات المصرية فى الكشف والتنقيب عن تاريخ الاسكندرية القديم ، وبصورة علمية منظمة ، ووقع اختيار البعثة على منطقة كوم الدكة .. وكان الاعتقاد السائد ان هذا التل بقى قائما منذ العصور اليونانية القديمة ، وانهم كانوا يطلقون عليه اسم تل « بان » ، وبان هو الهة

الحقول فى الاساطير اليونانية الرومانية ، وكان يرتفع شامخا فوق مساحة من الارض تزيد على ١٨ فدانا ، الى ان جاء نابليون بحملته على مصر فى عام ١٧٩٨ وزاد من ارتفاعه وبنى فوقه حصنا منيعا حتى تتمكن جيوشه من السيطرة على المدينة عسكريا .. وفى عام ١٨١٩ جمع محمد على مؤسس الاسكندرية الحديثة ، الرديم المتخلف عن حفر قناة المحمودية وألقى به فوق التل ليزيده ارتفاعا . حتى اذا ما بدأ عصر الاحتلال الانجليزى ، رأيناه يتحول الى مقر للقوات البريطانية .

وانتهى احتلال الانجليز ، وكان آخر شىء يرتفع فوق التل هو مدفع رمضان ، وعندما قامت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ اعتبرت مصر هذا التل رمزا للاحتلال والسيطرة الاجنبية فتقرر إزالته ، وحصلت البعثة البولندية لمركز آثار حوض البحر المتوسط على امتياز التنقيب عن الاثار القديمة فى بطن التل .

وكانت المفاجأة عندما عثرت البعثة تحت هذه الاكوام الهائلة المتراكمة من الاتربة والصخور على اضخم حمامات رومانية فى مصر كلها ، ولكنها كانت مدمرة نتيجة لانفجار فى مخزن للبارود قيل انه حدث فى عهد محمد على باشا . وفى الحمامات عثر المنقبون على اماكن خاصة بالتدفئة وخزانات للماء الساخن والماء البارد ، وعلى اثار للوحات زيتية ملونه فوق الحجر ، وتماثيل للالهة افروديت ، وتمثال نصفى لرأس الاسكندر ، والعديد من الاوانى المنزلية المصنوعة من الفخار والقيشانى .

ميناء عمره ٢٠٠٠ سنة

وتبحث اليوم عن الميناء القديم الذى اسسه الاسكندر فتجده هناك حيث كان منذ اكثر من الفى عام ، ولكنه لم يعد ميناء يستقبل

السفن وتبحر منه ، وانما اصبح « ناديا » لهواة البحر ، وقد رست فى مياهه عشرات القوارب الشراعية واليخوت .. ولكنك لاتكاد تبتعد قليلا عن موقع الميناء القديم ، حتى تجد الميناء الحديث الذى انشأه محمد على الكبير .. ولاتزال جزيرة فاروس رابضة فى مكانها تصد الرياح العاتية وتمنع وصولها الى الشاطىء والى السفن الراسية فيه .. الجديد مكان القديم فى نفس البقعة... على نفس الشاطىء .. لقد كانوا « اعلاما » .. نقلنا عن حضارتهم ، ونقلوا هم عن حضارة العرب المسلمين ، وتأثرنا بهم وبفكرهم كما تأثروا بنا وبعلومنا وفلسفتنا .

وفى الاسكندرية ، قامت المساجد والكنائس جنبا الى جنب . وهناك كنيس لليهود ، اما الكنيسة المرقسية فقد انشئت أصلا فى اوائل القرن الميلادى الأول بعد استشهاد مرقس الرسول احد تلاميذ السيد المسيح ، ثم جددت عدة مرات حتى اصبحت فى مبناها الحالى .

والمساجد فى الاسكندرية لها طابع اسلامى خاص ، يجمع بين الطراز الاموى والفاطمى وأقدم المساجد واشهرها مسجد سيدى أبى العباس المرسى واحدثها مسجد ابراهيم وهو يشرف على حديقة الخالدين ، على طريق الكورنيش ، او طريق الحرية .. ويتوسطها أربعة تماثيل نصفية ، أحدها لخطيب الثورة العرابيــة عبدالله النــديم ، والثانى لحسن الاسكندرانى الذى كلفه محمد على بانشاء أول أسطول مصرى ، وسيد درويش « أبو الموسيقى العربية » ومحمد كريم مدير مديرية الاسكندرية الذى اعدمه الفرنسيون .

٧٠٠ الف كتاب

وقد أنشأ بطليموس الأول مكتبة الاسكندرية الشهيرة الكبيرة .. والحديث عنها مثل الحديث عن المنارة شائق وممتع لا تتحمله هذه السطور وانما نكتفى بما سرده عنها المؤرخ اميانوس مرسلينوس : « ان مكتبة الاسكندرية التى لاتقدر كتبها بثمن ، والتى اتفق الكُتَّابُ الأقدمون على انها كانت تحوى سبعمائة الف كتاب بذل البطالسة

جهدا كبيرا فى جمعها ولقوا فى سبيل ذلك عناء كبيرا ، قد أحرقتها النيران فى حرب الاسكندرية عندما غزاها قيصر وخربها » .

حول مكتبة الاسكندرية .. ماضيها ومستقبلها يقول الباحث ربيع شتا :

يروى لنا التاريخ ان شخصا يدعى ديمتريوس الفاليرونى كان تلميذا لارسطو وحكم اثينا قرابة عشر سنوات ثم فر منها والتجأ الى الاسكندرية قرب نهاية القرن الرابع قبل الميلاد حيث أصبح مستشارا للملك بطليموس الأول المعروف باسم بطليموس سويتر (أى المنقذ) الذى كان احد كبار القادة العسكريين لجيوش الاسكندر ثم اختص بحكم مصر بعد ان قسمت امبراطورية الاسكندر بين هؤلاء القادة عقب وفاة الاسكندر . وتذهب رواية دونت فى القرن الثانى عشر الى ان ديمتريوس هذا هو الذى اقترح على مليكه بطليموس ان يقوم بجمع مجموعة من الكتب عن المملكة وعن ممارسة القيادة وأن يقرأها .. وهكذا ولدت مكتبة الاسكندرية التى انشئت على غرار مكتبة أرسطو فى اثينا لتقليدها وكان الهدف من انشائها طموحا للغاية حيث كان يتمثل فى جمع « كتب جميع شعوب العالم » .

وتولى بطليموس الثانى المعروف باسم بطليموس فيلادلفوس (اى محب اخته) توطيد دعائم مشروع ابيه . وبعد مرور قرنين من الزمان وبعد ان وصلت الاسكندرية الى ذروة مجدها واصبحت مدينة ذات طابع عالمى تضم اجناسا شتى من البشر وصارت المدينة الثانية فى الامبراطورية الرومانية ، أصبحت المكتبة تضم عددا يتراوح بين ٤٠٠٠٠٠ و ٧٠٠٠٠٠ لفافة من لفائف البردى تحتوى على قرابة ٣٠٠٠٠ مصنف وفقا لتقديرات مختلفة تتفاوت بتفاوت العصور . وحتى يتسنى انشاء مجموعة بهذه الضخامة ، كانت المكتبة تأوى جيشا من الكتبة الذين كانوا يمضون حياتهم فى استنساخ المخطوطات الواردة من المكتبات الأخرى . ذلك ان بطليموس الأول ، حسبما تقول

الرواية الذائعة ، ارسل رسائل الى جميع ملوك وحكام العالم يطلب منهم فيها ان يعيروه مؤلفات « شعرائهم وكتابهم وخطبائهم وفلاسفتهم واطبائهم وكهنتهم ومؤرخيهم » . كما أن كل مصنف مكتوب كانت تحمله احدى السفن كان « يصادر » دائما لكى يجرى استنساخه ، لتغذية المجموعة التى كانت تسمى « مجموعة السفن » .

وفضلا عن ذلك كانت تحشد من كل شعب من الشعوب مجموعة من العلماء الذين كانوا لايقتصرون على اجادة لغتهم الاصلية فحسب بل كانوا يتقنون ايضا اللغة اليونانية اتقانا عظيما : وكان يعهد الى كل مجموعة منهم بالنصوص التى تخصهم لترجمتها وهكذا كانت تعد ترجمة من كل نص من النصوص على اختلاف لغاتها « وفى ذلك الوقت كانت هذه الشعوب متعددة ومتباينة للغاية ، حيث كانت الحضارة الاغريقية تمارس تأثيرها القوى على رقعة واسعة تمتد من جبل طارق حتى ضفاف السند ومن نهر الدانوب حتى صعيد مصر . وهكذا استدعى إلى الاسكندرية ـ عدد كبير من المترجمين وفقا للروايات التاريخية ـ ليقوموا بترجمة اسفار التوراة الى اللغة اليونانية ، فقاموا بهذه الترجمة فى اثنين وسبعين يوما . ولهذا سميت بالقراءة السبعينية للتوراة » . وللمرة الأولى فى التاريخ ، وربما الأخيرة ، كان زوار المكتبة يشعرون بذلك الشعور الرائع بأنهم يجدون فى متناول ايديهم جميع كتب العالم بأسره .

اختفاء المكتبة

ويدفعنا الشعور باحترام التاريخ الى التزام الحذر الشديد فيما يتعلق بالاسباب الحقيقية لاختفاء المكتبة ، التى ترجع فى اغلب الظن الى الحروب والغزوات وما اقترن بها من الحرائق . ففى عام ٤٨ قبل الميلاد قيل ان النار التى اندلعت فى سفن الاسطول المصرى الذى كان

يحاصر يوليوس قيصر الذى كان يحتمى بالقلعة ، امتد لهيبها الى المكتبة بفعل ريح الشمال وبعد بضعة اعوام نقل مارك انطونى ، على سبيل التعويض الى الاسكندرية ٢٠٠٠٠٠ لفة من المكتبة الوحيدة المنافسة لمكتبة الاسكندرية وهى مكتبة برجامون (بآسيا الصغرى) ثم اعقبت ذلك ـ ضمن احداث اخرى ـ الغزوات المتعددة على المدينة والتى قامت بها الملكة زنوبيا (٢٦٨) ثم الاباطرة الرومان اورليانوس (٢٧٣) ودقلديانوس (٢٩٥ ميلادية) والفرس (٦١٩) وعمرو بن العاص (٦٤٠) ثم الصليبيون وقد اقترنت هذه الغزوات فى أغلب الأحوال بعمليات السلب والنهب .

ولكن قد يمكن القول ايضا انه من المحتمل ان المكتبة قد اصبحت عتيقة عفا عليها الدهر ذلك ان لفات اوراق البردى تتلف سريعا بمرور الزمن كما ان استخدامها اصعب من استخدام مجموعات المخطوطات المدونة على اوراق مستطيلة الشكل والمغلفة بغلاف من الخشب او الجلد والتى تسمى « كوديكس » والتى ظهرت فى نهاية القرن الثالث بعد الميلاد . وعلى اى حال فانه حتى دخول العرب الذين جعلوا من الاسكندرية قلعة حربية ، كانت هناك مخطوطات يونانية مازالت موجودة نظرا لان مضمونها قد وصل الينا بفضل الترجمات التى قاموا بها لتلك المخطوطات الى اللغة العربية .

الحنين الى القديم

يهدف المشروع الحالى الى انشاء « مكتبة للاسكندرية » يمكن ان تضاهى فى العظمة مكتبة الاسكندرية القديمة التى كانت قائمة منذ قرابة الفى عام . ولما كانت المكتبة القديمة لم يبق منها اى شىء فان الموضوع المطروح ليس موضوع صون او ترميم بل هو موضوع احياء واعادة انشاء مركز ممتاز للتدريب والتأهيل موجه على الأخص نحو

مجالات المعرفة المتعلقة بالتاريخ والجغرافيا وبوجه أعم المتعلقة بحضارة الاسكندرية والمناطق المجاورة لها : اى بحضارة حوض البحر المتوسط والشرق الأوسط .

وستكون هذه المكتبة مزودة بأحدث الوسائل ولن تقتصر على استقبال عامة الجمهور ، بل ستستقبل ايضا الباحثين فى مجالات علوم الاثار والتاريخ والعمارة واللغات والفلسفة وعلم اللاهوت المسيحى وعلم الكلام الاسلامى والعلوم الطبيعية وغير ذلك من المجالات . وفضلا عن ذلك فانها ستشتمل على مركز لصون المخطوطات الاصلية المهددة بالتلف ، وتيسير الاطلاع عليها ولاسيما عشرات الآلاف منها ، التى يرجع عهدها الى العصور الوسطى والموجودة فى المساجد والمتاحف والاديرة والصوامع والتى لا يوجد لها حتى اليوم اى فهرس شامل .

وسينفذ هذا المشروع على عدة مراحل ، على ان يتم انجازه فى بداية القرن المقبل .

وقبل تنمية المجموعة الاساسية من كتب العلوم الطبيعية والطب التى تضمها مكتبة جامعة الاسكندرية فى الوقت الراهن ، سيجرى التركيز اولا على العلوم الإنسانية وستفتح المكتبة الجديدة ابوابها فى مبانيها الجديدة فى عام ١٩٩٦ بمجموعة اولية تقدر بـ ٢٠٠٠٠٠ مجلد ، ثم تنمى مجموعاتها تدريجيا ويتمثل الهدف فى الوصول الى ٤ ملايين مجلد ثم ٨ ملايين مع توفير امكانات التوسع فى البنى الاساسية وتزويدها بالمرافق التى اصبحت لاغنى عنها لمثل هذا المشروع .

قاعة المؤتمرات الكبرى

مكتبة الاسكندرية الجديدة التى بدأ تنفيذها تقع ضمن موقع كان يمثل الحى الملكى فى العصر البطلمى وتبلغ مساحته حوالى

٤٢ الف متر مربع ، وتم تخطيط وتصميم هذا الموقع ليكون مجمعا ثقافيا وحضاريا لمدينة الاسكندرية ، ويحتوى على قاعة المؤتمرات التى تم تنفيذ إنشاءاتها وافتتاحها ، الى جانب مبنى المكتبة .. والموقع مواجه لمنطقة السلسلة التى تطل على البحر مباشرة فى مدينة الاسكندرية .

خصص لقاعة المؤتمرات جزء من الموقع يبلغ مسطحه حوالى خمسة الاف متر مربع ، ويضم المبنى ثلاث قاعات للمحاضرات .. القاعة الوسطى سعتها ٥٠٠ مقعد . والقاعتان الجانبيتان تسع ٣٠٠ مقعد . وهذه القاعات مجهزة بكل الوسائل التكنولوجية الحديثة من حيث التأثيث الداخلى والاضاءة والتكييف المركزى واجهزة الانذار والدوائر التليفزيونية المغلقة . وكل قاعة تحتوى على خمس غرف للترجمة الفورية والسكرتارية وتحيط بالقاعات الثلاث افنية متسعة تصلح للمرور منها الى الخارج مباشرة .

القاعة الكبرى الرئيسية صممت لتسع ١٨٠٠ شخص ويتم الوصول اليها بما يحقق انسيابية الحركة فى الدخول والخروج لعدد كبير من الاشخاص . وقد تميزت القاعة بعدم وجود اعمدة داخلية حتى لاتعوق الرؤية من اى اتجاه . وهى تضم مسرحا مجهزا بكل التجهيزات الحديثة التى تسمح بإقامة المؤتمرات العلمية العالمية والقومية والعروض المسرحية والموسيقية والحفلات الفلكلورية وحفلات الباليه والاوبرا العالمية .

هذا المبنى يعتبر أحدث الانشاءات الحديثة فى مدينة الاسكندرية تمت اقامته على المستوى المعمارى العالمى ، بحيث يشكل علامة فنية فريدة ، ليس فقط للاسكندرية ، ولكن لجمهورية مصر ومنطقة الشرق الاوسط كلها .

متحف المجوهرات الملكية

من المعالم الحديثة ايضا فى مدينة الاسكندرية متحف المجوهرات الملكية فى منطقة زيزينيا . وهو يضم مجموعات من المجوهرات المصادرة والمرتبطة بتاريخ أسرة محمد على حيث خصص لها قصر فاطمة الزهراء احدى اميرات تلك الاسرة والقصر نفسه يعد فى حد ذاته تحفة فنية تتناسب مع المعروض من تلك المجوهرات .

وقد بنى هذا القصر على طراز المبانى الاوربية من الناحية المعمارية ، على مساحة قدرها بالحدائق المحيطة به ٤١٨٥ م٢ تقريبا . وهو يتكون من جناحين ، الشرقى يتكون من قاعتين وصالة فى صدرها تمثال صبى من البرونز ، يليه لوحة فنية من الزجاج الملون المعشق بالرصاص والمزين بمناظر طبيعية .

أما الجناح الغربى فيتكون من طابقين ، يشتمل الأول على أربع قاعات وصالة ودورة مياه . أما الثانى ، فيتكون من أربع قاعات ملحق بها ثلاثة حمامات كسيت جدرانها بترابيع القاشانى المزخرف بصور آدمية ورسوم نباتية .. ويربط بين جناحى القصر ، بهو داخلى يعد غاية فى الروعة لما يزخرفه من لوحات فنية تمثل عشرة أبواب من الزجاج الملون والمعشق بالرصاص عليها رسوم وقصص لمشاهد تاريخية أوربية الطراز .

وللقصر بدروم يتكون من ثلاث قاعات ومطبخ ودورة مياه ، وقد كان مخصصا للخدمات .

وقد شغلت قاعات القصر وابهاؤه ، بالعديد من اللوحات الفنية ، ذات المستوى الرفيع ، وحليت جدرانه وأسقفه بلوحات فنية زيتية تصور مشاهد وقصصا تاريخية ومناظر طبيعية متنوعة .

أما نوافذ القصر ، فقد زينت بلوحات فنية من الزجاج الملون والمعشق بالرصاص والتى تمثل أيضا قصصا تاريخية على الطراز الاوربى .

وأرضيات القصر ، من ترابيع من أخشاب القرو والماهوجنى والبلوط داخل اطارات من أخشاب البلسندر والورد والجوز التركى . وهى فى أغلبها مشغولة بأعمال الماركترى ، وتعد نموذجا فنيا فى تنسيقها وإبداعها وهى تمثل مع الحوائط المزخرفة والأسقف وحدة فنية متباينة فى انسجام .

معروضات المجوهرات

تم تقسيم القصر الى عشر قاعات ، تضم مجموعات من التحف والمجوهرات ، تخص أفراد أسرة محمد على ومن أهمها :

- **مجموعة تخص مؤسس الأسرة العلوية محمد على ، من بينها علبة نشوق من الذهب المموه بالمينا عليها اسمه (محمد على) .**
- **ساعات من الذهب وصور بالمينا الملونة للخديوى اسماعيل والخديوى توفيق .**

- **مجموعة تحف ومجوهرات الملك فؤاد وأهمها :**

(أ) مقبض من ذهب مرصع بالماس .

(ب) ميداليات ذهبية ونياشين عليها صورته .

(ج) تاج من البلاتين المرصع بالماس والبرلنت لزوجته الأميرة شويكار .

(د) مجموعة مجوهرات الملكة نازلى من أهمها حلية من الذهب مرصعة بالماس البرلنت .

■ **مجموعة تحف ومجوهرات الملك فاروق والملكة نازلى ومن أهمها :**

(أ) شطرنج من الذهب المموه بالمينا الملونة المرصع بالماس .
(ب) صينية ذهبية عليها توقيع (١١٠ من الباشوات) .
(ج) عصا المارشالية من الأبنوس والذهب .
(د) طبق من العقيق مهدى من قيصر روسيا .

■ **مجموعة الملكة صافيناز زوجة الملك فاروق ومن أهم قطعها :**

(أ) تاج الملكة من البلاتين المرصع بالماس البرلنت وتوكة من الماس البرلنت .
(ب) دبابيس صدر من الذهب والبلاتين المرصع بالماس البرلنت والفلمنك .

■ **مجموعة الملكة ناريمان ، ومن أهم قطعها :**

(أ) أوسمة وقلادات وميداليات تذكارية .
(ب) مسطرين وقصعة من الذهب استخدمت فى وضع حجر الأساس للمشروعات .

■ **مجموعات الأميرات فوزية أحمد فؤاد وفائزة أحمد فؤاد :**

(أ) مجموعة من الاساور والتوك ودبابيس الصدر من أهمها :
(١) توكة من البلاتين المرصع بالماس عليها اسم (فوزية) .
(٢) عقد ذهب مرصع بالماس البرلنت واللؤلؤ (فائزة) .

■ **مجموعة الأميرات سميحة وقدرية حسين كامل :**

مجموعة من ساعات الجيب من الذهب المرصع بالماس البرلنت والفلمنك وسوار ذهب مرصع بالماس البرلنت والفلمنك واللؤلؤ .

■ **مجموعة الامراء يوسف كمال ومحمد على توفيق :**

وتضم العديد من التحف والمجوهرات والأوسمة والقلادات والنياشين .

هذا بالإضافة الى مجموعات اخرى من المجوهرات التى تناولها العرض المتحفى ، فى اسلوب شيق ، واستعملت الاضاءة التى تعتمد على التوجيه الضوئي المباشر للقطع المعروضة دون التأثير عليها او تأثر المشاهد بها ، وقد زودت خزانات العرض بالبطاقات الشارحة باللغتين العربية والانجليزية .

قلعة قايتباى

أنشأ هذه القلعة السلطان الملك الأشرف أبوالنصر سيف الدين قايتباى الظاهرى ، الذى قدم الى مصر ولم يتجاوز العشرين من عمره ، فاشتراه الملك الأشرف برسباى وظل فى حاشيته حتى توفى فاشتراه السلطان جمقمق ، وظل يتقلد المناصب حتى وصل فى عهد السلطان تمريغا الى وظيفة أتابك العساكر ، فلما خلع السلطان تمريغا تولى بدلا منه قايتباى الذى لقب بالملك الأشرف وذلك فى يوم الإثنين ٢٦ رجب سنة ٨٧٢ هـ سنة ١٤٦٨ م .

وكان السلطان قايتباى محبا للفنون مغرما بالعمارة حتى انه كان يتخذ شادٍ للعمائر كوظيفة من وظائف الدولة وأشهر من تولاها قجماس الاسحاقى الذى باشر أعمال هذه القلعة وينسب الى السلطان قايتباى العديد من العمائر فى مختلف بقاع مصر وخارج ارضها ايضا .

وتعتبر قلعة قايتباى بالاسكندرية من أهم القلاع « الحصون الدفاعية » على ساحل البحر الابيض ، وقد أقيمت هذه القلعة فى مكان

منار الاسكندرية القديم عند الطرف الشرقى لجزيرة فاروس ذات الموقع الهام على مدخل الميناء الشرقى للاسكندرية ، وكان المنار القديم قد تهدم فى زلزال عام ٧٠٢ هـ أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذى امر بترميمه إلا انه لم يصمد إلا لبضع سنين حين تهدمت جميع اجزائه عام ٧٧٧ هـ - ١٣٧٥ م .

فى عام ٨٨٢ هـ - ١٤٧٧ م زار السلطان قايتباى مدينة الاسكندرية وتوجه الى موضع المنار القديم وامر بأن يبنى على أساسه القديم برج وهو ماعرف فيما بعد بقلعة قايتباى أو طابية قايتباى وقد فرغ من البناء بعد عامين من البدء فيه وقيل إن السلطان صرف على بناء هذا البرج زيادة على المائة الف دينار وأوقف عليه الأوقاف الجليلة وجاء من احسن الآثار .

تخطيط القلعة :

اقيمت هذه القلعة على مساحة ١٧٥٥٠ م٢ أى ما يزيد على أربعة أفدنة وقد بنيت على تلك المساحة أسوار القلعة الخارجية واستحكاماتها الحربية بينما بنى البرج الرئيسى فى الجهة الشمالية الغربية من تلك المساحة .

والبرج الرئيسى عبارة عن بناء ضخم من ثلاثة طوابق ويزيد ارتفاعه على سبعة عشر مترا وهو مربع الشكل طول ضلعه ٣ مترا وقد روعى فى تصميمه اتجاه أضلاعه الى الجهات الأربع الأصلية ، وهو مبنى بالحجر الجيرى الصلد ذى القطع الكبير واقيم فى أركانه الأربعة أربعة أبراج مستديرة ترتفع عن سطح البرج الكبير نفسه ويبلغ قطر كل من هذه الأبراج الأربعة ستة أمتار .

ويتوسط الضلع الجنوبى من البرج الرئيسى المدخل بعد أن سدَّ المدخلان الجانبيان وهذا المدخل عبارة عن دخلة كبيرة اتساعها ثلاثة

أمتار ترتفع الى نهاية الطابق الاول وتنتهى من أعلى بشكل عقد مدبب ويتوسط هذه الدخلة فتحة باب مستطيلة الشكل يكتنفها من الجانبين ومن أعلى ثلاث قطع من حجر الجرانيت الأحمر ، وعلى جانبى الباب يوجد مسطبتان من الحجر ترتفع كل منهما ٨٠ سم عن أرضية المدخل .

أما من الداخل فالبرج يتكون من ثلاثة طوابق يختلف كل منها عن الآخر اختلافا واضحا فى التخطيط والارتفاع ، فالطابق الأرضى يشغل معظمه المسجد والطابق الذى يليه به عدة حجرات مختلفة المساحة ربما كانت للسكنى اما الطابق الثالث فيتكون من حجرات صغيرة متشابهة يفصل بينها ممرات ومن المحتمل أنها كانت تستعمل كمخازن للأسلحة والذخيرة .

إنتشال آثار المدينة المفقودة

خلال الشهور القليلة الماضية جرت عمليات انتشال الآثار الغارقة فى البحر أمام قلعة قايتباى حيث تم انتشال حوالى ثلاثين أثرا مهما وتأجل انتشال مجموعات أخرى الى مواعيد لاحقة .

ويؤكد جون أيف امبرور رئيس البعثة الفرنسية أنه توجد مجموعة من التماثيل لأبى الهول واعمدة وتيجان اعمدة بالاضافة لوجود مجموعة من الاحجار الجرانيتية الضخمة التى قد تكون اجزاء من فنار الاسكندرية القديم الذى كان يتكون من ٣ طوابق وتعرض لهزات قضت عليه آخرها فى القرن الـ١٤ .

وكانت البعثة الفرنسية برئاسة جون ايف امبرور ومجموعة من الاثريين المصريين قد بدأت عملها فى مسح المنطقة اثريا منذ عامين وتحديد بعض القطع الغارقة .

فينوس إلهة الجمال

« لو كانت فينوس ـ إلهة الجمال ـ نفسها قد خرجت من بين الامواج لما احتفل بها المصريون مثلما احتفلوا فى الرابع من اكتوبر بعملية انتشال اول تمثال نصفى لها من الجرانيت الوردى يرقد منذ ٢٣ قرنا من الزمان بين انقاض مدينة الاسكندرية القديمة والتى كان البحر قد ابتلعها فظلت طوال هذه الاعوام الطويلة فى طى النسيان وظن العالم انه لم يعد لها اثر » تلك كانت مقدمة التحقيق المُصور الذى نشرته مجلة الاكسبريس الفرنسية فى عددها الاخير حول عملية انتشال آثار مدينة الاسكندرية القديمة .

وتقول المجلة ان الاسكندرية القديمة ، حلم الاسكندر الاكبر ، والتى بناها بطليموس ، هى اعظم المدن الأثرية على الاطلاق ومركز الاشعاع الثقافى لدول حوض البحر الابيض المتوسط فى ذلك الحين كما انها المدينة التى شهدت اشهر قصة حب فى التاريخ بين الملكة كليوباترا وانطونيو وحتى وقت قريب كان من المعتقد انها فقدت حين تآمرت عليها قوى الطبيعة والزمن وجنون الانسان فلم يبق لها أثر ولكن ها هى تبعث من جديد بأعمدتها وتيجانها وآلهتها الراقدة منذ قرون طويلة فى هدوء بين احجار فنارها الشهير على بعد عدة اقدام اسفل قلعة قايتباى الاثرية ، مختفية عن الانظار تحت مياه بحر غاضب احيانا وحانٍ احيانا اخرى فلم تفق من نعاسها الا فى عام ١٩٦١ عندما اكتشف بحار مصرى يدعى كمال ابوالسادات تمثالا ضخما لايزيس واستطاع ان يقنع البحرية بانتشاله من المياه وبعد ٨ اعوام طلبت منظمة اليونيسكو من خبيرة الاثار البحرية الشهيرة هونز فروست ، الانجليزية المستشرقة تولى عملية البحث عن المدينة المفقودة .. وعن هذه المهمة تقول فورست : إن الغوص فى هذه المنطقة كان محظورا لاسباب عسكرية ، وانها قد وجدت نفسها فجأة امام

كومة من التماثيل المزخرفة والمسلات المكتوب عليها باللغة الهيروغليفية والعديد من الاعمدة الضخمة ، ومن حولها تسبح الاسماك .. وفى ١٩٩٣ قررت السلطات المصرية القيام بعملية انقاذ لتلك الاثار الغارقة ليبدأ التنفيذ فى خريف ١٩٩٤ بالتعاون مع المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ومؤسسة الف ووكالة الصور جادييون .

وتصف المجلة الفرنسية الموقع بأنه ليس له مثيل فى اى مكان فى العالم فعلى مساحة ٢ هكتار هناك الاف من الكتل التى كانت تشيد بها مبان شديدة الضخامة وفى المنتصف عشرات الاطنان من الاحجار المنحوتة والتى كانت يوما تكوِّن فنار الاسكندرية الشهير .

ومن أهم الآثار التى تم انتشالها من البحر امام قلعة قايتباى تمثال ضخم للملك الفرعونى بسماتيك يرتدى الازار الملكى بدون رأس وقدمين واضعا يديه بجانبيه وعلى اكتافه يتدلى الجزء المتبقى من غطاء الرأس الملكى .. ويبدو واضحا من خلال وقفته وضخامة حجمه ان وزنه حوالى ١٢ طنا وطوله ٤,٥ متر وقد تم انتشاله من عمق ٧ امتار على مسافة عشرة امتار من سور قلعة قايتباى .

وقد تم ايضا انتشال الاجزاء المتبقية من التمثال وهى رأسه وقدماه على مسافة منه تحت سطح الماء .

اما القطعة الثانية التى تم انتشالها فهى جزء ضخم جدا من عامود على الطراز الفرعونى يبلغ طوله اكثر من ٣ امتار وقطره متر ونصف المتر على شكل مجموعة من النباتات المعروفة عند الفراعنة مثل اللوتس تحلى قاعدته وقمته .. وهو نموذج لعامود فرعونى جميل من الجرانيت الاحمر وهو بحالة جيدة جدا ، وقد تم انتشاله من عمق ٧ امتار بواسطة الونش البحرى ورفعه الى رصيف بحرى متحرك تم

وضعه جانب الونش لتيسير عملية الانتشال فى نفس موقعه ويبلغ وزن العامود حوالى ٧ اطنان .

وكانت المفاجأة فى انتشال تمثال نادر جدا لابى الهول ، ولا يوجد له اى مثيل ولايحمل اى كتابات ويبلغ طول التمثال حوالى المتر ووزنه طن ، ولكنه بدون رأس من الجرانيت الوردى ، كما يقول **جون** أيف امبرور رئيس البعثة الفرنسية .

والقطعة الثانية هى تاج عمود نباتى نادر ضخم مصور عليه مجموعة من النباتات النيلية على شكل وحدات والقطعة من الجرانيت الوردى ولايقل وزنها عن نصف الطن .. ومن المؤكد انها كانت جزءا من احد المبانى الضخمة بالمنطقة وعثر عليها بعيدا مما يشير الى وجود معبد ضخم بالمنطقة .

والقطعة الثالثة هى قطعة من الرخام الابيض تحمل ثلاثة حروف كبيرة تؤكد انها كانت لافتة لمبنى كبير بطلمى والقطعة طولها متر ونصف المتر والحروف مكتوبة باللغة الاغريقية بارتفاع ٤٠ سنتيمترا وبالقطعة فجوات تؤكد انها كانت لمسامير برونزية ، اما آخر قطعة فقد كانت كتلة حجرية ضخمة من الجرانيت يرجح انها كانت عتبة او افريزا لمبنى ضخم مساحتها لاتقل عن ١,٥×٢ متر ووزنها طنان .

وقد تم انتشال حوالى ٦ تماثيل لأبى الهول من عصور مختلفة فى حالات جيدة بعضها برأس والبعض الآخر بدون وعن سبب وجودها فى هذا الموقع يقول الاثرى احمد عبدالفتاح مدير عام اثار غرب الدلتا : إنه عثر على نص يونانى قديم يقول ان (دروموس) وهو طريق ابوالهول كان موجودا بالسرابيوم القديم وتذكر المصادر العربية ان

حاكم الاسكندرية ابان عصر صلاح الدين الايوبى قد قام بإلقائهم فى البحر لحماية المدينة ولم يتبق بالسرابيوم سوى ٦ منهم .

اما تمثال الملك الضخم بطليموس الاول فهو يعتبر اعظم اثر لاول ملك بطلمى لمصر لامثيل له وهو اضافة تاريخية هامة .

كما انتهت البعثة من انتشال قطعة تمثل للاثريين بالاسكندرية اهمية خاصة فهى تاج للإله ايزيس من الجرانيت الاحمر يزن حوالى ٥ اطنان على شكل قرون الإله حتحور اله الجمال بينها قرص الشمس كما توجد ريشتان بجانب القرنين واضحتان جدا ويبلغ طوله ١,٢٠ متر وتعتبر قطعة فريدة من نوعها حيث لايوجد لها مثيل بالاسكندرية وهى تختلف عن الاخرى الموجودة لدينا ، وتمكنت البعثة من انتشال قطعة هامة هى عبارة عن كتلة حجرية تمثل قاعدة مسلة نادرة للملك سيتى الاول وهى من حجر الكوارتز وتزن حوالى ٤ اطنان وطولها ١,٧٠ متر وارتفاعها ١,٥٠ متر وعليها نقوش ورسومات هيروغليفية واضحة للملك سيتى الاول وهى عنصر هام لدراسة نقل المسلات من هليوبوليس القديمة الى الاسكندرية وقد لوحظ انه يوجد بالمدينة اكثر من اثر لسيتى الاول كما تم انتشال قطعة حجرية صغيرة عليها نقش للملك رمسيس الثانى من الجرانيت الاحمر وقطعة اخرى لوجه مساحتها ٧٥×٤٠سم عليها نقش لجزء من اقدام ملك وهى من الجرانيت ولوحة أخرى عليها نقش غائر لذراع من نفس الحجم كما تم انتشال جزء من تمثال ضخم وهى عبارة عن ساق وقدم قد تكون خاصة بالتمثال البطلمى الذى تم انتشاله من قبل .

شواطىء الاسكندرية

تمتد شواطىء المدينة على طريق ساحلى طويل طوله ٧٠ كم وتتميز برمالها الناعمة ومياهها الشفافة فى الشواطىء الممتدة وأهمها :

المعمورة ، المنتزه ، العصافرة ، ميامى ، سيدى بشر ، الشاطبى ، سان استفانو ، جليم ستانلى ، كليوباترا ، رشدى ، سيدى جابر ، سبورتنج ، الابراهيمية ، وكلها تمتد على طول الكورنيش أما على امتداد الحدود الغربية للمدينة فتقع ضاحية العجمى وهانوفيل غربا وضاحية أبو قير شرقا .

وتمتاز شواطىء الاسكندرية بالخلجان الطبيعية حيث تتعاقب الشواطىء الذهبية وتتلاقى الرمال الناعمة بمياه البحر الصافية على طول الشاطىء الذى يتجاوز ٣٠ كم .

الساحل الشمالى :

تعتبر مدينة الاسكندرية منطلقا لرحلات ممتعة نحو المناطق السياحية الواقعة غرب الاسكندرية والممتدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط بالاضافة الى العديد من القرى السياحية من بينها قرى مراقية وماربيللا والمنتزه وقرية الدبلوماسيين وأساتذة الجامعة .. وأهم الشواطىء :

● شاطىء سيدى كرير :

بلاج خاص يقع على بعد ٣٤ كيلو مترا غربى الاسكندرية ويمتد المصيف على طول ٣ كيلو مترات على ساحل البحر ، وقد أنشئت به حديثا قرية سياحية نموذجية وكازينو سياحى .

● شاطىء العلمين :

تقع منطقة العلمين على بعد ١٠٤ كيلو مترات غربى الاسكندرية على الطريق الممهد الموازى لساحل البحر المؤدى إلى مرسى مطروح .

ومن أجمل ما يميز المنطقة ذلك الهدوء الشامل ، وتلك الطبيعة الخلابة ، ومناخها الرائع الذى يفوق فى اعتداله مناخ أية منطقة أخرى فى العالم .

وللعلمين شهرة تاريخية كبيرة ، فقد شهدت أعنف معركة من المعارك الأفريقية التى دارت أثناء الحرب العالمية الثانية ، وراح ضحيتها أكثر من ثمانية آلاف جندى من قوات الحلفاء بقيادة مونتجمرى وقوات المحور بقيادة روميل .

مرسى مطروح

أما مرسى مطروح فهى ميناء صغير يقع على بعد ٢٩٠ كيلو متراً ، غرب الاسكندرية ويمتاز شاطئها الذى يمتد حوالى سبعة كيلو مترات برماله الناعمة البيضاء ، ومياهه الشفافة الهادئة ، إذ تحميه سلسلة من الصخور الطبيعية الممتدة فى البحر بمحاذاة الشاطىء ، وقد أجمع كل من زاره على أنه من أجمل شواطىء العالم .

وأماكن الزيارة فى مرسى مطروح هى :

□□ بلاج الأبيض ، ويقع غرب مرسى مطروح ويمكن الوصول إليه بالسيارات .

□□ معبد رمسيس الثانى ويقع على بعد ٢٤ كيلو متراً غرب مطروح والوصول إليه بالسيارات .

□□ بلاج مدينة النصر ويقع على بعد عشرة كيلو مترات شرق مدينة مرسى مطروح .

□□ حمام كيلوباترا ويقع على بعد سبعة كيلو مترات غرب مرسى مطروح . وهو عبارة عن صخرة فى البحر على بعد خمسين متراً من الشاطىء . والوصول إليه بالقارب ذى المحرك أو القارب الشراعى ، كما يمكن الوصول إليه براً سيراً على الأقدام أو بالسيارة .

مخبأ روميل :

وهو كهف محفور فى الصخور . وكان القائد الألمانى يخلو فيه إلى نفسه لوضع الخطط الحربية .

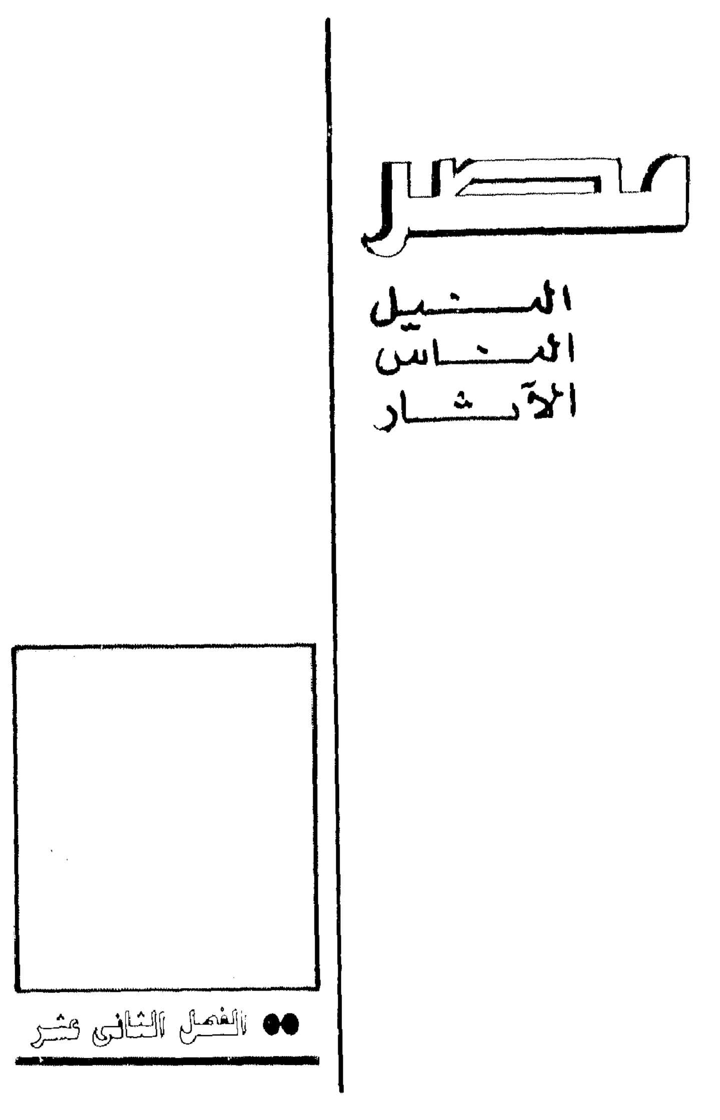
● **عجيبة :**

شاطىء جميل على بعد ٢٨ كيلو متراً غربى مرسى مطروح ويمتاز بالكهوف الطبيعية ، والمناظر الخلابة التى كانت السبب فى إطلاق اسم « عجيبة » على الشاطىء .

● **رأس الحكمة :**

على بعد حوالى ٨٥ ك . م شرق مطروح ويمتاز بجمال شاطئه وهدوئه .

ويمتد الساحل الشمالى من الاسكندرية غربا حتى آخر الحدود المصرية عند السلوم بطول ٦٥٠ كم . وتزداد الأهمية الاقتصادية للإقليم بسبب الاحتمالات المبشرة بتفجر البترول فى الصحراء الغربية كما ان مشروع توليد الكهرباء من منخفض القطارة سيكون له أثره فى ازدهار الإقليم اقتصاديا مما يدفع حركة التعمير ويساعد على تركز السياحة فى الشاطىء الشمالى الغربى .



واحة سيوة

تبعد عن مرسى مطروح بمسافة ٣٠٠ كم جنوباً ويمكن الوصول إليها بطريق السيارات من مرسى مطروح .

وأهم أماكن الزيارة بواحة سيوة :

□□ جبل الموتى وبعض المومياوات القديمة .

□□ قاعة تتويج الاسكندر الأكبر .

□□ معبد آمون .. وهو الذى نسب إليه اسم « واحة آمون » .

ظلت الواحة تحمل هذا الاسم حتى جاء العصر البطلمى فأطلق عليها اسم « جوبتر Jupiter » وهو اسم أحد آلهة الرومان . أما فى العصور الوسطى فقد أطلق عليها اسم Santarih . وأسماها العرب بعد ذلك « الواحة الأقصى » وقد ذكرها المقريزى فى كتبه وقال عنها : « وكان يسكنها جماعة من البربر تسمى « السيوى » وهو يتكلمون السيوية .. ومنذ ذلك الوقت عرفت باسم (سيوة) ..

دخلها العرب فى القرن التاسع الميلادى ، على الرغم من دخول عمرو ابن العاص مصر عام ٦٤٠ م إلا أنه لم يصل إليها .. ، ومر قريبا منها الفاتح العربى موسى بن نصير متجها إلى الشمال الإفريقى والأندلس ولكنه لم يصل إليها ..، وبذلك لم تخضع تماما للحكم الإسلامى إلا فى أواخر العصر الفاطمى أى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى .

سكنها خليط من المصريين ، والبربر النازحين من الغرب ، والسودانيين القادمين من الجنوب ، وهم يتحدثون ـ حتى الآن ـ اللغة السيوية التى هى خليط من اللغة البدوية والبربرية وتختلط بها بعض الألفاظ العربية .

سيوة .. بورتريه جغرافى :

تعتبر سيوة أحد المنخفضات فى الصحراء الغربية فمنسوبها يقع تحت مستوى سطح البحر بحوالى ٣٤ مترا ، ويقع على خطوط ٣٠ ـ ٣٥ شرقا وعلى خط عرض ١٢ ـ ٢٩° شمالا . وتبعد عن مرسى مطروح حوالى ٣٣٠ كم فى اتجاه الجنوب الغربى . وتبعد عن القاهرة بحوالى ٨٠٠ كم . ومناخها دافئ فى فصل الشتاء حتى أواخر فبراير ، وتأخذ درجات الحرارة فى الارتفاع من مارس حتى تبلغ أقصاها فى يوليو وأغسطس . أما الأمطار فهى شتوية نادرة .

ومدينة سيوة هى المركز الإدارى للواحة ، ويتبعها كثير من القرى والنجوع لعل أهمها قرى : (خمسية ، المراقى ، أغورمى ، قريشيت ..، أبو شروف ، الزيتون ، جارة أم الصغير ..) وتحتوى كل قرية على عدد من المدارس ، ووحدة ريفية ، ومركز شباب كما يوجد فى مدينة سيوة مستشفى عام كبير .

حتى عام ١٩٦٠ لم يكن هناك سوى مدرستين تستقبلان عدداً محدوداً من التلاميذ . بالواحة الآن خمس عشرة مدرسة للتعليم الأساسى فضلا عن مدرسة ثانوى عام وأخرى ثانوى تجارى . وتزهو سيوة بـ ٥٩ خريجا جامعيا من أبنائها تخرج أولهم عام ١٩٧٢ هؤلاء الجامعيون ممثلون لشتى التخصصات فمنهم طبيب وصيدلى و٣ خريجو تجارة ، وخريجة زراعة ، ٤ آداب وهندسة ..

وتعتبر مدينة سيوة ، الواقعة فى أقصى شمالى الصحراء مهمة وممتعة من حيث الطراز المعمارى الذى كان يسودها فى العصر الوسيط . فقد استعمل أهلها فى البناء الطين الذى كان يحتوى على نسبة عالية من الملح . وتمكنوا رغم ذلك من إقامة أبنية يصل ارتفاعها الى ثمانى طبقات أحيانا ، وتبدو تلك الأبنية للناظر من الخارج مقفلة ومترابطة بحث يبدو وسط المدينة مغطى بتلك الابنية العالية . وهكذا فإن الحركة والتواصل داخل المدينة كانا يتمان من خلال أنفاق طويلة ومظلمة ، ولا يخفف من ظلامها غير بعض الفتحات لدخول النور . وماكان بوسع الغريب أن يدخل إلى المدينة إلا عبر أبواب السور المحروسة جيداً .

على أن وسط مدينة سيوة يتداعى وينهار منذ أربعينات هذا القرن . ومن خلال الخرائب والبقايا فقط ، يستطيع المشاهد الخبير أن يكتشف روعة الطراز القديم ، وأن يعيد تركيبه .

يبلغ تعداد الواحة (٣٠,٠٠٠) نسمة . يعملون فى الزراعة التى تقوم حول عيون الماء المتفجرة فى الصحراء ومن أهم هذه العيون (عين الزيتون ، عين المراقى عين الدكرور ، عين الخريشات ..) وبعض هذه العيون يصل إنتاجها من المياه إلى ٢٠,٠٠٠ م٣ يومياً (عين قريشيت) ، ٢٠,٠٠٠ م٣ يوميا (عين أبوشروف) وهذه المياه صالحة للزراعة حيث لا توجد بها سوى نسبة قليلة من الملوحة .

أجود أنواع التمور تجود بها غابات النخيل الممتدة على اتساع الواحة . فهناك أكثر من مائتى ألف نخلة بين سامقة وقصيرة ، ولكنهـا مثقلة بسباطات البلح المتميز بمذاقه الحلو . كما أن الواحة بها أكثر من ٣٠ ألف شجرة زيتون مثمرة لأطيب أصناف الزيتون متناثرة بين (الحطايا) وهى مزارع النخيل والزيتون .

وتمتاز الواحه بخصوبة التربة . وعيونها تمنحها مياها عذبة وفيرة تكفى ـ إلى جوار مايستهلكه سكانها ـ لرى آلاف الافدنة ، ومن العجيب ـ كما يقول العميد عبدالوهاب طاحون رئيس مجلس مركز ومدينة سيوة ـ أن الصحراء حولها تشكو من ندرة وجود المياه . على حين نحن فى الواحة نشكو من كثرتها . فقليل من مياه العيون يستهلك فى الزراعة والكثير يهدر فى الملاحات . بل إن سيوة مهددة من مياه الصرف وارتفاع منسوب المياه الجوفية .

تقاليد وعادات

على عادة الإغريق حين كان أبطالها يقصدون معبد (دلفى) فى جبل (الأوليمب) لاستكناه المجهول من المستقبل ، قصد الاسكندر معبد آمون فى واحة سيوة فى بداية عام ٣٣١ ق . م . كما يروى المؤرخون ، وعلى حد تعبير المؤرخ الفرنسى (جوتييه): [.. كان لوحى آمون شهرة كبيرة قبل ذلك بعدة قرون ، وكان هذا الوحى ذائع

الصيت فى بلاد الاغريق ، مما حدا بالاسكندر الى الذهاب لرؤية آمون رب سيوة ليستلهمه حول مصير العالم ..] ..

منذ ذلك التاريخ كثر المنجمون والسحرة من الرجال والنساء فى سيوة ، وأهل سيوة يعتقدون فى أهمية الرقى والأحجبـة والتمائم التى تقى الانسان شر الحسد والمصائب . ولديهم لكل مرض حجاب خاص . ولهم أيضا وسائلهم فى الطب البدائى . ولديهم ولع شديد بالموسيقى والغناء . وتسمع أغانيهم الشجية فى المزارع من مسافات بعيدة خاصة عند صفاء الجو وسكون الرياح .. ويمزجون الرقص بالغناء فى احتفالاتهم ويصفقن بأيديهم فى وقت واحد لتنظيم وتوقيع حركات الرقص الذى ينتمى إلى فولكلور شديد الخصوصية والتمايز .

ومن أهم العادات والتقاليد ما يتم عند ولادة الطفل ، فبعد ولادته بأسبوع يتم عجن الحنة ويضعون نقطة منها مابين حاجبى المولود . ثم تأخذ البنات جرة مليئة بالماء ويصعدن إلى سطح المنزل . ويتركن الجرة هناك إعتقاداً منهن أن ذلك يطيل العمر .

وكانت الفتاة تتزوج فى سن التاسعة ثم بدأ معدل سن الزواج يرتفع الى ١٤ ، ١٥سنة .. والفتاة التى لا تتزوج فى هذه السن .. تصبح عانسا ..!! وربما يتم تزويجها إلى أرمل .. مثلا !!

الجارة .. أم الصغير :

هذا هو اسمها .. قرية صغيرة تقع على بعد ١٣٠ كم من مدينة سيوة .. والمسافة على قصرها ، قطعتها السيارة بنا فى ساعات سبع عبر طريق ملتو ، سىء التضاريس ، غير معبد .. ورغم صعوبة الوصول اليها ، وعناء الرحلة الذى أشفق علينا منه مرافقنا .. الا أننا أصررنا على زيارة هذه القرية التى تضم أصغر مجتمع فى العالم

تقع هذه القرية الى الشمال الشرقى من مدينة سيوة وعلى حافة (منخفض القطارة) وهى مبنية على ربوة مرتفعة يصعد إليها القادم بسلالم منقورة فى الصخر ومنزلقة .. ولها مدخل واحد حصين .. [.. ككل القرى التى كانت تتعرض للغزو والنهب من بدو الصحراء وغاراتهم ..] ويوجد بالقرية مسجد قديم وبئر يمد الأهالى بالماء .. وهم اشد اعتدادا بلغتهم السيوية . وبالقرية آثار لمدينة قديمة وشوارعها حصينة وخفية .. ويمكن للأهالى رؤية القادم الغريب قبل أن يصل اليهم وهو مازال على مسافات بعيدة ..

ظلال تاريخية .. وآثار :

يروى المؤرخ نيقولا جريمال فى كتابه (تاريخ مصر القديمة) أن قمبيز الثانى (حاول الاستيلاء على النوبة والواحات عام ٥٢٤ ق . م .وكان الهدف من حملته التى بلغ قوامها ٥٠ الف جندى هو السعى وراء وحى آمون تثبيتا له فى زعامة مصر ، وهو ما فعله الإسكندر الأكبر فى وقت لاحق وانتهت حملة قمبيز الى سيوة بكارثة .. حيث فقد جيشه الجرار .. ويخيل لعلماء الآثار بين الفينة والفينة انهم كشفوا عن بعض ما خلفه من أثر تحت رمال الصحراء ..)

وكما ابتلعت منطقة (بحر الرمال الأعظم) الممتدة من جنوب سيوة حتى العوينات جنوب مصر جيش قمبيز ، ابتلع التاريخ الكثير من المعالم الأثرية فى صحراء مصر الغربية ولم تبق إلا شواهد منها .. والكثير الكثير لم يكتشف بعد ..

ومن الآثار القديمة التى انتثرت فى سيوة (معبد آمون) فى منطقة (أم عبيدة) ويقع على مسافة قصيرة من (صخرة أغورمى) التى بنى فوقها معبد التنبؤات وهذا المعبد بنى فى عهد الأسرة السادسة والعشرين . والأجزاء المتبقية منه مازالت تحتفظ بنقوش

زاهية الألوان واضحة ، تمثل مواكب الآلهة وهى تقدم فروض الولاء لآمون العظيم .. إله سيوة .

وفوق (صخرة أغورمى) أقيم (معبد آمون للتنبؤات) ، وحتى الآن لم يتم اكتشاف المعبد بأكمله . فمازالت بقية أجزاء المعبد تحت أطلال مدينة سيوة القديمة المعروفة باسم (شالى) . وتقول بعض المصادر إنه بدىء العمل فى بناء هذا المعبد فى عهد أحمس الثانى (أمازيس) ولكن الإسكندر أكمل بناءه . وترجع أهمية هذا المعبد الى شهرته فى التنبؤ بالمستقبل . وكان هذا شائعا فى العالم القديم . ويقال انه فى إحدى قاعاته وهى (قاعة التتويج) تم تتويج الاسكندر ، إبنا لآمون ، من قبل كهنة الإله العظيم .

أما « جبل الموتى » فيبعد حوالى ميل ، شمال شرق مدينة سيوة ، وتوجد فى باطنه مقابر عديدة منحوتة داخل صخوره ذات قيمة أثرية كبيرة . اكتشف من هذه المقابر مقبرة (تى ـ بير باتوت) ، ومقبرة (سا ـ آمون) وغيرهما ، ومازالت تلك المقابر تحتفظ بنقوشها الزاهية والكتابات والرسوم الفرعونية التى تعتبر آية من آيات الفن والتاريخ .

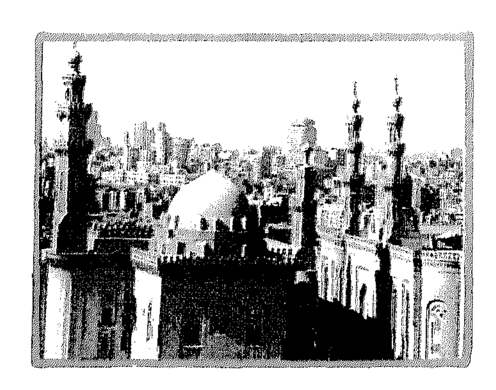
وعلى بعد قريب من سيوة توجد واحة الأعرج وبها مجموعة أخرى من المقابر الأثرية ذات القيمة التاريخية . وفى قرية المراقى عثر على عدد من الآثار التى تم نقلها إلى المتاحف لعل أهمها تمثال على هيئة أبى الهول من العصر البطلمى ، محفوظ الآن فى المتحف اليونانى بالاسكندرية .

قبر الاسكندر

جرت محاولات كثيرة للبحث عن قبر الاسكندر الذى يقال انه دفن فى سيوه عند معبد آمون .. وكانت آخر هذه المحاولات ما قامت به

البعثة اليونانية للآثار التى عثرت على قبر كبير به ساحة كبيرة وأعمدة وقبر رخامى فخم وأعلنت أنها عثرت على قبر الاسكندر . وقد جرت دراسات كثيرة حول ما تم اكتشافه لم يثبت خلالها أن القبر هو للاسكندر المقدونى وإنما هو لبعض الكبار من العصر الرومانى .. ومع هذا فلا تزال المحاولات والجهود مستمرة .. ومن يدرى .. !؟

هل يمكن أن يكون الاسكندر قد دفن بالفعل فى واحة سيوة .. أم سيتم العثور عليه فى أى مكان آخر من الاسكندرية .. المدينة التى أنشأها ونسبت إليه .. ؟!



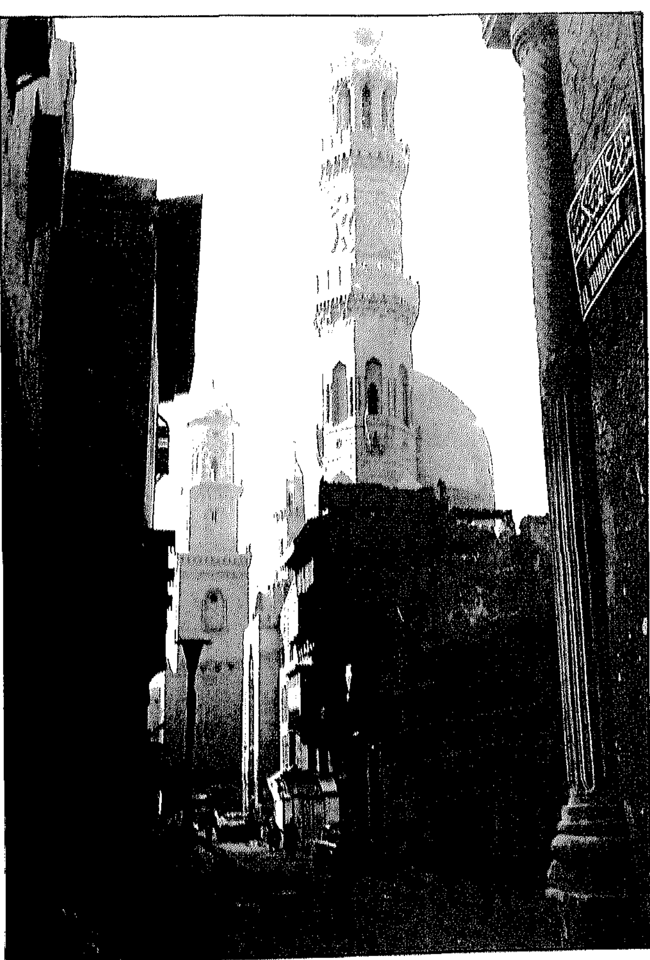
مصر

النيل
الناس
الآثار

● مشهد عام لمدينة القاهرة ذات الالف مئذنة .. ومسجد محمد على بمآذنه وقبابه والقائم فى قلب ساحة قلعة صلاح الدين المشرفة على القاهرة .



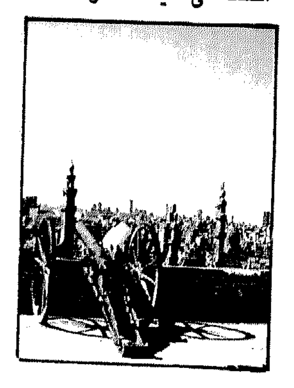
● احد أبواب قلعة صلاح الدين من حيث يمتد سور القاهرة الذى تبدو أجزاء منه وفى أقصى اليسار مئذنة مسجد سيدى سارية العثمانى .



● مآذن مساجد مصر المملوكية ومدخل شارع التمبكشية يعطى صورة لشوارع القاهرة القديمة .

● نمـوذج مـن المشربيـات والصنـاعات الخشبيـة الارابيسك التـى تخفـى واجـهـات البيـوت بالوحدات الزخرفية التى تعتمد على التطعيم .

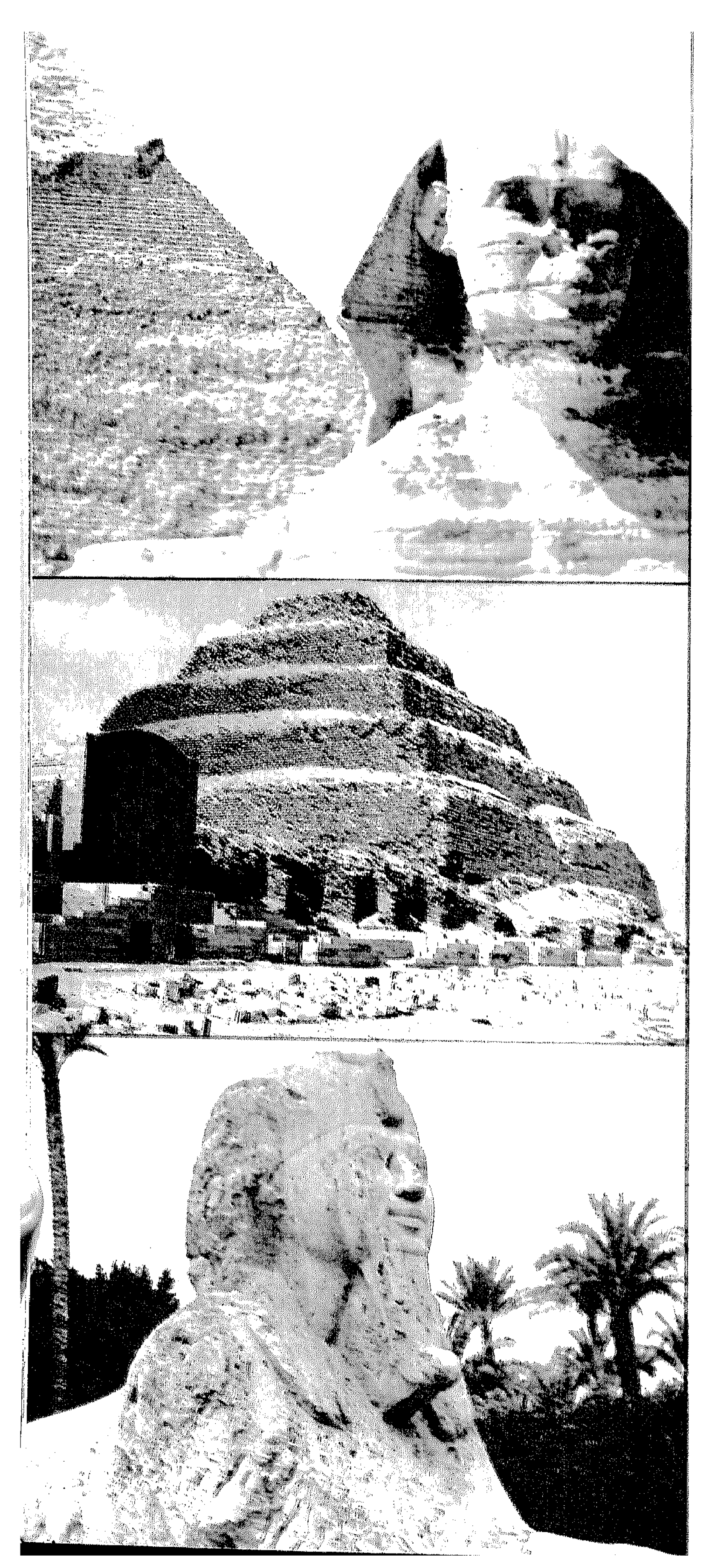
● مدفع قديم يطل من سـور القلعة على مدينة القاهرة .



● فى وكالة الغورى تقوم طـالبات الفنون الجميلة برسم لوحات للمبانى فى القديمة .. ونظرات تامل عميقة .



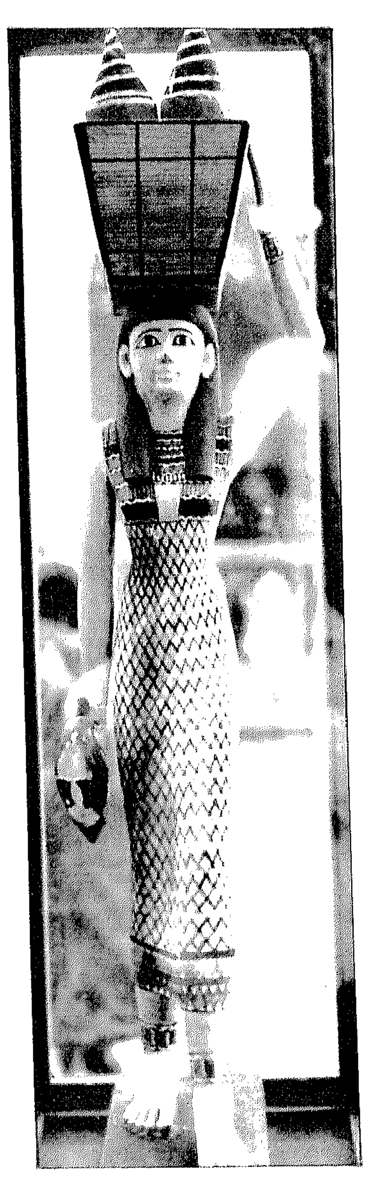
● مدخل المتحف القبطى بمصر القديمة .. وفى ساحته نافورة وتمثال لمرقص باشا سميكة الذى أقامه وعلى الجانبين تمثالان لاسد القديس مرقص .. ويتوسط المتحف ست كنائس قديمة ذات اهمية ابرزها الكنيسة المعلقة وسانت بربارة ومارجرجس وقصرية الريحان ويضم المتحف معالم كثيرة من الآثار القبطية سواء من الكنائس او القصور او البيوت القديمة كما يضم مجموعة من الايقونات والمحفوظات الفريدة .



● ابو الهول يطل من عليائه ومن خلفه هرم خفرع صاحب الهرم وتبدو بقايا الكسوة التي كانت تغطي جوانب اهرامات الجيزة

● هرم سقارة المدرج الذي اقامه الملك زوسر بمدرجاته الستة وقد صمم هذا الهرم المهندس العبقري الشهير امحتب وتبدو بقايا السور الذي يمتد من الشمال الى الجنوب وهو يعتبر اول هرم حقيقي في تاريخ العمارة المصرية

● تمثال من المرمر يمثل رمسيس الثاني في شكل ابو الهول وقد عثر عليه مدفونا في بقايا مدينة رهينة الاثر الباقي من العاصمة منف



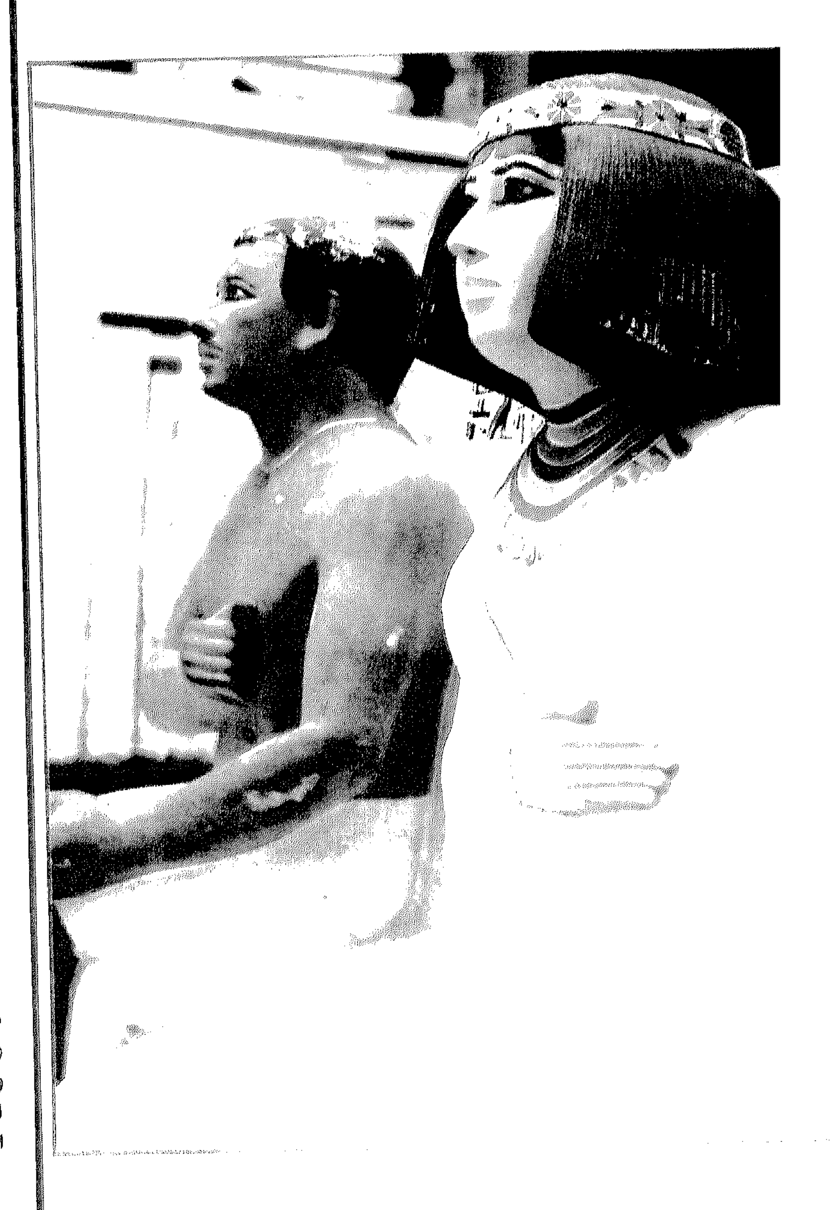
● تمثال حاملة القربان تحمل الخبز و الجعة و الطيـور من الخشب المجصص الملـون من اواخر الأسرة الحادية عشرة .



● بعض تماثيل الآلهة المصرية القديمة بينها تمثال الإلهة حورس برأس الصقر الى اقصى اليمين .

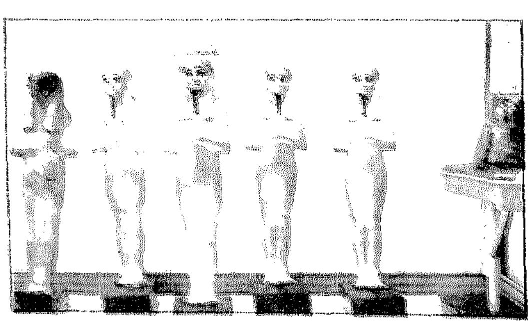
● جنود مسلحون بحراب من المشاة وتبدو دقة النظام وما تبدو عليه التماثيل الصغيرة من الحيوية والصدق .. وقد عثر على هذه الصفوف من الجنود في مقبرة مسحتي احد امراء اسيوط .



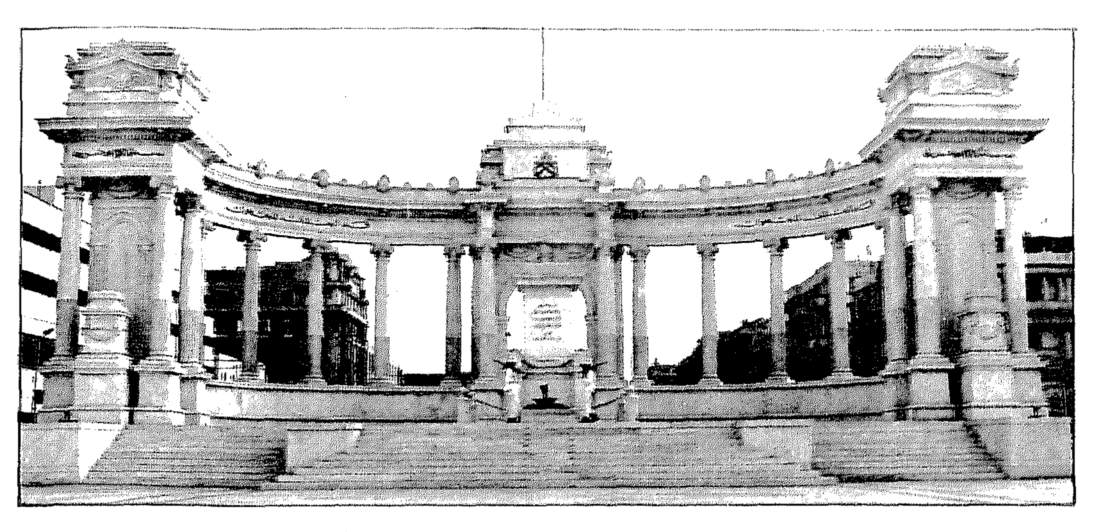


● اشهر تماثيل الدولة القديمة وهما تمثالا الامير رع حتب الذى كان رئيسا لكهنة هليوبوليس وزوجته نفرت إحدى اميرات الاسرة المالكة .. والتمثالان من الحجر الجيرى الملون ولونهما محفوظ بدرجة مدهشة وعيونهما المطعمة صنعت بدقة وإتقان وقد وجدا فى ميدوم ويرجع تاريخهما الى أوائل الاسرة الرابعة .

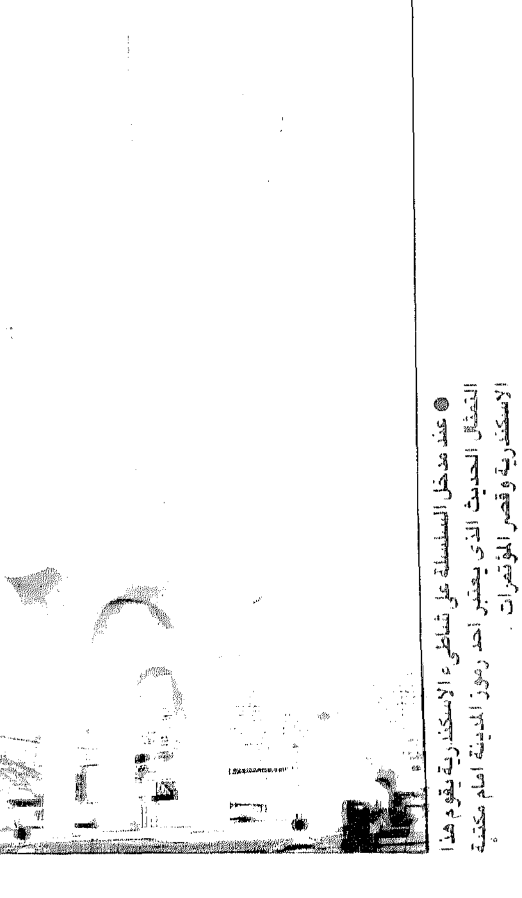
● تمثال الملك رمسيس الثانى العملاق الذى عثر عليه فى ميت رهينة وقد ترك فى مكانه و احيط بجدران متحف خاص حيث يدور السائحون لمشاهدته .



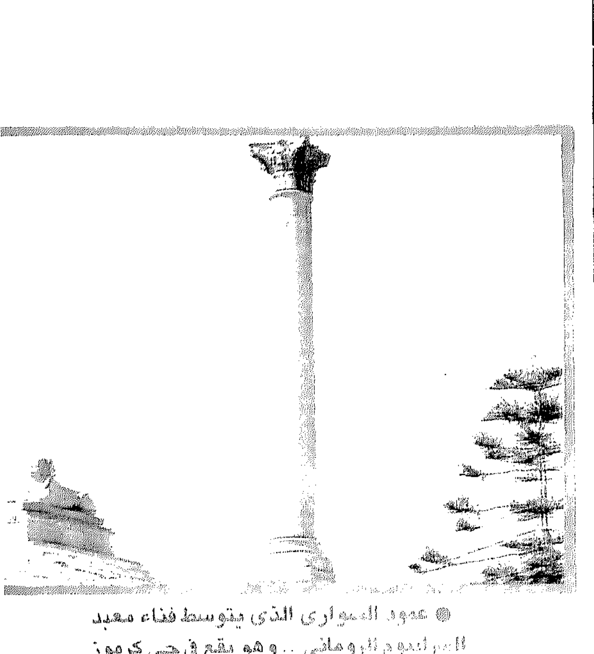
● مجموعة من تماثيل الآلهة القديمة مصنوعة من الذهب ومعروضة فى قاعات توت عنخ امون فى المتحف المصرى .



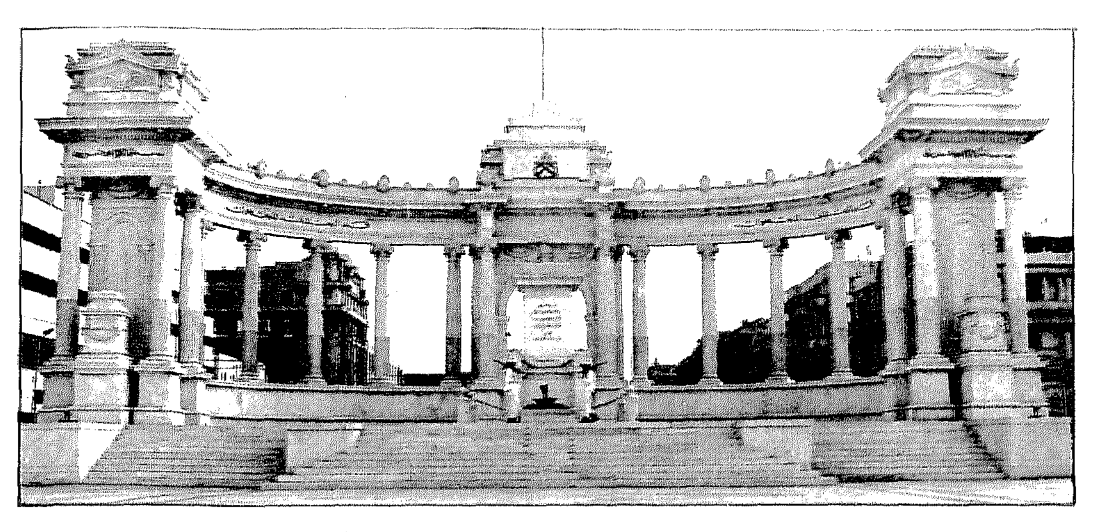
● النصب التذكارى للشهداء فى الاسكندرية حيث قبر الجندى المجهول .



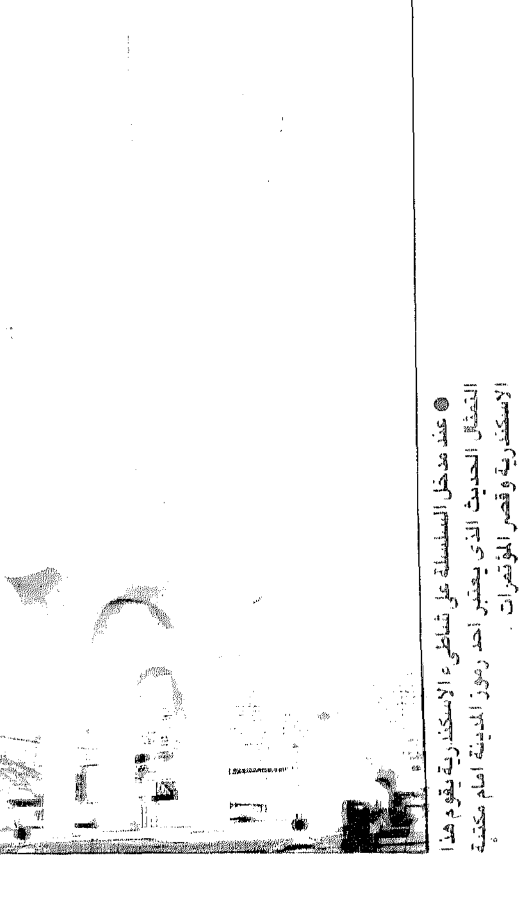
● عند مدخل السلسلة على شاطئ الإسكندرية يقوم هذا الحفل الحديث الذى يعتبر احد رموز المدينة امام مكتبة الاسكندرية وقصر المؤتمرات .



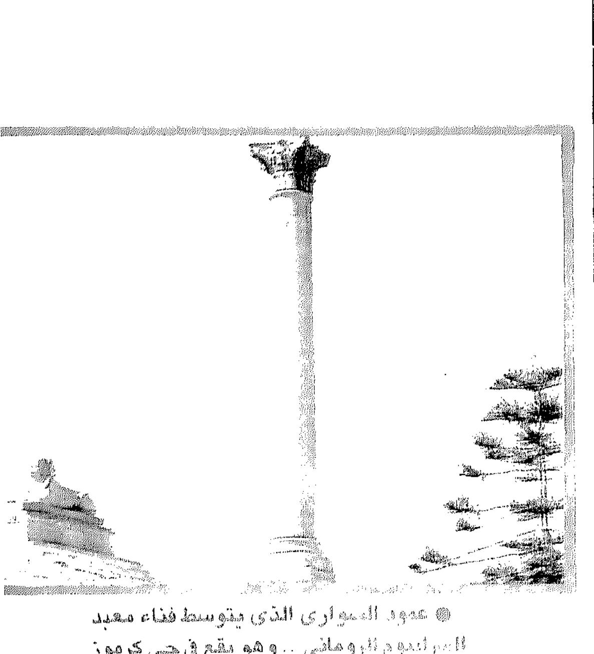
● عمود السوارى الذى يتوسط فناء معبد السرابيوم الرومانى .. وهو يقع فى حى كرموز الشعبى .. وهو نفس المكان التى كانت تقوم فيه مدينة راقودة التى كانت موجودة قبل مجىء الإسكندر وتاسيس الاسكندرية .



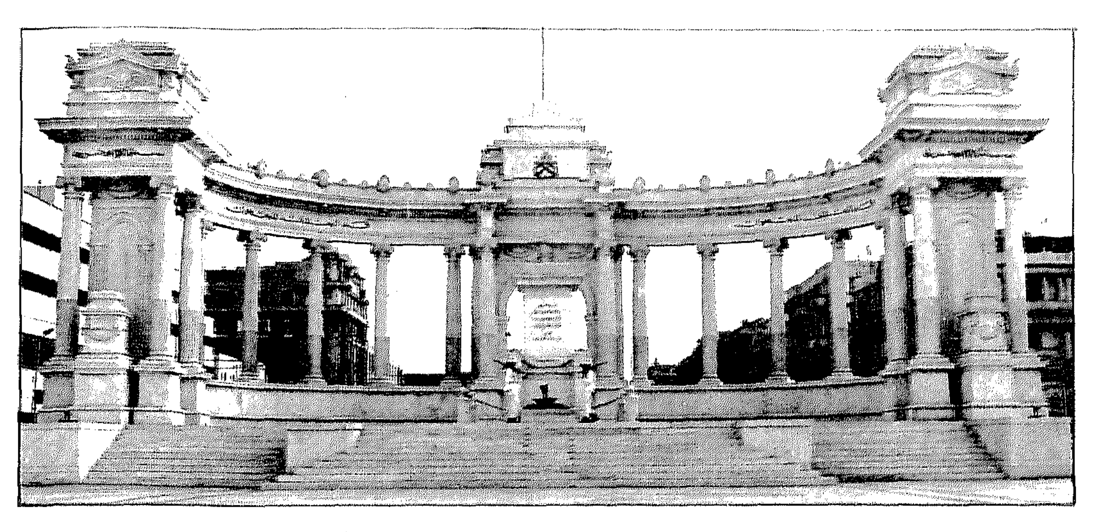
● النصب التذكارى للشهداء فى الاسكندرية حيث قبر الجندى المجهول .



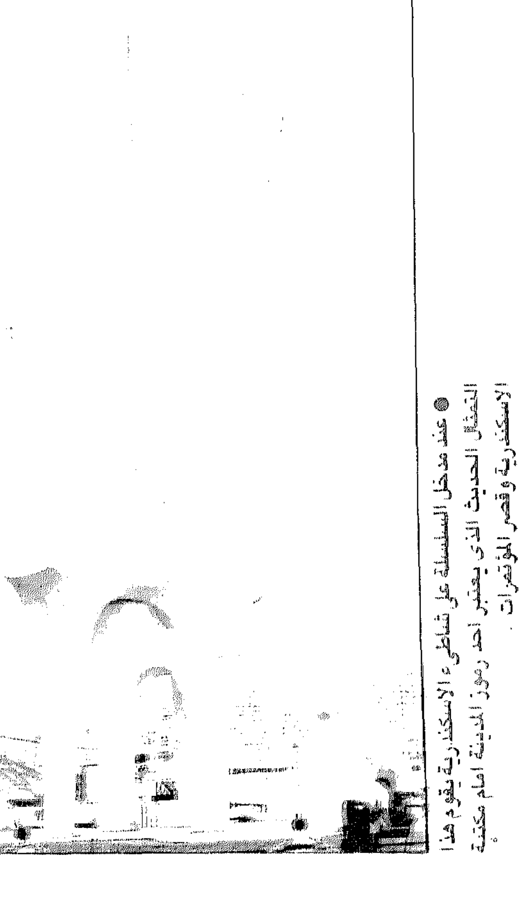
● عند مدخل السلسلة على شاطئ الإسكندرية يقوم هذا الحفل الحديث الذى يعتبر أحد رموز المدينة أمام مكتبة الإسكندرية وقصر المؤتمرات .



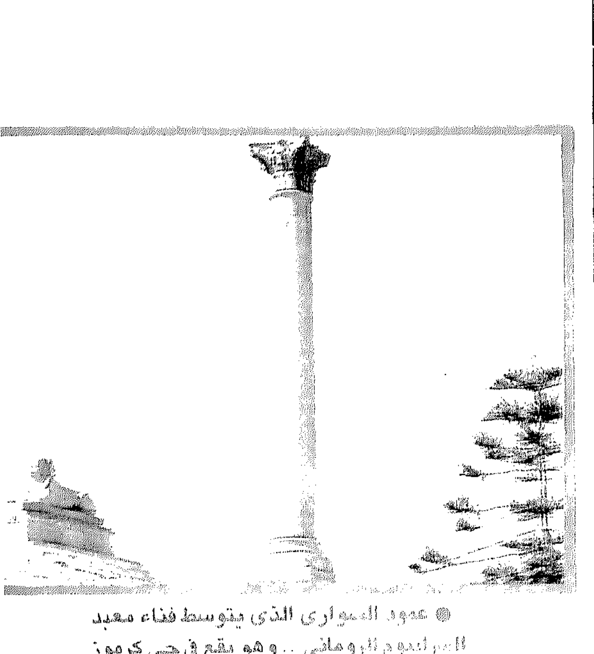
● عمود السوارى الذى يتوسط فناء معبد السرابيوم الرومانى .. وهو يقع فى حى كرموز الشعبى .. وهو نفس المكان التى كانت تقوم فيه مدينة راقودة التى كانت موجودة قبل مجىء الإسكندر وتاسيس الاسكندرية .



● النصب التذكارى للشهداء فى الاسكندرية حيث قبر الجندى المجهول .

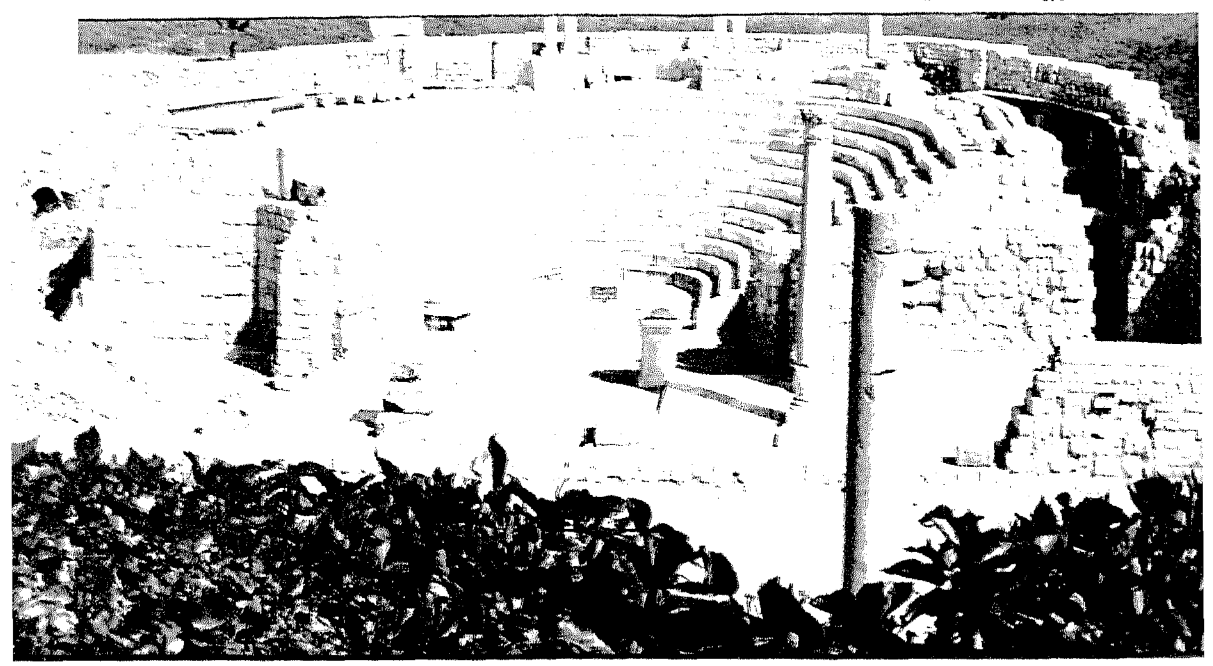


● عند مدخل السلسلة على شاطىء الاسكندرية يقوم هذا التمثال الحديث الذى يعتبر احد رموز المدينة امام مكتبة الاسكندرية وقصر المؤتمرات .

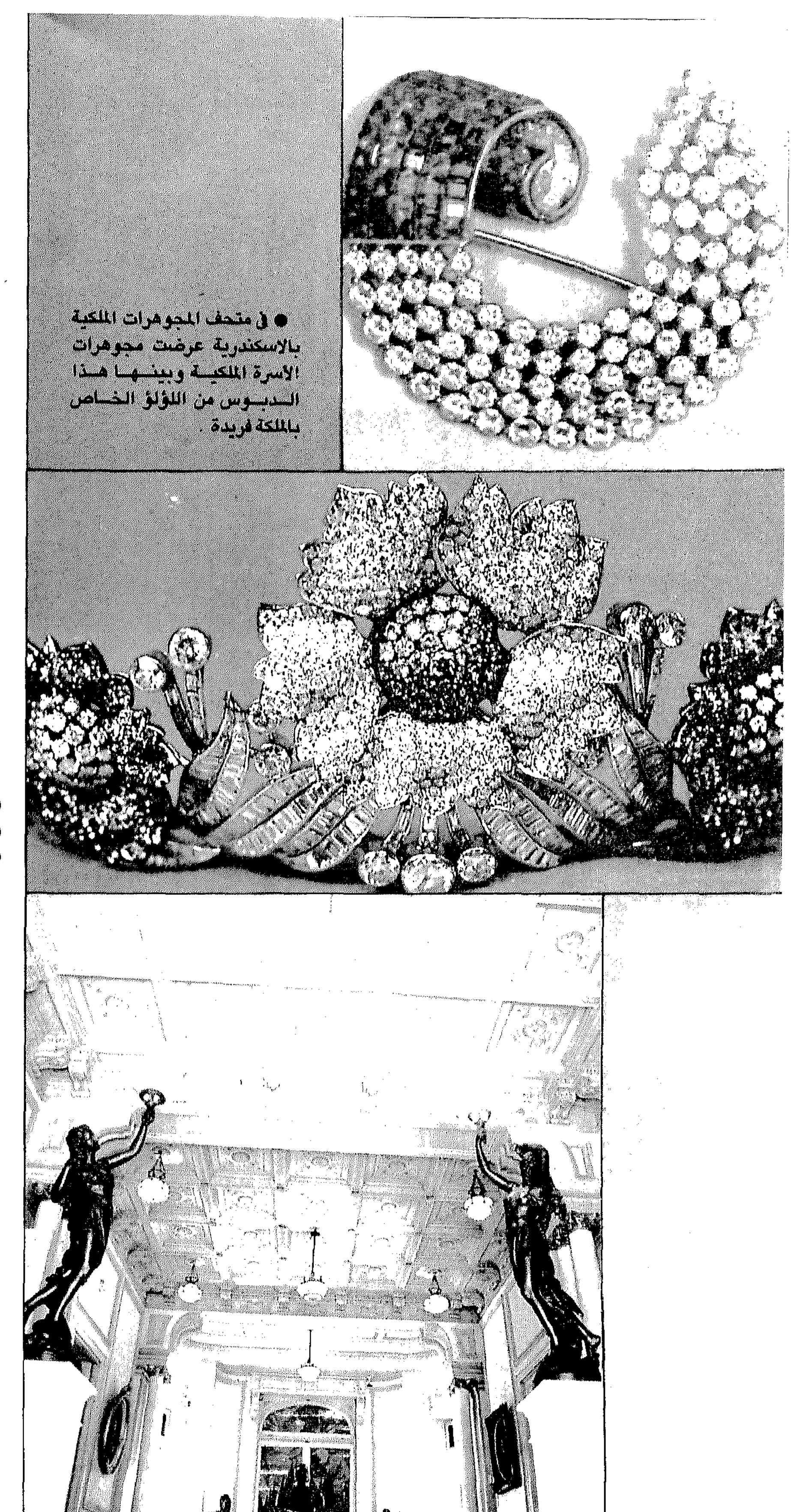


● عمود السوارى الذى يتوسط فناء معبد السرابيوم الرومانى .. وهو يقع فى حى كرموز الشعبى .. وهو نفس المكان التى كانت تقوم فيه مدينة راقودة التى كانت موجودة قبل مجىء الإسكندر وتاسيس الاسكندرية .

● تمثال افروديت فى المتحف الاغريقى الرومانى بالاسكندرية تخلع حذاءها لتعطيه لولدها كيوبيد .. وهو مصنوع من المرمر الابيض فى القرن الثانى الميلادى ويبدو فى الركن الايسر من الصورة التى تضم القاعة الرئيسية للمتحف حيث التماثيل الرومانية وبينها تمثال نصفى لراس الاسكندر .



● بقايا المسرح الرومانى فى كوم الدكة الذى عثر عليه تحت تل بقى قائما من العصور اليونانية القديمة وكانوا يطلقون عليه اسم تل (بان) وهو إله الحقول فى الأساطير اليونانية الرومانية .



● في متحف المجوهرات الملكية بالاسكندرية عرضت مجوهرات الأسرة الملكية وبينها هذا الدبوس من اللؤلؤ الخاص بالملكة فريدة .

● احد دبابيس الصدر المصنوع من الذهب والبلاتين والمرصع بالماس البرلنت والمضمومة من مجموعة الملكة فريدة بمتحف المجوهرات .

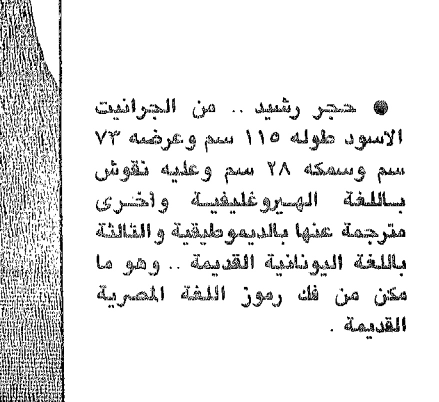
● مدخل متحف المجوهرات الملكية الذى يضم مجموعات من المجوهرات المصادرة المرتبطة بتاريخ اسرة محمد على حيث خصص لها قصر فاطمة الزهراء الذى يعد هو نفسه تحفة فنية فريدة .



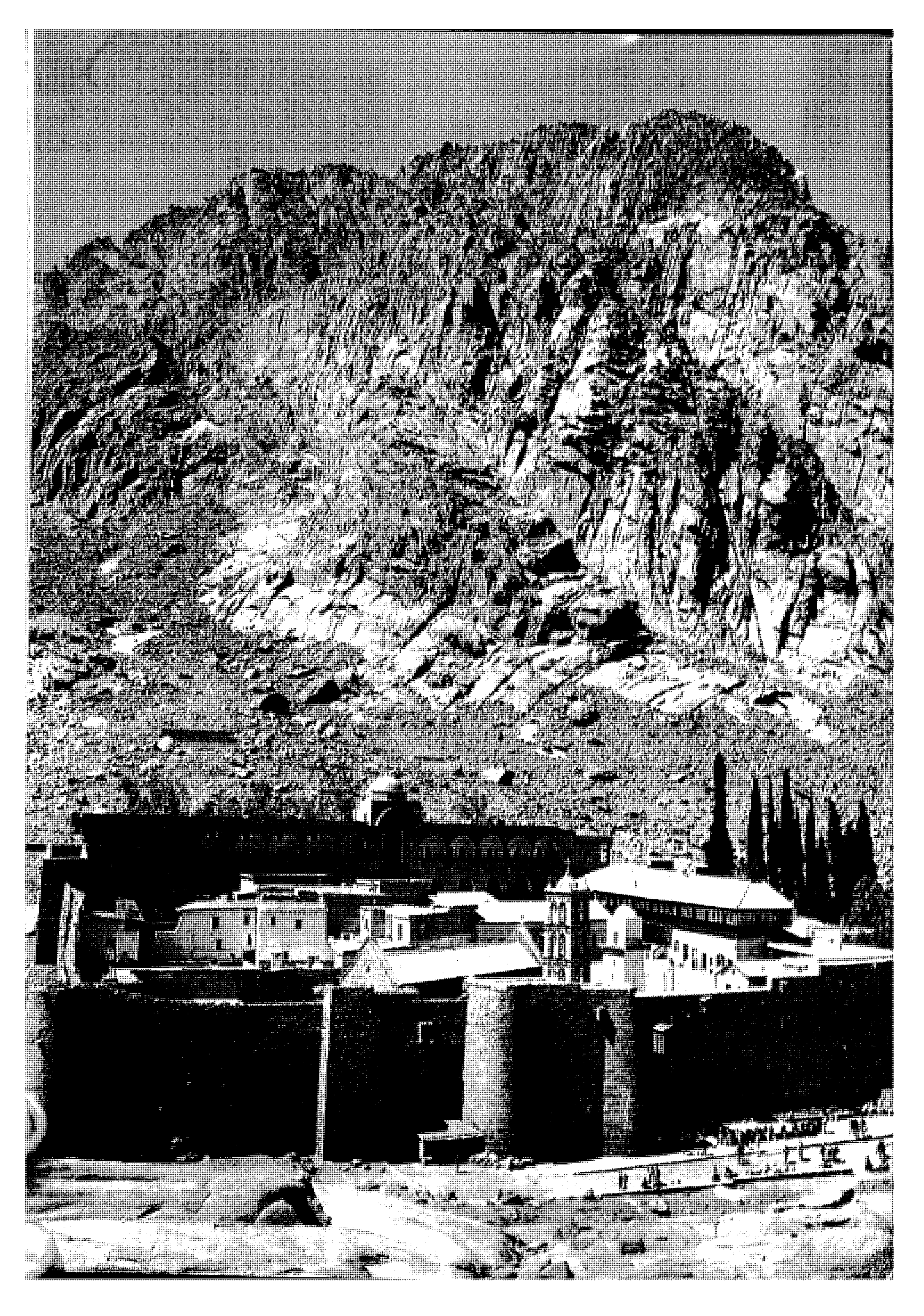
● قصر المنتزه أحد القصور الملكية فى الاسكندرية .. وهو يعد الآن أحد أهم المتاحف والقصور فى مصر .

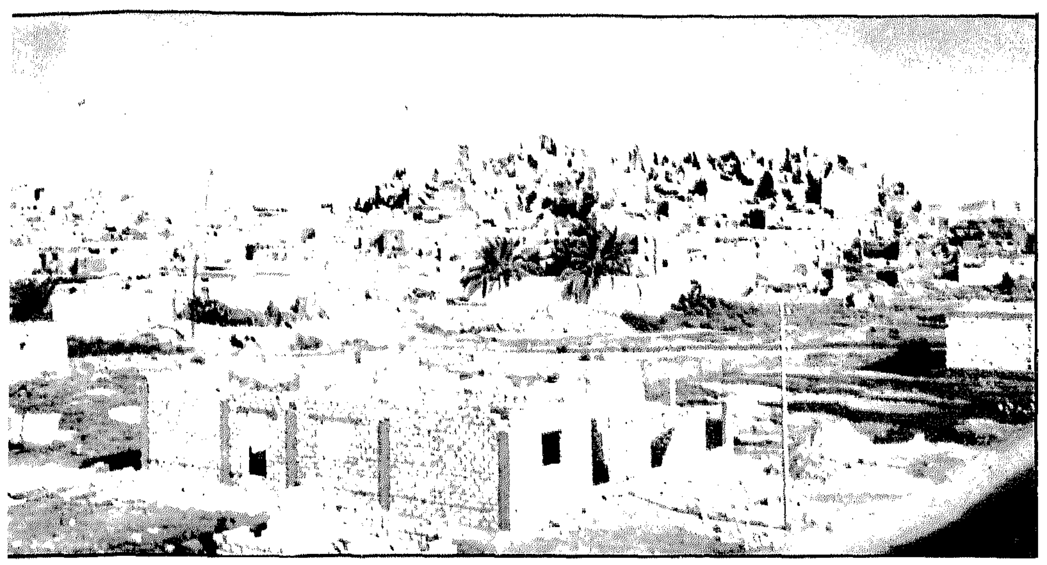
● صورة عامة لدير سانت كاترين بسيناء في حضن الجبل .. وهو يقوم على شكل حصن في واد ويعتبر مدينة قرية صمدت في موقعها لاحداث الدهر صمود الجبال التي حولها ويحيط بها سور كبير ارتفاعه حوالي ١٥ مترا وبجواره حديقة الدير.

● بيوت رشيد الأثرية التى تشبه الحصون من الخارج وتوحي بسحر الشرق من الداخل وبيوت رشيد ذات مستويات متعددة وحوامل من الخشب .. غموض من الخارج .. وسحر من الداخل .

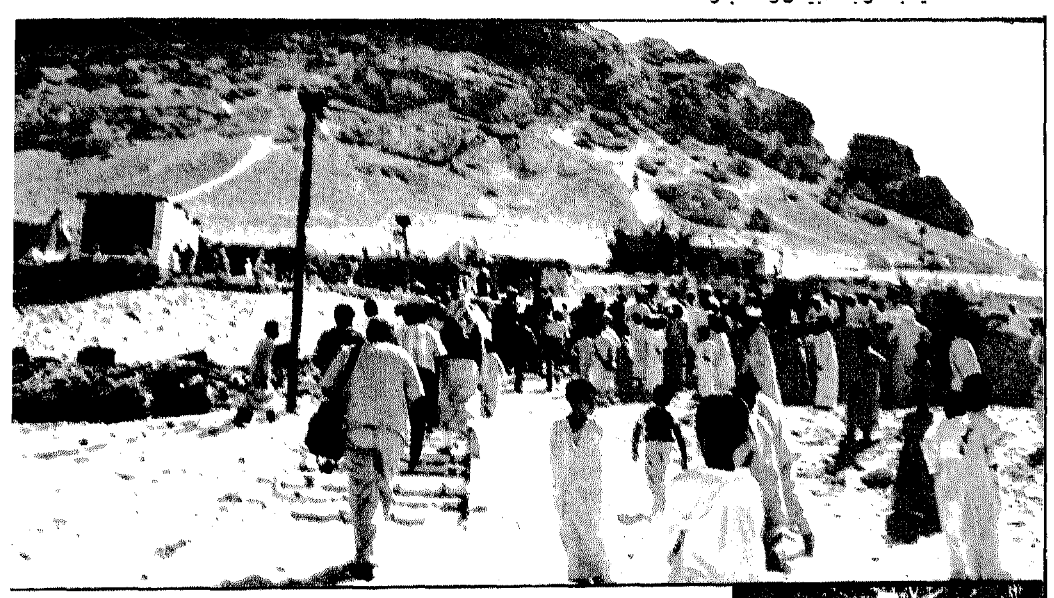


● حجر رشيد .. من الجرانيت الاسود طوله ١١٥ سم وعرضه ٧٣ سم وسمكه ٢٨ سم وعليه نقوش باللغة الهيروغليفية واخرى مترجمة عنها بالديموطيقية والثالثة باللغة اليونانية القديمة .. وهو ما مكن من فك رموز اللغة المصرية القديمة .

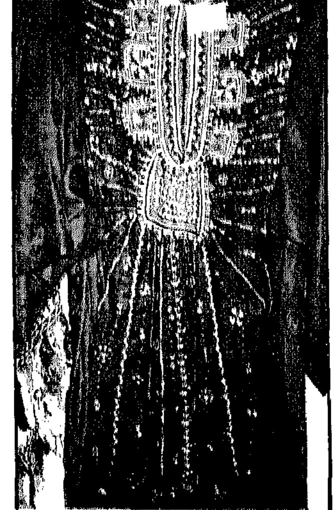




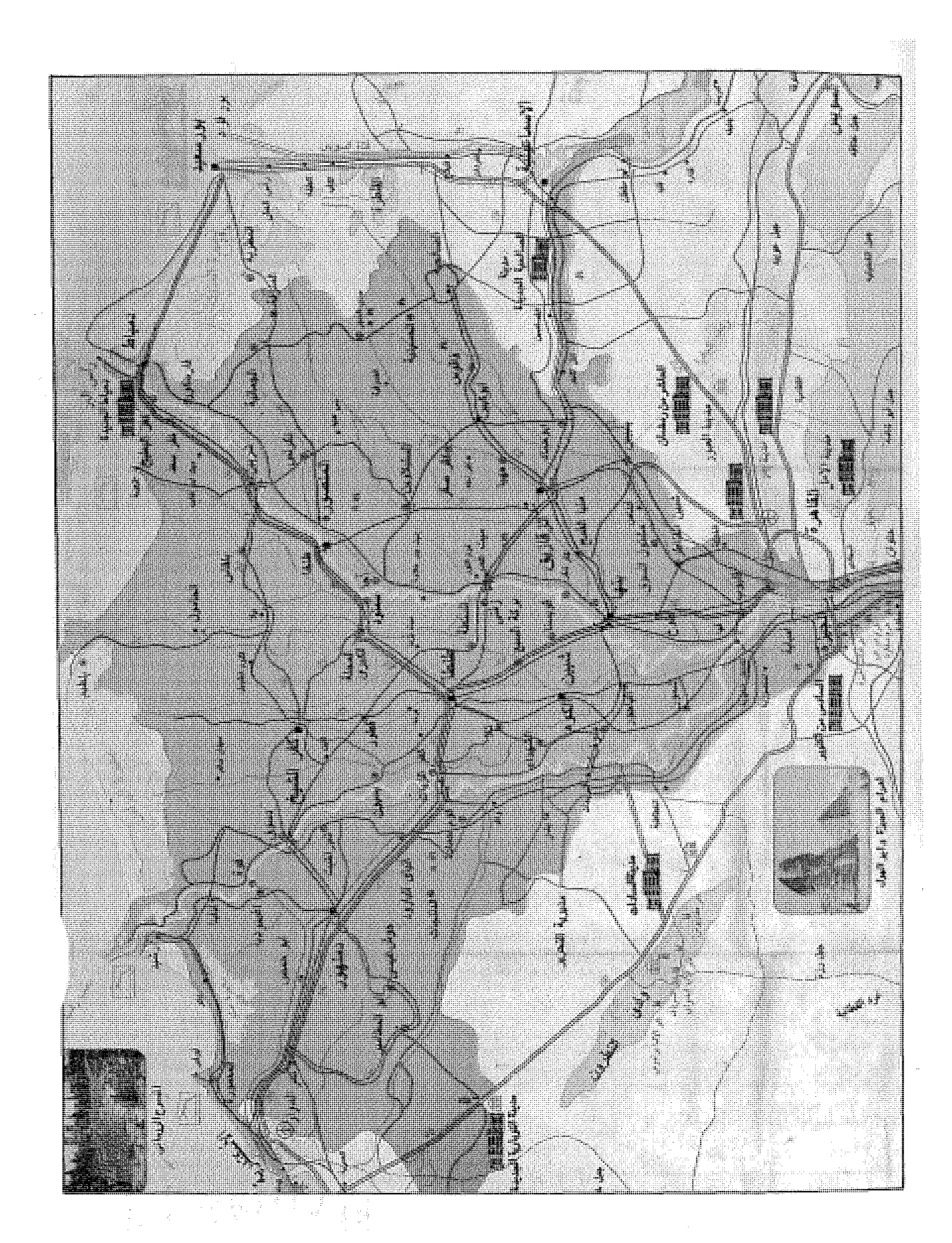
● مشهد عام لسيوة .. المدينة الواقعة فى اقصى شمال الصحراء الغربية .. وقد استعمل اهلها فى البناء الطين الذى كان يحتوى على نسبة عالية من الملح .. وتبدو تلك الابنية للناظر من الخارج مقفلة ومترابطة بينما المبانى الحديثة بدات تشيد بالطوب الابيض والحجارة .



● يتجه السائحون والزوار الى حيث الاثار القديمة فى سيوة وخاصة صخرة المبورمى التى اقيم عندها معبد آمون ومعبد التنبؤات ولا تزال بقية اجزاء المعبد تحت الأطلال .



● الزى الذى ترتديه الفتيات فى سيوة يصنعنه محليا ويزين بالمشغولات والنقوش التى تعطى الزى مسحة رائعة من الجمال والانفراد فى الصناعة .




القاهرة وضواحيها
القاهرة
الجيزة

بيت السحيمى : يقع فى الدرب الأصفر وهو من أجمل المنازل التى احتفظت بتفاصيلها القديمة .

الكنيسة المعلقة : بجوار حصن بابليون ، بنيت فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس .

كنيسة أبو سرجة : بجوار المتحف القبطى ويرجع بناؤها الى أواخر القرن الرابع ويقال انها تشغل نفس المكان الذى استقرت به العائلة المقدسة عندما قدمت الى مصر .

المتحف القبطى : يقع فى مصر القديمة ويحتوى على مجموعة نادرة من آثار العهد المسيحى الأول .

برج القاهرة : من أحدث معالم القاهرة ويقع فى الجزيرة ويـزيد ارتفاعه على ١٨٠ متراً .

الصـوت والضوء : فن جـديد يعتمـد عـلى الصـوت والضـوء والموسيقى التصويـرية ويهـدف الى بعث التاريـخ القديم ويمكن الاستمتاع بهذا اللون فى منطقة الأهرام أو قلعة صلاح الدين كل يوم بعد الغروب .

المتحف المصرى : من أعظم المتاحف فى العالم يحتوى على آثـار يرجع تاريخها الى خمسة آلاف سنة .

المتحف الاسلامى : يحتوى على مجموعة من الآثار الإسلامية .

المتاحف :

المتحف المصرى	متحف مصطفى كامل
المتحف القبطى	متحف قصر المنيل
متحف الفن الإسلامى	متحف استراحة الهرم

بيت السحيمى : يقع فى الدرب الأصفر وهو من أجمل المنازل التى احتفظت بتفاصيلها القديمة .

الكنيسة المعلقة : بجوار حصن بابليون ، بنيت فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس .

كنيسة أبو سرجة : بجوار المتحف القبطى ويرجع بناؤها الى أواخر القرن الرابع ويقال انها تشغل نفس المكان الذى استقرت به العائلة المقدسة عندما قدمت الى مصر .

المتحف القبطى : يقع فى مصر القديمة ويحتوى على مجموعة نادرة من آثار العهد المسيحى الأول .

برج القاهرة : من أحدث معالم القاهرة ويقع فى الجزيرة ويزيد ارتفاعه على ١٨٠ متراً .

الصوت والضوء : فن جديد يعتمد على الصوت والضوء والموسيقى التصويرية ويهدف الى بعث التاريخ القديم ويمكن الاستمتاع بهذا اللون فى منطقة الأهرام أوقلعة صلاح الدين كل يوم بعد الغروب .

المتحف المصرى : من أعظم المتاحف فى العالم يحتوى على آثار يرجع تاريخها الى خمسة آلاف سنة .

المتحف الاسلامى : يحتوى على مجموعة من الآثار الإسلامية .

المتاحف :

المتحف المصرى	متحف مصطفى كامل
المتحف القبطى	متحف قصر المنيل
متحف الفن الإسلامى	متحف استراحة الهرم

متحف الحضارة المصرية
متحف الجزيرة
المتحف الزراعى
متحف قصر عابدين
متحف بيت الأمة
متحف قصر الجوهرة
المتحف الحربى
متحف ركن حلوان
المتحف الحيوانى
متحف القطن
متحف السكة الحديد
متحف البريد
متحف بيت الكريتلية (جاير اندرسون)
برج القاهرة ـ الجزيرة

الآثار الإسلامية :

مسجد سيدنا الحسين
الجامع الأزهر
مسجد المردنى
مسجد السلطان الغورى
مسجد المؤيد
مسجد الأزرق
مجموعة السلطان قلاوون
جامع ومدرسة السلطان برقوق
جامع الأقمر
باب زويلة
سور العيون
مسجد الناصر محمد
(بالقلعة)
مسجد الظاهر بيبرس
مسجد الحاكم
مسجد السلطان حسن
مسجد الصالح طلائع
مسجد أحمد بن طولون
مسجد سليمان باشا
الجامع المرمرى
مسجد الرفاعى
مسجد عمرو بن العاص
باب النصر
مقياس النيل بالروضة
باب الفتوح
مسجد الناصر محمد .

الآثار القبطية :

كنيسة القديس سرجيوس
الكنيسة المعلقة
كنيسة السيدة العذراء (حارة زويلة - بيت القاضى)
كنيسة القديس جورج (مار جرجس الرومانى)
كاتدرائية سان مارك (العباسية)

بيان فروق التوقيت

ساعات التقديم أو التأخير بالنسبة لتوقيت جرينويتش

فروقات الزمن الموضحة فيما يلي لا تشمل فروقات الصيف السائدة في بعض البلاد .

البلد	الفرق
افغانستان	٤ ١/٢٠
البانيا	١٠
الجزائر	صفر (جرينويتش)
انجولا	+ ١
الارجنتين	- ٢
استراليا	—
تسمانيا	+ ١٠
فيكتوريا	+ ١٠
كوينزلاند	+ ١٠
شمال استراليا	+ ٩ ١/٢
جنوب استراليا	+ ٩ ١/٢
غرب استراليا	+ ٨
النمسا	+ ١
بهاماس	- ٥
البحرين	+ ٣
بانجالاديش	+ ٦
بلجيكا	+ ١
برمودا	- ٤
بوليفيا	- ٤
بلغاريا	+ ٢
البرازيل	

البلد	الفرق
الشرق	- ٣
الغرب	- ٤
المناطق الطرفية	- ٥
كندا	
نيوفاونلاند	- ٣ ١/٢
المحيط الاطلنطى	- ٤
شرقا	- ٥
المنطقة الوسطى	- ٦
المرتفعات الجبلية	- ٧
المحيط الهادى	- ٨
يوقون	- ٨
وايت هورس	- ٨
واتسون ليك	- ٨
داتسون سيتى	- ٩
جزر كاتاريكا	صفر (جرينويتش)
شيلى	- ٤
الصين الشعبية	+ ٨
كولومبيا	- ٥
الكونغو (برازافيل)	+ ١
كوستاريكا	- ٦
كوبا	- ٥

تشيكوسلوفاكيا	+ ١
الدنمارك	+ ١
جيبوتى	+ ٣
إكوادور	- ٥
مصر	+ ٢
اثيوبيا	+ ٣
جزر فيجى	+ ١٢
فنلندا	+ ٢
فرنسا	+ ١
المانيا الديمقراطية	+ ١
المانيا الاتحادية	+ ١
غانا	صفر (جرينويتش)
جبل طارق	+ ١
بريطانيا	صفر (جرينويتش)
اليونان	+ ٢
هونج كونج	+ ٨
المجر	+ ١
ايسلاندا	صفر (جرينويتش)
الهند	+ ٥ ١/٢
اندونيسيا	(جاوا) + ٧
ايران	+ ٣ ١/٢
العراق	+ ٣
ايرلندا	صفر (جرينويتش)
ايطاليا	+ ١
اليابان	+ ٩
الاردن	+ ٢
كينيا	+ ٣
الكويت	+ ٣
لبنان	+ ٢
ليبيا	+ ٢
لوكسمبورج	+ ١
ملاوى	
ماليزيا	
غربا	+ ٧ ١/٢
سرواك	+ ٨
مالطة	+ ١
موريتانيا	صفر (جرينويتش)
المكسيك	- ٦
المغرب	صفر (جرينويتش)
الموازمبيق	+ ٢
نيبال	+ ٥ ٢/٣
هولندا	+ ١
نيوزيلاندا	+ ١٢
نيجريا	+ ١
النرويج	+ ١
الباكستان	+ ٥
بنما	+ ٥
براجوى	- ٤
بيرو	- ٥
فيلبين	+ ٨
بولندا	+ ١
البرتغال	صفر (جرينويتش)
قطر	+ ٣
روديسيا	+ ٢
رومانيا	+ ٢
السعودية	+ ٣
سنغافورة	+ ٧ ١/٢
الصومال	+ ٣
جنوب افريقيا	+ ٢
اسبانيا	+ ١
سرى لانكا	+ ٥ ١/٢
السودان	+ ٢

السويد	+ ١
سويسرا	+ ١
سوريا	+ ٢
تنزانيا	+ ٣
تايلاندا	+ ٧
ترينيداد وتوباجو	− ٤
تونس	+ ١
تركيا	+ ٢
اوغندا	+ ٣
الامارات العربية	+ ٤
اورجواى	− ٣
امريكا	
المنطقة الشرقية	− ٥
المنطقة الوسطى	− ٦
المنطقة الجبلية	− ٧
المحيط الهادى	− ٨
شرق الاسكا	− ٨
غرب الاسكا	− ١١
هاواى	− ١٠
الاتحاد السوفيتى	
موسكو	+ ٣
اومسك	+ ٦
فلاديفوستوك	+ ١٠
انادير	+ ١٣
فينزويلا	− ٤
ڤيتنام	+ ٧
اليمن	+ ٣
اليمن الشعبية	+ ٣
زائير (كينشاسا)	+ ١


مصر للسياحة
MISR TRAVEL



ECR

الشركة المصرية للحراريات

قلعة صناعة الحراريات فى الشرق الأوسط

أكثر من ٥٠ عاماً خبرة

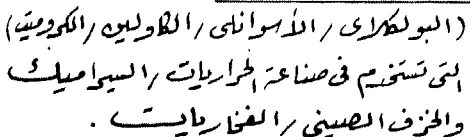
إحدى شركات الشركة القابضة للتعدين والحراريات

نحن ننتج :

- حراريات الطين النارى .
- الألومينا سيليكات .
- الألومينا العالية .
- حراريات المجنزيت / الكروم مجنزيت / المجنزيت كروم .

- حراريات من ١٩٪ - ٨٥٪ أكسيد ألومينا .
- حراريات البوادق ، المصبات ، طوب الواجهات .

نحن نستخرج خامات :



(البولكلاى / الأسوانلى / الكاولين / الكوارتز)
التى تستخدم فى صناعة الحراريات / السيراميك
والخزف الصينى / الفخاريات .



نحن نخدم الصناعة بتقديم خبراتنا فى مجالات :

- تصميم وتشييد أفران المصانع والغلايات .
- التكسيات للأحماض والقلويات والمذيبات العضوية للمصانع الكيماوية والأدوية والأغذية والأغراض الصناعية .

منتجاتنا تنافس فى :

سوريا / الأردن / السعودية / الإمارات / اليمن / العراق / ليبيا / تونس
السودان / اليونان / سيرلانكا / إيطاليا / باكستان وغيرها من دول العالم .

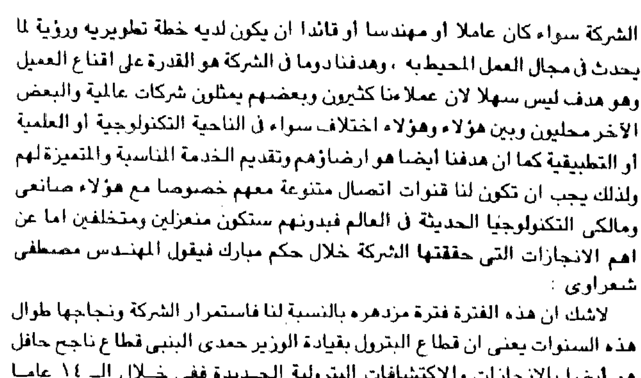
THE EGYPTION CO. FOR REFRACTORIES — الشركة المصرية للحراريات

القطاع التجارى ٢٣ شارع طلعت حرب بالقاهرة ت ٣٩٣٤٢٠١

٣٩٢١٧١٧ فاكس ٣٩٣٥٧٠٨

TLX : 94059 ECR. UN

Enppi



الشركة سواء كان عاملا او مهندسا او قائدا ان يكون لديه خطة تطويريه ورؤية لما يحدث في مجال العمل المحيط به ، وهدفنا دوما في الشركة هو القدرة على اقناع العميل وهو هدف ليس سهلا لان عملاءنا كثيرون وبعضهم يمثلون شركات عالمية والبعض الآخر محليون وبين هؤلاء وهؤلاء اختلاف سواء في الناحية التكنولوجية او العلمية او التطبيقية كما ان هدفنا ايضا هو ارضاؤهم وتقديم الخدمة المناسبة والمتميزة لهم ولذلك يجب ان تكون لنا قنوات اتصال متنوعة معهم خصوصا مع هؤلاء صانعي ومالكي التكنولوجيا الحديثة في العالم فبدونهم ستكون منعزلين ومتخلفين اما عن اهم الانجازات التي حققتها الشركة خلال حكم مبارك فيقول المهندس مصطفى شعراوي :

لاشك ان هذه الفترة فترة مزدهرة بالنسبة لنا فاستمرار الشركة ونجاحها طوال هذه السنوات يعني ان قطاع البترول بقيادة الوزير حمدي البنبي قطاع ناجح حافل هو ايضا بالانجازات والاكتشافات البترولية الجديدة ففي خلال الـ ١٤ عاما الماضية تم تنفيذ اكثر من ١٠٠ مشروع زاد خلالها انتاجنا من البترول كما زاد الاحتياطي المصري ودخلنا عصر الغاز الطبيعي وبذلك طورت الشركة من نفسها ونفذت العديد من المشروعات البحرية والبرية ، كما حصلنا على التكنولوجيا المتطورة ونفذنا مشروعات بالمنافسة الحره ومن اجل هذه المنافسة يجب ان نحافظ على الجودة والتكلفة التنافسية كما قمنا خلال تلك الفترة ببناء خبرتنا والتي تمكننا من الاستمرار في السوق .

واهمها مشروع معمل تكرير أسيوط (١٩٨٥ - ١٩٨٦) :

احد المشروعات العملاقة في صعيد مصر تم تنفيذه خلال الفترة من مارس ١٩٨٥ وحتى اكتوبر ١٩٨٦ وتبلغ طاقته الانتاجية ٢,٥ مليون طن سنويا ويتكون المشروع من وحدة تقطير ووحدة لاسترجاع الغازات ووحدتي المعالجة بالصودا لكل من النافتا والبوتاجاز إضافة الى المرافق والبنية الاساسية للمشروع .

دور إنبي في المشروع : التصميمات الاساسية والتفصيلية والتوريدات وتجارب بدء التشغيل .

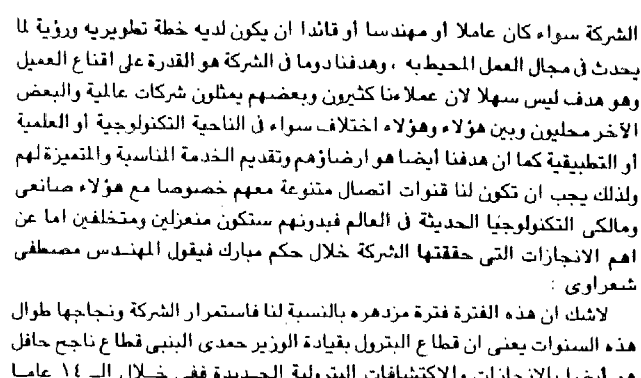
وتبلغ التكلفة الاجمالية للمشروع ٢٠٠ مليون دولار اضافة الى تكلفة خط الانابيب من رأس شقير على خليج السويس الى أسيوط .

مشروع غازات خليج السويس - برأس شقير (١٩٨١ - ١٩٨٦) - المرحلة الأولى والثانية

ويتكون المشروع من محطتين لتجميع وضغط الغاز الى وحدة المعالجة الرئيسية وتبلغ الطاقة الانتاجية للمشروع في المرحلة الاولى والثانية ١٨٠ مليون قدم مكعب من الغازات يوميا .

وقد شمل دور « إنبي » في المشروع الدراسات الفنية وإعداد مستندات المناقصة العالمية وتقييم العروض إضافة الى التصميمات الاساسية والتفصيلية وادارة المشروع وتقييم تجارب الاداء .

Enppi


الشركة سواء كان عاملا او مهندسا او قائدا ان يكون لديه خطة تطويريه ورؤية لما يحدث في مجال العمل المحيط به ، وهدفنا دوما في الشركة هو القدرة على اقناع العميل وهو هدف ليس سهلا لان عملاءنا كثيرون وبعضهم يمثلون شركات عالمية والبعض الآخر محليون وبين هؤلاء وهؤلاء اختلاف سواء في الناحية التكنولوجية او العلمية او التطبيقية كما ان هدفنا ايضا هو ارضاؤهم وتقديم الخدمة المناسبة والمتميزة لهم ولذلك يجب ان تكون لنا قنوات اتصال متنوعة معهم خصوصا مع هؤلاء صانعي ومالكي التكنولوجيا الحديثة في العالم فبدونهم ستكون منعزلين ومتخلفين اما عن اهم الانجازات التي حققتها الشركة خلال حكم مبارك فيقول المهندس مصطفى شعراوي :

لاشك ان هذه الفترة فترة مزدهره بالنسبة لنا فاستمرار الشركة ونجاحها طوال هذه السنوات يعني ان قطاع البترول بقيادة الوزير حمدي البنبي قطاع ناجح حافل هو ايضا بالانجازات والاكتشافات البترولية الجديدة ففي خلال الـ ١٤ عاما الماضية تم تنفيذ اكثر من ١٠٠ مشروع زاد خلالها انتاجنا من البترول كما زاد الاحتياطي المصري ودخلنا عصر الغاز الطبيعي وبذلك طورت الشركة من نفسها ونفذت العديد من المشروعات البحرية والبرية ، كما حصلنا على التكنولوجيا المتطورة ونفذنا مشروعات بالمنافسة الحره ومن اجل هذه المنافسة يجب ان نحافظ على الجودة والتكلفة التنافسية كما قمنا خلال تلك الفترة ببناء خبرتنا والتي تمكننا من الاستمرار في السوق .

واهمها مشروع مجمل تكرير اسيوط (١٩٨٥ ـ ١٩٨٦) :

احد المشروعات العملاقة في صعيد مصر تم تنفيذه خلال الفترة من مارس ١٩٨٥ وحتى اكتوبر ١٩٨٦ وتبلغ طاقته الانتاجية ٢,٥ مليون طن سنويا ويتكون المشروع من وحدة تقطير ووحدة لاسترجاع الغازات ووحدتي المعالجة بالصودا لكل من النافتا والبوتاجاز إضافة الى المرافق والبنية الاساسية للمشروع .

دور إنبي في المشروع : التصميمات الاساسية والتفصيلية والتوريدات وتجارب بدء التشغيل .

وتبلغ التكلفة الاجمالية للمشروع ٢٠٠ مليون دولار اضافة الى تكلفة خط الانابيب من راس شقير على خليج السويس الى اسيوط .

مشروع غازات خليج السويس ـ براس شقير (١٩٨١ ـ ١٩٨٦) ـ المرحلة الأولى والثانية

ويتكون المشروع من محطتين لتجميع وضغط الغاز الى وحدة المعالجة الرئيسية وتبلغ الطاقة الانتاجية للمشروع في المرحلة الاولى والثانية ١٨٠ مليون قدم مكعب من الغازات يوميا .

وقد شمل دور « إنبي » في المشروع الدراسات الفنية وإعداد مستندات المناقصة العالمية وتقييم العروض إضافة الى التصميمات الاساسية والتفصيلية وادارة المشروع وتقييم تجارب الاداء .

Enppi

مشروع تسهيلات الانتاج لحقل غازات شمال أبو قير « (١٩٩٠ ـ ١٩٩٢)

ويهدف المشروع الى رفع الطاقة الانتاجية لحقل غازات ابو قير البحرى الى ١٥٠ مليون قدم مكعب يوميا وذلك بانشاء منصة جديدة للفصل ومعالجة الغازات ـ P/U ـ p1 وادخال توسعات فى منصة الحفر P1 – D .

ويشمل نطاق اعمال « إنبى » القيام بدور المقاول الرئيسى نظام تسليم المفتاح لتسهيلات الانتاج Topside facilities للمشروع بما فى ذلك التصميمات الاساسية والتفصيلية وتوريد المعدات والمهمات والتفتيش الهندسى عليها واعمال الانشاءات والتركيبات وإدارة ومراقبة المشروع واعمال بدء التشغيل .

مشروع غازات عبر الخليج (١٩٩١ ـ ١٩٩٤)

يهدف المشروع الى استغلال الغازات الناتجة من وحدتى إستخلاص البوتاجاز بحقول بلاعيم بسيناء وغازات حقل أكتوبر وذلك بنقلها وربطها بالشبكة القومية للغازات وتقدر كمية هذه الغازات بحوالى ١٠٧ ملايين قدم مكعب يوميا وقد قامت « إنبى » فى هذا المشروع بدور المقاول العام للخدمات الفنية ويشمل ذلك أعمال التصميمات الاساسية والتفصيلية وخدمات التوريدات والاشراف على الانشاءات والتركيبات والمساعدة فى تجارب بدء التشغيل وإدارة ومراقبة المشروع والجدير بالذكر أن البنك الدولى قد ساهم فى تمويل هذا المشروع وقد التزمت شركة « إنبى » باتباع نظم ولوائح البنك الدولى فى عمليات التوريدات .

مشروع إستخلاص البوتاجاز ـ بالعامرية

يهدف المشروع الى إنشاء محطة لإسترجاع البوتاجاز بالعامرية للغازات المنتجة من منطقتى ابو سنان وبدر الدين بالصحراء الغربية وتبلغ طاقة المشروع ٣٠٠ مليون قدم مكعب / يوم هذا وينتج المشروع ٢٤٠ طن بوتاجاز يوميا و٥٥ مليون قدم من الغازات المطابقة للمواصفات لتغذية مصنع حديد الدخيلة و٢٤٠ مليون قدم مكعب من الغازات للشبكة القومية للغازات إضافة الى ٤٠ طنا من المتكثفات يوميا .

وتقوم « إنبى » فى المشروع بدور المقاول العام للخدمات الفنية ويشمل ذلك اعمال التصميمات الهندسية الاساسية التفصيلية وخدمات التوريدات للمعدات والمهمات والاشراف على الانشاءات والتركيبات وتجارب بدء التشغيل والاضطلاع بمسئولية تشغيل المشروع حتى إجراء إختبارات الاداء ومراقبة وإدارة المشروع هذا وقد إنتهت « إنبى » من جميع اعمال المشروع فى نوفمبر ١٩٩٥ .

Enppi

مشروع مجمع خلط زيوت التزييت بالاسكندرية

يهدف المشروع الى إنشاء مصنع متكامل لخلط زيوت التزييت بطاقة إنتاجية ١٥٠ الف طن سنويا وهو يعد الاول فى مصر وينتج المشروع ما يزيد عن ١٢٠ نوعا من انواع الزيوت ويطبق به أحدث اساليب التحكم الآلى لتشغيل وحدات خلط الزيوت .

وتقوم « إنبى » بدور المقاول العام للخدمات الفنية ويشمل ذلك اعمال التصميمات التفصيلية وخدمات التوريدات للمعدات والمهمات والاشراف على اعمال التركيبات بالموقع ومراقبة وإدارة المشروع والمساعدة فى تجارب بدء التشغيل والمتوقع بدء إنتاج المشروع فى بداية عام ١٩٩٦ .

● ● ما هى البرقية التى ترسلها الى كل من الرئيس مبارك والدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء ولوزير البترول فى عيد البترول .

● اقول للرئيس مبارك : نحن سعداء باستقرار مصر السياسى والاقتصادى لان هذا الاستقرار يحقق لمصر التقدم المستمر ولذلك فنحن معك يا سيادة الرئيس على الطريق .. جنود فى مواقعنا .. ونتمنى لك الصحة والتوفيق دائما وان مصر هى بلدنا والام الرءوم وسنعمل من اجلها كرجل واحد فى سبيل تحديثها وتطويرها ووضعها فى اعلى مرتبة على خريطة العالم .

● واقول لرئيس الوزراء الدكتور عاطف صدقى : تحية وتقديرا لهذا الرجل والذى تحمل طوال فترة رئاسته لمجلس الوزراء الكثير والكثير فى سبيل الاصلاح الاقتصادى فى مصر حتى اصبحت التجربة الاقتصادية تجربة رائدة نتمنى ونرجو لها دوام النجاح .

● ولوزير البترول الدكتور حمدى البنبى ابعث إليه بهذه البرقية واقول له : اننى اعتبر نفسى محظوظا لاننى اعمل معه وتحت قيادته لانه وبحق شخصية فذة تتصف بالعلم والخلق الحميد والقيادة الحكيمة ودائما هو حائز على ثقتنا فيه وفى افكاره المتطوره الامر الذى يجعلنا جميعا مؤمنين بأن قطاع البترول هو قطاع التطوير والتحديث .. اننا معك جنود ومساعدون فى هذا القطاع الرائد قطاع البترول .

شركة خالدة للبترول

•• ومسيرة نجاح عمرها

١٠ سنوات فى الصحراء الغربية



الرئيس محمد حسني مبارك

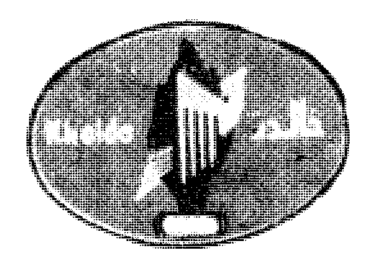
الدكتور حمدى البنبى
وزير البترول

تأسست شركة خالدة للبترول فى ١١ سبتمبر ١٩٨٥ كشركة قائمة بالعمليات نيابة عن الهيئة المصرية العامة للبترول وشركة فينكس ريسورسز مصر وذلك للقيام بعمليات البحث عن البترول وتنميته وانتاجه طبقا لاتفاقية الامتياز البترولى الصادرة بالقانون رقم ٩ لسنة ١٩٨١، وبعد ذلك تنازلت شركة فينكس عن ٥٠٪ من حصتها لشركة كونوكو وسامسونج وأصبحت الاتفاقية معقودة مع شركات «كونوكو مصر» و« فينكس ريسورسز مصر» و«سامسونج المحدودة» على أساس أن شركات كونوكو وفينكس وسامسونج هم «المقاول».

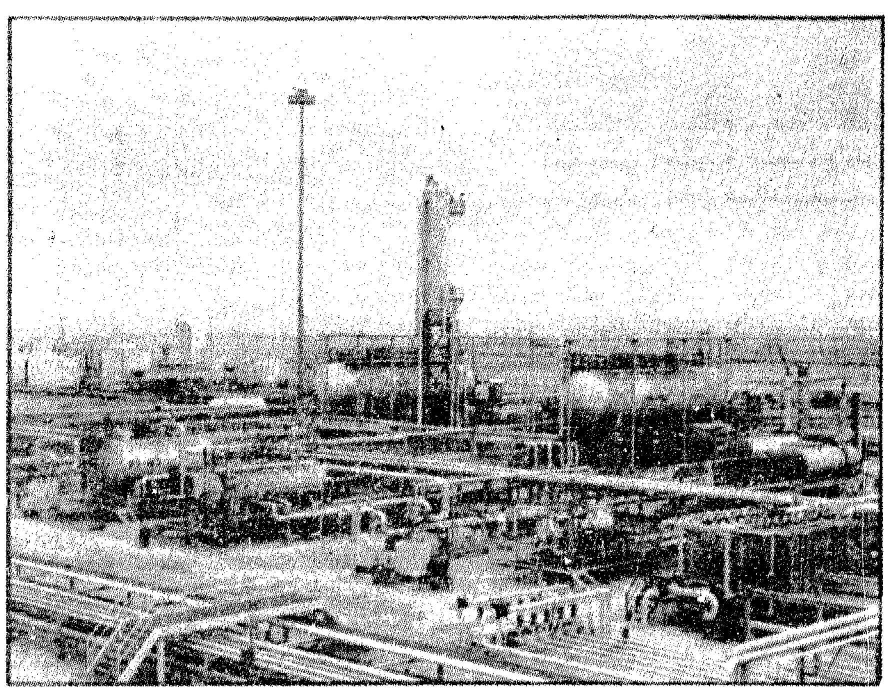
وفى ١٩٩١/١/٨ اشترت شركات «ربسول مصر» حصة شركة «كونوكو» مصر فى اتفاقية الامتياز ومنذ هذا التاريخ أصبحت الاتفاقية معقودة مع شركات «ربسول مصر» وفينكس ريسورسز مصر» و«سامسونج المحدودة» وهو «المقاول».

ولقد تحقق اكتشاف حقول خالدة فى الصحراء الغربية بعد أن ساد الاعتقاد أن صحراءنا الغربية لا تحوى سوى جيوب صغيرة من البترول ذات احتياطات ضعيفة حتى أن بعض الشركات العالمية الكبرى التى كانت تعمل فى هذه المنطقة وضعت تقريرا فنيا يؤكد خلوها من أى احتمالات بترولية ذات قيمة، ثم جاء بعد ذلك حقل سلام ليدحض هذا الاعتقاد.

إن هذه الصحراء سوف تبوح بكنوزها بجهد أبنائها وستتحول بإذن الله على أيدى العاملين المخلصين من شركة خالدة وشركات أخرى شقيقة عاملة بالصحراء الغربية إلى واحة بترولية وركيزة من ركائز الاقتصاد المصرى وبرغم حداثة عمر شركة خالدة فإن لها أكبر احتياطيات وهى أكبر منتج للزيت فى الصحراء الغربية وانتاجها الحالى يتأرجح حول الرقم «٣٥,٠٠٠» برميل يوميا



شركة خالدة للبترول



محطة معالجة الزيت الخام بمنطقة «سلام» بالصحراء الغربية

حقول جديدة تم اكتشافها

ولقد حققت الشركة عددا من الاكتشافات البترولية والغازية فى منطقة الصحراء الغربية وأثبتت وجود الزيت والغاز فى طبقات العصر الجوارسى وهو مستوى جيولوجى لم يكن معروفا من قبل باحتوائه على امكانيات بترولية وفتح هذا الاكتشاف الباب أمام شركات عديدة لاكتشاف عدد من حقول الغاز فى مناطق أخرى فى المستوى نفسه الجيولوجى.

وكان عدد الحقول المكتشفة وقت أن تأسست الشركة حقلين فقط وأصبح الآن عددهم أربعة عشر حقلا للزيت وثلاثة حقول للغاز بالإضافة إلى حقل يحتوى على الزيت والغاز.

دور رائد فعال لشركة خالدة للبترول بالصحراء الغربية



المهندس عطية شجاع رئيس مجلس إدارة خالدة للبترول

أحدث التكنولوجيا لأعلي معدلات للإنتاج

وشركة خالدة دائما سباقة فى استخدام أحدث التكنولوجيات لتحقيق معدلات الانتاج والتى من أمثلتها:

- استخدام نظام دراسة المكامن البترولية بأحدث النظم التكنولوجية وهو نظام المحاكاة بالحاسب الآلى

- أول من أدخل تكنولوجيا حفر الآبار الأفقية فى مصر

- تصميم وتنفيذ عمليات الحقن بالمياه فى الصحراء الغربية كإحدى طرق الانتاج الثانوية مع استخدام طريقة التحكم فى كميات الحقن فى كل خزان ومن خلال بئر واحد باستخدام صمامات الحقن

- استخدام المياه المصاحبة للزيت فى عمليات الحقن بالمياه بعد معالجتها

- حققت رقما قياسيا فى سرعة حفر الآبار نتج عنه أقل تكلفة لحفر القدم الواحد فى الحفر البرى.

- الشركة الأولى فى مصر التى نجحت فى استخلاص المكثفات عن طريق خلط الغاز بالخام للحصول على أعلى نسبة استخلاص.

- تصميم نظام التزامن للمولدات الكهربائية على الآبار بحيث تتم عمليات الإصلاح والصيانة للمولدات بدون الحاجة إلى إيقاف الانتاج.

- لقد صارت سياسة خفض التكاليف التى تنتهجها إدارة شركة خالدة للبترول منذ إنشائها بمثابة العقيدة بالنسبة لكل العاملين مما ساعد على تحقيق انخفاض كبير فى سعر تكلفة البرميل الخام المنتج حيث بلغ ١,٠٢ دولار

- تمكنت الشركة من الوصول إلى انتاج مجمع من الزيت الخام يقدر بـ٨٢ مليون برميل خلال العشر سنوات من عمرها .

خالدة للبترول

- كانت الإحتياطيات وقت تكوين الشركة حوالى ٤٠ مليون برميل وعلى الرغم من انتاج أكثر من ٨٣ مليون برميل حتى الآن إلا أن الاحتياطى المتبقى وصل إلى حوالى ١٧٦ مليون برميل وهو ما يزيد عن ضعف الاحتياطيات المثبتة وقت تأسيس الشركة.

عوامل التميز في خالدة للبترول

إن سبب هذا التميز هو اجتماع مجموعة من الخبرات والكوادر البشرية الممتازة عملا وعلما وخلقا وتفانيهم في عملهم وولائهم لشركتهم تحت قيادة واعية ومخلصة بفضل السياسة الحكيمة التى وضعتها **الهيئة المصرية العامة للبترول تحت قيادة السيد الدكتور حمدي البنبي وزير البترول والسيد الدكتور مصطفى شعراوي رئيس الهيئة** من أجل بناء وتنمية شركة خالدة حتى أصبحت أسرة واحدة هدفها البناء والانجاز.

وبسبب الأداء المتميز والعمل الجاد المتواصل في المجالات المختلفة عن طريق إدارات الشركة المختلفة والعاملين بها فقد ارتأت شركة ربسول «الشريك الأجنبى» أن تقوم شركة خالدة للبترول بالعمليات في مناطق امتيازها في جنوب أم بركة ومباركة، وعلى الرغم من أن هذه المهمة قد أسندت لشركة خالدة في ٩٤/٧/١ فإن انتاج المنطقتين قد تضاعف مما يعكس المجهود غير العادي الذي قام به العاملون بشركة خالدة.

إننا نفخر بأن نكون جزءا فى هذا البناء المتميز بين قطاعات البترول فى مصر ولتظل شركة خالدة دائما عملاقة ورائدة وخالدة بإذن الله.

وأخيرا وليس آخرا فإننا نركز على أهدافنا دائما ونتقدم نحو تحقيقها باستمرار

وهذه الأهداف هي :

- استمرار التأكيد على تحقيق أعلى معدلات الكفاءة فى جميع نشاطات الشركة.
- الحفاظ على أنسب معدلات الانتاج بأقل التكاليف.
- تدريب العاملين بشركة خالدة على أحدث التقنيات العالمية المتطورة التى تغطى مختلف نشاطات الشركة.
- إضافة احتياطيات بترولية جديدة من أجل مستقبل أجيالنا.. أجيال مصر الغالية.

● تطبيق أحدث التقنيات التكنولوجية فى الحفر والاهتمام بالتدريب لخلق جيل من الكوادر الفنية عالية المستوى

● زيادة الاحتياطى الكلى لخالدة من ٤٠ مليون برميل فى سبتمبر عام ٨٥ الى ١٧٦ مليون برميل في يونيو ٩٥

